

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

قسم اللغة والأدب العربي

معهد الآداب واللغات



محاضرات في مادة

الأدب الجزائري القديم

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر - تخصص أدب عربي قديم -
((السداسي الثالث))

إعداد الدكتور: بن ساري مسعود

الموسم الجامعي 2022-2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالمادة

اسم السداسي: الثالث

اسم الوحدة: الوحدة التعليمية الأساسية 1

المادة 2: الأدب الجزائري القديم

الرصيد: 04

المعامل: 02

أهداف التعليم:

(ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر) يتمكن الطالب من فهم الجانب التقني للبحث العلمي بكل تفاصيله و جزئياته، بعد أن كان درسه في مرحلة اليسانس، و هذا لأجل إعدادة لإنجاز مذكرة الماستر في السداسي الرابع.

المعارف المسبقة المطلوبة:

سبق للطالب في السنة الأولى طور اليسانس التعرف على الأدب العربي القديم بوجه عام في مادة الادب القديم. يكتسب الطالب القدرة على التعامل مع النصوص، وتحليل الخطاب الأدبي، والتعرف على بنيته، باستخدام المناهج الحديثة المختلفة في قراءة النص الأدبي القديم. كما يمكن التكوين الطالب في هذه المرحلة من ولوج عالم البحث العلمي من أوسع أبوابه، عن طريق تمتين صلته بالمصادر والمراجع والتعامل مع الأرصدة المكتبية للاهتمام إلى المادة العلمية في مظانها، وتوظيف ما تتيحه تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة من إمكانيات كبيرة في هذا المجال.

لا شك أن التقاطع بين مختلف التخصصات في هذا الميدان هو الذي يجعل الجسور بين مختلف التخصصات ممدودة، ويجعل مواصلة الطالب دراسته في طور الدكتوراه، في تخصص آخر، غير تخصصه الذي تابع فيه دراسته في الماستر، أمرا ميسورا من الناحية النظرية.



بطاقة المادة السنة الثانية ماستر أدب عربي قديم

السداسي الثالث: 2019-2020

بطاقة مادة: الأدب الجزائري القديم

الميدان: لغة وأدب عربي / وحدة التعليم: نوع المادة: محاضرة / أعمال موجهة.
الأستاذ المكلف بتدريس المادة: الرتبة: الصفة: دائم / متعاقد.
رقم الهاتف: العنوان الإلكتروني:

البرنامج المفصل للمادة

أعمال موجهة	محاضرة
مفاهيم أولية (تقديم المقرر، تقسيم الطلبة، تكليفهم بالأعمال الموجهة الآتية)	1 إشكالية الهوية في الأدب الجزائري القديم.
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الرستمية	2 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الرستمية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الإدريسية	3 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الإدريسية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الأغلبية	4 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الأغلبية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الفاطمية	5 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الفاطمية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الصنهاجية	6 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الصنهاجية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الحمادية	7 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الحمادية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة المرابطية	8 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة المرابطية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الموحدية	9 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الموحدية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الزيانية	10 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الزيانية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة المرينية	11 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة المرينية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة الحفصية	12 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الحفصية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين عاصروا الدولة العثمانية	13 الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة العثمانية
دراسة نصوص مختارة لأدباء جزائريين هاجروا في المشرق والمغرب والأندلس	14 الأدب الجزائري القديم في بلاد المشرق والمغرب والأندلس

نوع التقييم: تقييم مستمر + امتحان نظري في نهاية السداسي

طريقة التقييم المستمر: (موحدة وإلزامية) / تقييم كتابي 20/12. + تقييم شفوي أو بحث فصلي 20/04. + المواظبة والمشاركة 20/04.

إدارة القسم:

إمضاء الأستاذ:

مقدمة

هذه أربع عشرة محاضرة في مادة: "الأدب الجزائري القديم"، أعدتها لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص الادب العربي القديم. أعدتها وفق البرنامج المقرر للمادة في عرض التكوين، واجتهدت أن أسلك فيها المسلك السهل، والأسلوب المعروف، مع مراعاة الحجم الزمني للحصة، والمستوى العلمي للطلبة.

وليس يخفى ما لمادة الادب الجزائري القديم من الفائدة والتأثير. ذلك انها متعلقة بالتراث الأدبي للوطن للجزائر، هذا الأدب الذي بلغ مبلغا بهر فيه فصحاء العرب وبلغاءهم، بألفاظه ومعانيه، وأخباره وأمثاله، ومواعظه وأوامره ونواهيه.

ولربما سأل سائل: ما الحاجة إلى دراسة الأدب الجزائري القديم؟ فنقول إن الأدب وعاء حامل ثقافة الوطن وتاريخه وعاداته وتقاليده وأمجاده، كل ذلك وأكثر في الأدب، ناهيك عن غياب هذا المورد عن الباحثين في مجال الأدب إلا قليلا، لقلة جمعه ودراسته، خاصة إذا علمنا أن المشاركة اهتموا بجمع آدابهم العربية الشرقية، وتغافلوا عن آداب المغرب العربي، وإنه لمن الواجب أن ينهض به أهله اليوم، فيجمعوا شتاته، ويشرحوا فصوله، ويبينوا جمالياته، ولعل ذلك ما نسعى إليه من خلال هذه المحاضرات القيمة.

أما منهج عملي المنجز في كل المحاضرات فقد كان موحدا، فكل محاضرة تتضمن أولا تاريخ الدولة وحدودها الجغرافية وامتدادها في التراب الجزائري، ثم أوضاعها ومراكزها الثقافية، ثم الحياة الأدبية فيها، ثم حال الأدب والأدباء الجزائريين في ظل تلك الدولة، ثم ذكر أعلام جزائريين مع أعمالهم شاركوا في تلك الدولة، وأخيرا خصائص الأدب الجزائري وتطوره وأثره في ذلك العصر

والله نسأل التوفيق والسداد وعموم الفائدة بها

المحاضرة - 01 - الأولى» مفاهيم أساسية في الأدب الجزائري القديم

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الجزائر في القديم
- 2- إقليمية الأدب الجزائري القديم
- 3- أهداف تدريس الأدب الجزائري القديم
- 4- المعارف المسبقة
- 5- محتويات المادة
- 6- مصادر ومراجع الأدب الجزائري القديم
- 7- طريقة التقييم

1- تاريخ الجزائر في القديم:

الجزائر موطن ضارب جذوره في التاريخ الإنساني القديم، تعاقبت عليه حضارات شتى، فقد ذكر قدماء الجزائريون في العصر الحجري. و"دلت الآثار التي تم اكتشافها بولايات مستغانم وتبسة (بئر العاتر) وقسنطينة (مشتى العربي) على أن الجزائر كانت أهلة بالسكان قبل 500,000 عام. ومع بداية الفترة الألفية الأولى قبل الميلاد، انتظم سكان المنطقة في قبائل استغلت الأراضي والمراعي جماعياً، وكونت إمارات مثلت المراحل الفينيقية الأولى.

ثم تأسست الدولة الجزائرية الأولى في القرن الثالث قبل الميلاد بقيادة سيفاكس ثم مسينيسا، وكانت الحروب البونية قد بدأت بين روما وقرطاج في ذلك الوقت. وقد فتح سقوط قرطاج عام 146 ق.م الطريق أمام روما للتوسع خاصة وأنها كانت لا تستطيع تحمل وجود دولة قوية مستقلة وموحدة كالتى تركها مسينيسا. وقد ساعد تفتت الدولة النوميديّة وانقسامها بين الحلفاء المتنافسين روما لاحتلال نوميديا رغم المقاومة الطويلة التي أبداهـا يوغرطة (يوجورثا) وجوبا الأول، وكان ذلك في عام 25 ق.م.

ولم يهادن شعب نوميديا الاحتلال لفترة خمسة قرون، وفشلت روما في التوغل أكثر من 150 كم من ساحل نوميديا، رغم قوتها في الفترة البيزنطية، وتمكنها من طرد الوندال في عهد جستنيان حتى انحنت أمام الفتح الإسلامي. وكانت الجزائر جزءاً من ولاية بلاد المغرب، التي كانت مدينة القيروان قاعدة لها، ضمن الدولة الإسلامية في العهد الأموي وفي مطلع العهد العباسي. لكن استقلال الأندلس عن بني العباس، ولجوء أصحاب المذاهب المناوئة لهم إلى الشمال الإفريقي، فتح الباب لظهور دويلات مستقلة في تلك الربوع النائية عن مركز الخلافة، وقد عرف تاريخ الجزائر في فترة ما بين منتصف القرن الثاني ومطلع القرن العاشر الهجري (آخر القرن التاسع إلى مطلع القرن السادس عشر الميلادي) بوقوعه تحت حكم دويلات مستقلة بالمغرب¹.

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية – Global arabic Encyclopeda ، أحمد الشويخات [رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير]، الإصدار الأول، الموقع الإلكتروني: www.intaa.net مادة: الجزائر تاريخ.

وذكر الميلي في اسمها ما نصه: "الجزائر اسم لمدينة عظيمة على البحر الرومي تعرف قبل مجيء العرب باسم أقسيوم (ICOSIUM). ولم تكن تطلق على وطن مترامي الاطراف الا منذ العصر العثماني حيث اتخذ العثمانيون هذه المدينة عاصمة لمملكة ذات حدود مقررة فاشتق اسم الوطن من اسم عاصمة دولته الجزائر"¹. وإن هذا التاريخ الزاخر للجزائر، بلادا وعبادا، أنتج حركة ثقافية مميزة لهذا الشعب، وقد كان الأدب أبرز سماته، فاصطبغ بخصائص هذا الإقليم، فكان إضافة حقيقية ومميزة في مسيرة الأدب الإنساني عامة..

2- إقليمية الأدب الجزائري القديم:

الأدب في معناه اللغوي: "الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح؛ وأصل الأدب الدعاء (..) والأدب أدب النفس والدرس. والأدب الظرف وحسن التناول"². يعرف الأدب الجزائري القديم بأنه ذلك التراث.. والأدب في اصطلاح المحدثين: "مادة أولى تقدمها الحياة، ويعالجها الكاتب بفكره وخياله وشعوره، ثم بناء فني يتناول المادة، ويسبكها سبك نظام ووحدة، فتخرج به ومعه في شكل خاص، وصورة فنية خاصة"³.

أما الأدب الجزائري القديم فهو ذلك التراث اللغوي والأدبي من المنظوم والمنثور الفنيين، الذي أنتجه الأبناء الأصليون المنتسبون لإقليم الجزائر، المعروف بحدوده السياسية الحالية، وذلك من الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني..

وقد اشتهر اسم: "الأدب الجزائري القديم" لدى كل من يبحث في الأدب المغربي القديم عموما والجزائري القديم منه على الأخص؛ ولم تنسب تلك الآداب القديمة المعروفة عند أهل الاختصاص لهذا الإقليم - الجزائر - عصبية أو مجاملة أو اعتبارا أو جهلا؛ بل يشهد بذلك التاريخ الحضاري والفكري الذي كان ينبض منذ فجر الفتح الإسلامي في شرق الجزائر القديمة وغربها وشمالها وجنوبها.

ولقد أثارت هذه التسمية: (الأدب الجزائري القديم) جدلا حادا في الوسط النقدي الجزائري الحديث؛ بين معارض ومؤيد. وأثيرت إشكالات تصب في هذا الموضوع، هذا بيانها:

فما الأدب الجزائري القديم؟ وهل للجزائر أدب عربي قديم؟ وما المقصود بالقديم وما هي حدود بدايته وحدود نهايته؟ وهل يصح - أصلا - أن نقول: الأدب الجزائري القديم؟ وهل من الصواب أن نقول: أدبا جزائريا قديما أم نقول: أدبا مغربيا قديما؟ أم نقول: الأدب العربي في الجزائر؟ وما هو موقف المتخصصين من هذا الإشكال؟ وما حجة كل فريق؟ وما هو موقفنا نحن من تلك الآراء بعد ذلك؟.

¹ - مبارك بن محمد الميلي الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، دط، 1986م، ج1، ص45.

² - ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دط، دتط، ج1، ص43.

³ - الفاخوري حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم، دار الجيل، لبنان، ط1، 1986، ص17.

لا ينكر أي من الدارسين المتخصصين وجود أدب عربي قديم في الجزائر، وإن جهل بعضهم مقداره وأدبيته، وتشهد الآثار الموجودة لدينا من تلك الآداب أنها كانت متنوعة ومتضمنة كل الأغراض الشعرية والفنون الأدبية على غرار ما كان سائدا آنذاك في المشرق العربي وبلاد الأندلس. ولسنا في مقام مقارنة أو مفاضلة بين الأدبين الجزائري والعربي القديمين، لأننا نؤمن بأن الأدب العربي الجزائري القديم لاحق، والآخر سابق؛ بل نعتبره فرعاً من أصل الأدب العربي الوافد مع العرب الفاتحين، غير أن هذا الفرع الأدبي قد نما وتميز واكتسب خصوصيته الإقليمية مع مرور الزمن، فحق له أن ينسب لهذا الإقليم، ويقال له: "أدب جزائري قديم".

وتحدد البداية التاريخية للأدب الجزائري القديم من الفتح الإسلامي لهذا الإقليم ومن الطبيعي أن لا نجد أدبا جزائريا عربيا في هذه الفترة المبكرة من عروبة الجزائر وإسلامها ونؤكد القول: "إن الأدب العربي القديم في الجزائر موجود ما في ذلك من ريب وأن قدمه أساسا ينطلق من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية التي يرتبط بعض الشعر والنثر بحكامها أنفسهم"¹. فبداية العهد الرستمي هي البداية الفعلية التي نرجحها حيث وصلنا منها أدب فيه من النثر والشعر ما يمكن أن نسميه أدبا من حيث الكثرة والتنوع والأدبية.

أما نهاية القدم فحدها سقوط الدولة العثمانية وحلول الاحتلال الفرنسي محلها يمثل بداية مرحلة الحداثة للأدب الجزائري، فكل أدب جزائري أنتج بعد دخول الاحتلال الفرنسي فهو حديث، وكل ما أنتج قبله فهو قديم. ولا أعتقد أن هذا يتنافى مع ما سنه مؤرخو الأدب العربي من أن بداية الحداثة للأدب العربي تبتدئ من حملة نابليون على مصر سنة 1798م، فإن هذا التأريخ أصدق ما يكون تأريخا لبداية الحداثة في الإقليم المصري، وتعميم هذا الحكم على الأدب العربي كله فيه شيء من المجاوزة ولعله من باب إطلاق الجزء على الكل، في زمن كان ينظر فيه للأدب العربي على أنه كتلة واحدة متكاملة لا مكان فيها للإقليمية، فبدايته في إقليم عربي ما تمثل بدايته في كل الأقاليم - حسب رأيهم-. وهذا المذهب تكذبه النظرية الإقليمية..

بقي علينا أن نجيب عن السؤال الحاسم والمهم في حديثنا هذا وهو: "هل يصح - أصلا- أن نسمي أدب هذه الفترة التي حددناها في هذا الإقليم أدبا جزائريا قديما؟".

إن الإجابة عن هذا السؤال تقودنا إلى النظرية الإقليمية التي ترى أن لكل إقليم شخصيته المستقلة التي تظهر في نتاجه الأدبي، والإقليمية في أصلها أحد أشكال السلوك الحيواني التي يدعي فيها الحيوان حق السيطرة على منطقة محددة تكون مأوى له ومصدر عيش ومكان تكاثر وحماية الصغار². بل إن النبات كذلك يأخذ سمات إقليمه ويتعايش معها وترتسم عليه فتميزه عن النبات في الأقاليم الأخرى لونا أو جما أو طعما أو غير ذلك. ومن عالم الحيوان والنبات وأثر تطوره بالبيئة والمناخ جاءت النظرية الإقليمية القائلة: "إذا كانت الكائنات الحية تخضع للزمان والمكان

¹ - عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، دط، 2005، ص9.

² - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الإقليمية.

وكان الإنسان أشد هذه الحيوانات تأثراً بعوامل الزمان والمكان كان لا بد تبعا لذلك من أن يتأثر الأدب بهذه العوامل زمانا ومكانا¹. إن الإشكال الحقيقي يتمثل في نسبة الأدب العربي القديم للجزائر؛ وأساس الاختلاف بين الدارسين المحدثين في هوية هذا الأدب فمنهم من ينسبه للعرب عموما ومنهم من ينسبه للمغرب الإسلامي ومنهم من يخصص نسبه للجزائر، وكل طرف يسوق حججه وأدلته، ويزعم أنه قارب الحقيقة المنشودة. ولمعالجة هذا الإشكال معالجة علمية، نسوق الآن حجة كل طرف، ثم نناقشها، ثم ندلي بعد ذلك بما نراه صوابا حسب زعمنا.

أولا؛ الطرف المعارض لفكرة الإقليمية: يرفض هذا الطرف فكرة تسمية أدبنا العربي القديم أدبا جزائريا قديما؛ بحجة أن الدولة الجزائرية لم تكن قائمة، وحدودها السياسية لم تكن مرسومة، وكانت حدودها غير مستقرة، فهي تضيق أحيانا وتتسع أخرى، بل إن اسم الجزائر لم يكن أصلا مستعملا قبل العهد العثماني، حيث كان اسمها آنذاك: المغرب الأوسط، ويرى هذا الفريق أن في النظرية الإقليمية دعوة عصبية، تجزئ دويلات المغرب العربي وتفتتها، وتحول دون وحدتها الثقافية والسياسية. والبديل الذي يقترحه هذا الطرف أن نسمي (الأدب الجزائري القديم): أدبا عربيا - وهو المستحسن لديهم-، أو أدبيا مغربيا على الأقل - وهو مقبول لدى أكثرهم-.

ومن دعاة هذا الاتجاه حنا الفاخوري، الذي تعامل في كتابه: "تاريخ الأدب العربي في المغرب" مع أدب الأقطار الثلاثة: (الجزائر- تونس- والمغرب) كأدب إقليم واحد، دون تمييز بينها، ولم يُعن بنسبة الأدباء إلى أقطارهم الثلاثة، بل نسبهم إلى مغربيتهم فحسب، ورتب حنا الفاخوري كتابه ترتيبا تاريخيا، وقسمه إلى عهود أربعة: عهد التأسيس والتركيز، عهد الازدهار، عهد الانحدار والانهياء، وعهد النهضة الحديثة². وفي ذلك إشارة واضحة بأن المؤلف عني بالزمان وأهمل المكان، ولم ير في أقطار المغرب العربي الثلاثة إلا إقليما واحدا متشابه الأقطار. وبناء على هذا نستنتج ضمنا بأن الفاخوري من أنصار هذا الاتجاه، وإن لم يدل برأيه صراحة.

ويبدو لي الأستاذ العربي دحو أكثر حدة وصرامة، ويبدو موقفه واضحا من دلالة عنوان كتابه الموسوم بـ: "الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية (30-230هـ)؛ وهو يشكك من خلال تساؤلاته التي يطرحها في كتابه هذا، أن يكون للأدب المغربي القديم خصوصية تميزه عن الأدب العربي المشرقي في تلك الفترة، وهو - كما يبدو لي- لم يرتض حتى بفكرة أدب عربي مغربي، فما أدراك بفكرة أدب جزائري قديم، إنني أحسبه من المنادين بأدب عربي لا فرق فيه بين المشرقي والمغربي. يقول المؤلف: "فهل بإمكاننا العثور على مصوغ ما يسمح لنا بالتجزئية هذه التي يطرحها البعض؟! وما جدواها؟! وما فائدتها؟! وهي لا تحقق شيئا ذا بال في تقديرنا!³ . إن

¹ - حامد حفني داوود، الآداب الإقليمية في العصر العباسي الثاني - دراسة تحليلية تحليلية -، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1981، ص8.

² - ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي في المغرب، المكتبة البوليسية، لبنان، ط1، 1982.

³ - العربي دحو، الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية (30-230هـ)، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط2، 2007، ص7.

التجزئية التي يقصدها الأستاذ دحو بين الأدب المشرقي والمغربي في بلاد المغرب العربي.

وأعتقد أن من أكبر دعاة هذا الاتجاه الأستاذ: عبد العزيز نبوي حيث كان من المنادين صراحة برفض فكرة الإقليمية منهجا لدراسة الأدب العربي المغربي القديم، وذلك في كتابه الموسوم بـ "محاضرات في الشعر المغربي القديم"؛ وقد عالجه في فاتحة كتابه هذا تحت عنوانين فرعيين: الإقليمية في الأدب العربي، وموقفنا من فكرة الإقليمية وتطبيقها على الأدب العربي. وفي بيان موقفه يقول الأستاذ نبوي عبد العزيز: "إذن ففكرة الإقليمية بالمعنى الذي يريده دعائها في الوطن العربي، وهو: أن لكل إقليم شخصية مستقلة تظهر في نتاجه الأدبي، لا تصلح منهجا لدراسة الأدب العربي في المغرب الإسلامي قبل العصر الحديث (..) ولم يبق إلا أن ننظر إلى الأدب العربي في المغرب، باعتباره جزءا أو حلقة من تاريخ الأدب العربي عامة"¹.

ولا أحسب أن هذه المقولة تدع مجالا للشك في تجلية موقف هذه الجماعة الرافضة لفكرة الإقليمية الأدبية، وبالتالي رفض اسم: "الأدب الجزائري القديم"؛ ولعله من المستحسن عندي أن أؤخر نقد هذا الاتجاه بعد عرض رأي الطرف المؤيد لفكرة الإقليمية.

ثانيا؛ الطرف المؤيد لفكرة الإقليمية: إذا كان المعارضون لفكرة الإقليمية يعدون على الأصابع، فإن المؤيدين لها أكثر من أن يحصوا.

فمن أولئك: شوقي ضيف، في كتابه الموسوم بـ "تاريخ الأدب العربي 10 عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان)؛ الذي أبدى فيه الشخصية الجزائرية المميزة تاريخيا وجغرافيا وثقافيا عن باقي الأقطار العربية أو المغربية. ولم يجد شوقي ضيف غضاضة في موقفه هذا، ولم يبرره، بل تبناه عنوانا، وطبقه مضمونا²، إيماننا منه أن القضية لا تحتاج إلى دليل أو برهان، وهو صاحب السلسلة الكبيرة في تاريخ الأدب العربي، وهو المشهود له بالعلم والفضل.

وأحسب أن الأستاذ: عادل نويهض من أنصار فكرة "الأدب الجزائري القديم"، وذلك ما أفهمه من دلالة عنوان معجمه المشهور: "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث"؛ ولم يجد المؤلف حرجا في ذلك، ولم يبرره، بل على العكس من ذلك، يعلنه بكل فخر في فاتحة معجمه المذكور؛ قائلا: "(..) وبعد كان للجزائر - عبر العصور، منذ كرمها الله بنعمة الإسلام، وتلونت بالصبغة العربية- تاريخ مجيد حافل، ولأعلامها: رجالها، وأئمتها، وسلاطينها، وملوكها، في الحضارتين العربية والإسلامية أثر بعيد"³.

¹ - عبد العزيز نبوي، محاضرات في الشعر المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1983، ص14.

² - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 10 عصر الدول الإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان)، دار المعارف، مصر، ط1، 1995، ص17- 251.

³ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1980، ص8.

أما الأستاذ: محمد بن رمضان شاوش فيظهر أكثر تصريحا واعتناقا لفكرة: "الأدب الجزائري القديم" وذلك في معرض ذكره سبب تأليفه لموسوعته القيمة: "إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر" حيث يعلن أنه ألفه عصبية لوطنه الجزائر، على غرار ما فعل بعض إخوانه في المغرب الأقصى وتونس من جمع لأدبهم المغربي أو التونسي مستقلا عن أقطار المغرب العربي في مدونات خاصة؛ وفي هذا المعنى يقول: "خامرتنا فكرة - ونحن لا زلنا في عنفوان الشباب - وهي أن نجمع في كتاب آثار أدباء بلادنا الجزائرية، كي نبين مساهمتها كذلك في بناء صرح المغرب العربي الكبير، بعد ظهور الكتابين المذكورين: [النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون، والمنتخب المدرسي في الأدب التونسي لحسن حسني عبد الوهاب الصمادحي التونسي]"¹.

يأتي بعد ذلك محمد الطمار لتزداد الفكرة عنده وضوحا وجلاء، ولو لم نقدم غير عنوان كتابه الموسوم بـ "تاريخ الأدب الجزائري" لكان كافيا لإقناع الباحثين بوجهة نظر الرجل، المؤمنة بفكرة: "الأدب الجزائري القديم"، ولو لم يكن كذلك ما اتخذها عنوانا لكتابه، وما جسدها عملا حقيقيا على صفحاته. ورغم ذلك من الخير أن نقدم القول الصريح للأستاذ، الذي نراه يبين حقيقة موقفه؛ حيث يقول: "فيسعدنا إذا أن نقدم لهم كتابنا هذا، الذي حاولنا أن نبرز فيه شخصية الجزائر المتميزة، عبر القرون في الميدان الثقافي، ونسجل وحدة خطوطها في الأدب القديم والحديث، ونبين ما قد غذى هذا الأدب من روافد مشرقية (..) وأندلسية"².

ولم يدع عبد الملك مرتاض مجالا للشك أو التشكيك في سلامة ما ذهب إليه أصحاب هذا الاتجاه من تبنيهم فكرة الإقليمية منهجا لدراسة الأدب العربي في بلاد المغرب العربي؛ بل قل القطرية إن شئت، ونحن نبرهن على ذلك من معنى عنوان كتابه الموسوم بـ "الأدب الجزائري القديم - دراسة في الجذور"، ومن بعض ما تضمنه هذا الكتاب قوله: "فما لغة هذا الأدب الجزائري القديم، الذي نحاول البحث في جذوره البعيدة؟..."³.

وأخيرا كرست الجامعة الجزائرية المعاصرة فكرة الأدب الجزائري القديم؛ حين فتحت مشروعات ماجستير في تخصص: "الأدب الجزائري القديم" في كل من جامعة وهران وبسكرة و ورقلة وغيرها؛ وبالتالي تخرج العشرات من الباحثين في هذا التخصص لينفضوا الغبار عن الأدب الجزائري القديم، ويكشفوا النقاب عن مخطوطات وموضوعات وشخصيات، ما كان لها أن تظهر للوجود لولا تبني جامعاتنا لهذا التخصص ورعايته.

ثالثا؛ موقفنا من الاتجاهين السابقين:

1- لا يوجد خلاف بين الاتجاهين في قبول فكرة "الأدب الجزائري القديم" اسما يطلق على الآداب التي أنتجها الجزائريون من بداية العهد العثماني إلى نهايته؛ وإنما رأس

¹ - محمد بن رمضان شاوش وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، طبع وإشهار داود بريكسي، تلمسان، الجزائر، ط2، 2005، ج1، ص4.

² - ينظر: الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م، ص7.

³ - عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، دط، 2005، ص30.

الخلاف على الفترة ما بين الفتح الإسلامي والعهد الزياني. ونحن بدورنا ننضم إليهم لأن الجزائر تجسدت قطرا - بالمفهوم الحديث- في أرض الواقع بداية من العهد العثماني وبفضلهم، و"إذا كنا من أنصار الجزائر القطرية فالفضل في إنشائها يرجع بالدرجة الأولى إلى هؤلاء الرجال (العثمانيين)، الذين جعلوا من المملكة الزيانية، وجزء من المملكة الحفصية، وإمارة سويد، والثعالبة، والذواودة، وغيرها، جعلوا منها دولة الجزائر"¹.

2- إننا نرى من الواجب أن نسمي آداب الجزائريين التي أنتجوها من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني أدبا جزائريا قديما لجملة من الأسباب؛ وهي:
أ- اعتماد أكثر الباحثين الجزائريين وغير الجزائريين هذه التسمية.
ب- لإحياء العصبية الإيجابية التي عدها ابن خلدون أساسا للالتحام والملك والرئاسة².

ج- لتمييز الآداب الجزائرية عن غيرها، حيث أصبحت مهمة عارية الظهر، بعدما جمع التونسيون والمغاربة آدابهم.
د- لتسهيل الدرس والبحث على الطلبة والباحثين.
هـ- لتماشي هذه الفكرة مع النظرية العلمية، مع نظرية الانعكاس³.

و- لحرص كل الدول الحديثة على ضم آدابها القديمة، ونسبتها لها، رغم أنها عاشت ظروفًا قديمة مشابهة تماما لظروفنا كالمغرب وتونس.
ي- للإسهام في الثقافة العربية والإنسانية؛ حيث لا يكون الأدب الجزائري مسهما فعلا في الثقافة العربية والإنسانية إلا إذا كان مميزا وله خصوصياته.
3- ونظرا لاضطراب تلك الفترة (من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني) سياسيا، وجغرافيا، واجتماعيا؛ فقد وضعت شروطا دقيقة واضحة المعالم، تبين نسب الأديب إلى الجزائر أو عدم نسبه، وبالتالي نسبة آداب تلك الفترة للقطر الجزائري من عدمها.
وقد كان للأستاذ محمد بن رمضان شاوش فضل السبق في وضع شروط⁴ من قبل، واجتهدت أنا بدوري في تعديل تلك الشروط، وقد أفضى اجتهادي إلى موافقته في شرطه الأول، ومخالفته في شروطه الباقيات. أما الشروط التي اجتهدت في وضعها؛ فهي:

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ج4، ص190.

² - ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2006، ص129-135.

³ - "يرى هيبوليت تين أن هناك ثلاثة عوامل تؤثر في الأدب: أ/ الجنس أو العرق أو النوع: ويقصد به الخصائص القومية، إذ يرى أن أدب أمة ما يختلف عن أدب أمة أخرى، وهذا يعود إلى تباين الخصائص القومية، التي تعني لديه تأثير المناخ، والتربة، والحوادث الجسام، والدوافع الغريزية، والعناصر الوراثية، والنزعات الدفينة، والعادات العدائية، والملامح الجسدية، إلخ.. ب/ البيئة: فالإنسان في بيئته خاضع لأوضاع حتمية هي التي تتحكم بالأدب والحياة العقلية. فقد كان تين مؤمنا بحتمية البيئة، (فالمناخ في إنجلترا مثلا يؤثر في تشكيل المزاج للفرد الإنجليزي وبالتالي يؤثر في الأدب)، وهذا يؤكد تأثير المناخ في المزاج الإنساني. ج/ الزمن أو اللحظة التاريخية: وهو ما يجعل مفهوم البيئة متحركًا، ويعني به روح العصر، أو مكان العمل الأدبي من تاريخ التراث، وربما يعني به ما عبر عنه شاعر عربي قديم: لكل زمان دولة ورجال" - شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص69-70.

⁴ - وضع محمد بن رمضان شاوش شروطا غريبة تحدد نسبة الأديب العربي القديم إلى الجزائر، وهي تتلخص فيما يأتي: [إذا كان جزائري المولد والنشأة، سواء عليه أ مات بالجزائر أم بدار غربة. ب- إن استوطن الجزائر، ومات بها، ولو

- أ- يعد جزائريا كل من ولد في إحدى مدن الجزائر الحالية، سواء عليه أ توفي بالجزائر أم بأرض الغربية.
- ب- يعد جزائريا كل من نسب إلى إحدى مدن الجزائر الحالية، وإن لم يولد بها، وإن لم تطأ قدمه أرض الجزائر، كالشباب الظريف وأبيه.
- ج- لا يعد جزائريا من كانت أصوله غير جزائرية، وإن توفي بالجزائر ودفن بها، كابن حمديس الصقلي.
- د- لا يعد جزائريا من كانت أصوله غير جزائرية، وإن أقام بالجزائر طوال حياته، أو مدة طويلة، كابن هاني الأندلسي.
- وعلى هذه القواعد التي رسمتها سيكون نهجي في البحث، في إثبات جزائرية الأديب والأدب، أو نفيها. وزبدة القول التي نختم بها الحديث في هذا الموضوع: "إن لكل بلاد إسلامية ميزاتها في آدابها، تختص بها دون سائر البلاد الأخرى، ولو كانت لغة البيان واحدة في جميعها"⁽¹⁾.

3- أهداف تدريس الأدب الجزائري القديم:

حين يكون الحديث عن الأدب الجزائري، سواء قديمه أو حديثه، فإن الهدف من تدريسه يتجاوز مجرد المعرفة والاستكشاف. ليصبح تدريسه واجبا وطنيا، ذلك أن الأدب - في حقيقته - رافد ثقافي مشبع بالتاريخ القومي، وفيه تاريخ الأجداد والبلاد، وأخبارهم وأسراهم، وأمجادهم، - لأن الأدب يوصف بأنه ابن بيئته - ناهيك عن قيمه الفنية.. فالأهداف إذن: معرفية استكشافية، كما أنها سياسية ترتبط بحب الوطن والمحافظة على موروثه الفني، وهي إنسانية على اعتبار الأدب الجزائري القديم محمل بالغبرات الإنسانية، والمثل والفضائل الخيرة..

4- المعارف المسبقة:

على الراغب في دراسة الأدب الجزائري القديم أن يكون ملما بتاريخ الأدب العربي القديم؛ من عصره الجاهلي إلى عصر الضعف والانحطاط على الأقل. ذلك أن الأدب العربي القديم سابق للأدب الجزائري القديم، بل يعتبر منبعه الأصلي، إذا اقتصرنا على الآداب المكتوبة بالعربية، واستثنينا الآداب الأمازيغية الشفوية. فما هو مفهوم تاريخ الأدب؟ وما هي أبرز محطاته

يعرّف تاريخ الأدب بأنه: "علم يتناول الأدب من ناحية تطوره التاريخي والفني (..) وهو وصف الكلام من شعر ونثر، في كل عصر من عصور التاريخ، وذكر نوابغ الشعراء والخطباء والكتاب والمؤلفين، وبيان تأثير كلامهم فيمن بعدهم، وتأثرهم بمن قبلهم وما حولهم، والموازنة بينهم، والإلمام بمؤلفاتهم"⁽²⁾. وقد انتهج مؤرخو الأدب ثلاث طرق في تأريخهم للأدب: فمنهم من التزم المعنى العام لكلمة أدب؛ فأرخ للحياة العقلية والشعورية

كان أجنينا كابن حمديس الصقلي الذي توفي ببجاية. ج- إن أقام بالجزائر فترة من الزمن، كان لها أثرها في إنتاجه الأدبي، كابن هاني الأندلسي الذي أقام في المحمدية. - ولا يعد جزائريا - حسب رأيه- من لم تطأ قدمه أرض الجزائر، ولو كان منسوباً إليها كالشباب الظريف التلمساني المولود بمصر والمتوفى في دمشق].

- ينظر: محمد بن رمضان شاوش وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص7-8.

¹ - عثمان الكعاك، بلاغة العرب في الجزائر، نشر مكتبة العرب بتونس، تونس، دط، دتط، ص17-18.

² - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم -، دار الجيل، لبنان، ط1، 1986، ج1، ص34-35.

في الأمة تاريخاً عامّاً، ومنهم من التزم المعنى الخاص، فأرخ للشعراء والكتاب تاريخاً خاصّاً بالأدب ونشأته وتطوره وأهم أعلامه، وهناك منهج ثالث عند برونيتير "Brunetiere" الذي فتن بمذهب داروين المعروف في التطور ونشوء الكائنات العضوية وارتقائها، وحاول أن يطبقه على الأدب وفنونه المختلفة، وذهب إلى أن الفنون الأدبية مثل الكائنات الحية تخضع للتطور، وقد يتولد بعضها من بعض⁽¹⁾.

ومن الطبيعي أن ألا يتفق مؤرخو الأدب اتفاقاً كلياً في تقسيم تاريخ الأدب العربي زمانياً أو مكانياً، وتنشأ بينهم بعض الفروقات، في تحديد زمان فترة ما، أو مكانها، وهي اختلافات أثرت تاريخ الأدب العربي وأثرت عليه بالإيجاب، إذ أغنته ووسعته.. ومثال ذلك التزام بعضهم بحسر العصر العباسي في فترة واحدة، ومنهم من قسمها إلى فترتين، ومنهم من قسمها إلى ثلاث مراحل.

5- عصور الأدب العربي: تأثر الأدب بالتاريخ السياسي أمر معلوم.

- 1/ العصر الجاهلي: مئتا سنة قبل الإسلام تقريباً.
- 2/ صدر الإسلام: من البعثة النبوية إلى سنة 40 هـ = 660م.
- 3/ العصر الأموي: من 41 - سنة 131 هـ = 660م - 748م.
- 4/ العصر العباسي: 132 - 656 هـ، 749 - 1258م
- أ/ العصر العباسي الأول: (حقبة بغداد) 132 - 232 هـ، 749 - 846م
- ب/ العصر العباسي الثاني: (حقبة الدويلات) 232 - 334 هـ، 846 - 945م
- ج/ العصر العباسي الثالث: (الحقبة السلجوقية) 334 - 656 هـ، 945 - 1258م
- 5/ العصر الأندلسي: 92 هـ - 898 هـ، 710 - 1492م
- 6/ عصر الضعف: من سقوط بغداد على يد هولاكو سنة 656 هـ = 1258م.. وينتهي بحملة نابليون على مصر 1213 هـ = 1789م

أ/ عهد دولة المماليك:

أ/1- المماليك البحرية:

أ/2- المماليك البرية:

ب/ عهد الدولة العثمانية:

6- محتويات المادة: مفاهيم أساسية في الأدب الجزائري القديم. الأدب الجزائري في عهد الدولة الرستمية. الأدب الجزائري في عهد الدولة الأغلبية. الأدب الجزائري في عهد الدولة الإدريسية. الأدب الجزائري في عهد الدولة الفاطمية. الأدب الجزائري في عهد الدولة الصنهاجية. الأدب الجزائري في عهد الدولة الحمادية. الأدب الجزائري في عهد الدولة المرابطية. الأدب الجزائري في عهد الدولة الموحدية. الأدب الجزائري في عهد الدولة الحفصية. الأدب الجزائري في عهد إمارة بني زيان الزيانية. الأدب الجزائري في عهد الدولة المرينية. الأدب الجزائري في عهد الدولة العثمانية. الأدب الجزائري في المشرق والأندلس.

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط4، 2003م، ص12-13.

7- مصادر ومراجع الأدب الجزائري القديم:

- ✓ . لافي برفانصال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية – المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، دط، 1941.
- ✓ الأصبهاني الكاتب عماد الدين، خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب – 1، تح محمد المرزوقي وآخرين، الدار التونسية للنشر، تونس، ط3، 1986.
- ✓ الآغا بن عودة المزارقي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح ودراسة الدكتور يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط1، 1990.
- ✓ الباروني سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تح أحمد كروم وآخرين، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2002.
- ✓ البكري عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب – وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان وان ليون وأندرو فري، دار الغرب الإسلامي، تونس، دط، 1992.
- ✓ بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط3، 2000.
- ✓ التلمساني أحمد بن أبي حجلة، ديوان الصبابة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دط، 1999.
- ✓ التلمساني أحمد بن أبي حجلة، سكردان السلطان، تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 2001.
- ✓ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1989.
- ✓ التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان تح محمود بوعيداد، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط.
- ✓ الثغري محمد بن يوسف، ديوان الثغري التلمساني، جمع وتحقيق وشرح نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدراسات التراثية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2004.
- ✓ الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش - لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل-، تح أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1983.
- ✓ الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية (مراقة وبوداود وشركاهما) الجزائر – و دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1965.
- ✓ حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983.
- ✓ الحفناوي محمد بن الشيخ أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية بالجزائر، الجزائر، دط، 1906.
- ✓ ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 2000.
- ✓ ابن خلدون عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تلويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

- ✓ ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1980.
- ✓ ابن خلكان أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، لبنان، دط، 1977.
- ✓ ابن الخلف القسطيني أحمد بن عبد الرحمن، ديوان شهاب الدين ابن الخلف، الدار العربية للكتاب، جمع وتحقيق هشام بوقمرة، دط، دتط.
- ✓ ابن الخلف القسطيني أحمد بن عبد الرحمن، ديوان الإسلام جني الجنتين في مدح خير الفلقتين، تح العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، دط، 2004.
- ✓ الدرجيني أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، طبع إبراهيم محمد طلاي، الجزائر، ط2، دتط.
- ✓ الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، دط، 1973.
- ✓ ابن أبي زرع علي بن عبد الله، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب الأقصى، دط، 1972.
- ✓ الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002.
- ✓ الزياتي أبو حمو موسى الثاني بن يوسف، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تقديم وتعليق عبد الرحمن عون وآخر، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1990.
- ✓ ابن سعيد المغربي علي بن موسى، الغصون اليناعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، دط، دتط.
- ✓ شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، طبع وإشهار داود بريكسي، تلمسان، الجزائر، ط2، 2005.
- ✓ شاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1966.
- ✓ ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، دط، 1986.
- ✓ الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م، الجزائر، دط، 2007.
- ✓ العربي دحو، الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية (30-230هـ)، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2007.
- ✓ ابن العفيف التلمساني، ديوان الشاب الظريف، تح شاکر هادي شكر، شر صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، لبنان، دط، 2004.
- ✓ العُبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، تح عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (20/16 م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.

- ✓ أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1983.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- ✓ القيرواني الحسن بن رشيق، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح محمد العروي المطوي وآخر، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.
- ✓ القيرواني الحسن بن رشيق، ديوان ابن رشيق القيرواني، شرح صلاح الدين الهواري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- ✓ الكلبي ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري وآخرين، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، دط، 1955.
- ✓ كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط3، 1961.
- ✓ المدني أحمد توفيق، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980.
- ✓ مرتاض عبد الملك، الأدب الجزائري القديم - دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، دط، 2005.
- ✓ ابن مرزوق التلمساني محمد، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981.
- ✓ ابن مريم محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم وتحقيق عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1986.
- ✓ المقري أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1939.
- ✓ المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، لبنان، دط، 1968.
- ✓ المنداسي سعيد بن عبد الله، ديوان المنداسي، تح وتق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1976.
- ✓ الموحد سليمان بن عبد الله، الديوان، تحقيق محمد تاويت، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، المغرب، دط، دتط.
- ✓ المليي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد المليي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، دتط.
- ✓ ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- ✓ الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج محمد حجي وآخرين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط2، 1981.

- ✓ الوهراني ابن محرز محمد، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 1998.
- ✓ ابن الأبار محمد بن عبد الله، الحلة السيرة، تح حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط2، 1985.
- ✓ إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1974.
- ✓ الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تح إحسان عباس وآخرين، دار صادر، لبنان، ط3، 2008.
- ✓ ابن الأمير عبد القادر محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر سيرته السيفية، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، مصر، دط، 1903.
- ✓ بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية – دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1985.
- ✓ ابن بسام علي بن محمد، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، دط، 1997.
- ✓ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد (ضمن مشروع مكتبة الأسرة)، دط، 2004.
- ✓ عزاوي أحمد، رسائل موحدية مجموعة جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل (المغرب)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1995.
- ✓ القلعي محمد بن علي بن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وآخر، دار الصحوة، القاهرة، مصر، دط، دتط.
- ✓ القيرواني الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981.
- ✓ الكعاك عثمان، بلاغة العرب في الجزائر، نشر مكتبة العرب بتونس، تونس، دط، دتط.
- ✓ المغيلي محمد بن عبد الكريم، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- ✓ الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخر، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، دتط.
- ✓ الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- ✓ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1980.
- ✓ قرص الموسوعة العربية العالمية – Global arabic Encyclobedia ، أحمد الشويخات [رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير]، الإصدار الأول، الموقع الإلكتروني: www.intaaj.net.

08- طريقة التقييم:

يقيم الطالب بامتحان نهائي مكتوب في نهاية السداسي الثالث، مدته ساعة ونصف.

﴿ المحاضرة - 02 - الثانية ﴾

بواكير الأدب الجزائري بعد الفتح الإسلامي
الأدب الجزائري في عهد الدولة الرستمية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الرستمية
- 2- خصائص المغرب الأوسط الطبيعية والاجتماعية وجماله البارع
- 3- مدينة تيهرت في أدب الرحالة والجغرافيين القدامى
- 4- الحياة الفكرية في الدولة الرستمية
- 5- عوامل تطور الحياة الفكرية
- 6- بواكير الأدب الجزائري بعد الفتح الإسلامي
- 7- حياة اللغة والأدب في ظل الدولة الرستمية
- 8- أعلام أدبية جزائرية من الدولة الرستمية؛ ومختارات من أدبهم
- 9- الأدب الجزائري خلال العهد الرستمي خصائصه، تطوره، وأثره

1- تاريخ الدولة الرستمية:

دولة أقامها الخوارج في المغرب العربي في الفترة من 137 297هـ، 754 909م عندما قدم عبدالرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي إلى المغرب جنديًا فاتحًا مع جيوش المسلمين التي كانت ترسلها الخلافة العباسية في بغداد. وكان يدين بمذهب الخوارج. وكان من الذين فر بهم القائد أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وولاه على القيروان.

اهتمت الدولة العباسية بخطر تيار الخوارج بالمغرب، فبعثت جيشًا للقضاء عليه قبل استفحال أمره. واضطر عبدالرحمن إلى أن يترك قاعدته في القيروان إلى موضع مدينة تاهرت الحالية. ثم ما لبث أن أعلن قيام دولته في هذه المنطقة، فتقاطر إليه الخوارج الإباضية من جميع أنحاء المغرب والمشرق. وأعلنوا عدم تبعيتهم للعباسيين، وانتقدوا الأسس التي قامت عليها الخلافة العباسية، مما جعل الخلافة العباسية تدخل معهم في حروب قاسية.

تمكنت هذه الدولة من الصمود في وجه العباسيين وتغلّبت على مشاكلها الداخلية في عهد مؤسسها عبدالرحمن وخليفته ابنه عبدالوهاب ثم خليفتهما الثاني ميمون بن عبدالوهاب.

بدأ الضعف يدب في الدولة الرستمية، لأسباب منها: إصرارهم على أن يكون الحاكم منهم، وتميز الفرس على غيرهم من الناس في الدولة، وانصراف الحكام المتأخرين إلى اللهو وإهمال الإصلاح. هذه الأسباب وغيرها أدت إلى الفساد، ثم تصدع بناء الدولة التي انهارت باغتيال يقظان بن أبي يقظان آخر الحكام من الأسرة الرستمية، سنة 296 هـ ، 908م وأتت الدولة الفاطمية على البقية الباقية منها سنة 297 هـ ، 909م.

قامت الدولة الرستمية بدور بارز في دعم الحضارة الإسلامية بالمغرب ونشر الإسلام في بلدان غربي إفريقيا عبر الطرق التجارية الصحراوية، التي تربط مدن شمالي إفريقيا بمدن غربي إفريقيا¹.

2- خصائص المغرب الأوسط الطبيعية والاجتماعية:

المغرب الأوسط كثير الجبال في ساحله ووسطه، جبال أغلبها كاسيا بالأشجار، وملتقا بالغابات، مما يملأ سماه بالسحاب الممطر، وَجَّوهُ بالهواء المنعش. وكانت جبال الونشريس في شماله الغربي تشتمل على غابات من أجمل ما يرى الإنسان، مع جبال القبائل الجميلة وغيرها.. فغرس حبُّ الجمال في نفوس أهاليه². كانت قبائل المغرب الأوسط قد حسن إسلامها في أول القرن الثاني الهجري، وانتشرت فيها العربية، وتكون فيها علماء في الدين والعربية، فازدادت شموخا بعزة الإسلام واعتدادا بنفسها.. وكان لهذه البيئة الطبيعية الحسنة في المغرب الأوسط أحسن الآثار في أهله، والقبائل التي استوطنته. وقد أورثها بغناه وجودة هوائه عزة في النفوس، وطموحا إلى المعالي، وقوة في الأجسام، وجمالا في الذوق³..

3- مدينة تيهرت في أدب الرحالة والجغرافيين القدامى:

قال شمس الدين المقدسي: "تيهت !هي اسم القصة والعاصمة أيضا، وهي بلخ⁴ المغرب قد أهدقت بها الأنهار، والنقت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبتت حولها الأعين، وجل بها الإقليم، وانتعش فيها الغريب، واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق واطأوا، وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا⁵.. وقال المقدسي: "إقليم تيهت بلد كثير الخير، رحب، رفق، طيب، رقيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل، قديم الموضع، محكم الرصف، عجيب الوصف"⁶.. قال صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: "مدينة تاهرت! وهي مدينة مشهورة كبيرة عليها سور صخر، ولها قصبة⁷ منيعة تسمى المعصومة. وهي في سفح جبل. وعلى نهر يأتيها من ناحية (القبلة) يسمى مينه، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش، منه تشرب أرضها وبساتينها. وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار. وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا ومطعما ورائحة⁸..".

4- الحياة الفكرية في الدولة الرستمية: يعتبر القرنان الثاني والثالث للهجرة انطلاقة حقيقية في ميدان الفكر والثقافة والعلوم المختلفة بالبلاد العربية الإسلامية، مشرقها

1 - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق مادة:

2 - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت، ليبيا، ط1، 2010، ج3، ص227-228.

3 - ينظر: نفسه، ج3، ص227-228.

4 - ينظر: نفسه، ج3، ص227-228.

5 - بلخ. قال ياقوت: "بلخ ! من أجل مدن خراسان، وأشهرها، وتكثرها خيرا، وأوسعها غلة، تحمل غلتها خراسان".

- ياقوت الحموي بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1977، ج1، ص479.

6 - ينظر: نفسه، ص227-228.

7 - ينظر: نفسه، ص227-228.

8 - ينظر: نفسه، ص227-228.

ومغربها¹. ولقد نشأت الدولة الرستمية من حيث الزمان في تلك القرون الأولى من تاريخ العرب والمسلمين الفكري، ومن حيث المكان في المغرب العربي. إذ هي من الدول الأولى التي انفصلت عن المشرق العربي سياسياً، وحملت "مشعلا للحضارة والعلم في الشمال الأفريقي فكانت تلي القيروان في ذلك"²

والحقيقة أن تيهرت كان حاضرة بلغت درجة في الفكر والثقافة لم تكن تضاهيها حتى فاس عاصمة الأدارسة؛ بل كانت بارزة جنباً إلى جنب مع أكبر عاصمتين مغربيتين في تلك الفترة القروان وقرطبة³. حتى دعيت: "عراق المغرب، وبلخ المغرب، إلحاقاً بهما في المعارف والعمران والحضارة"⁴.

5- عوامل تطور الحياة الفكرية: اجتمعت جملة من العوامل كلها اسهمت في تنشيط الحياة الفكرية عامة في الدولة الرستمية؛ نجملها في ما يأتي:

5/أ- دور الحكام الرستميين: لا يخفى ما للحاكم من دور بارز بالإيجاب أو بالسلب في توجيه وتشجيع مختلف الأنشطة في الدولة. ودور الأئمة الرستميين في الحياة الفكرية كبير، يثبت هذا من خلال ما قاموا به من جهود في نشر العلم، وبناء المساجد، وجلب الكتب من المشرق، أضف إلى ذلك أن من شروط تولي الإمامة عند الأباضية أن يكون الحاكم الإمام المبایع عالماً محيطاً⁵.

ولو تفحصنا سير الأئمة الرستميين لألفيناهم كلهم على سعة من العلم والحكمة والذكاء والدهاء معاً.. فهذا أولهم عبد الرحمن بن رستم يقول له شيخه أبو عبيدة مسلم بن كريمة مجيزاً: "إِفْتِ بما سمعتَ (مني) وما لم تسمع"⁶. وتنسب إليه المصادر الأباضية كتابين: أولهما في تفسيره، والثاني في خطبه⁷. أما ابنه الإمام عبد الوهاب بعده فقد عرف بكثرة القراءة والمطالعة واقتنى من البصرة كتباً بألف دينار، فلما انتهى من قراءتها قال: "الحمد لله إذ ليس فيه مسألة غربت عني إلا مسألتان، ولو سئلت عنهما لأجبت قياساً على نظائرهما، ووافقت الصواب"⁸..

ويجمع الدارسون أن عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب هو العصر الذهبي في عمر الدولة الرستمية من الجانب الثقافي والفكري والاقتصادي. وكان معلماً في اللغة والفقه وعلم الكلام، وقد ترك العديد من الرسائل وله قصيدة شعرية في الحث على العلم، سنورها في المختارات⁹. أما الإمام أبو بكر فكان عهده عهد الأدب والشعر، وكان هذا الإمام "يحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين..". ولكن لم يستمر ذلك الاهتمام بالآداب في عهد الإمام

1 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 2003م، ج2، ص8.

2 - ابن تاووت الطانجي، دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات، مدريد/م5، ع1-2، ص126.

3 - Bekri chikh. ibid. p.95

4 - مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص89.

5 - ينظر: بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1985، ص264.

6 - عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، عمان، الأردن، 1978م، ص168.

7 - ينظر: الدرجيني أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، طبع إبراهيم محمد طلاي، الجزائر، ط2، دتط، ج2، 471. وينظر: أبو يعقوب الوردلاني: الدليل لأهل العقول، ج2، ص13-14، ج3، ص117-118.

8 - ينظر: الدرجيني أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، ص55.

9 - ينظر: بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص269-270.

أبي اليقظان بسبب اضطراب الأوضاع في العاصمة تيهرت، ومال هذا الإمام إلى الزهد والعناية بالعلوم الدينية.

5/ب- المؤسسات التعليمية: نعتقد أن المسجد كان أهم مؤسسة تعليمية في الدولة الرستمية، ويذكر التاريخ أن أول ما بدأ به عبد الرحمن بن رستم هو بناء الجامع الكبير في تيهرت؛ وكان أسلوب التعليم في المسجد يتم بطريقتين: أسلوب الكتاتيب، وأسلوب حلقات العلم. أما الكتاتيب فكانت بمثابة المدرسة الابتدائية في زماننا، حيث تقوم بدور تعليم الكتابة والقراءة للصغار، كما اتخذت بعض المنازل أيضا مكانا للقيام بهذا الدور التعليمي الأساسي. وجل ما يأخذه الطفل في الكتاتيب القرآن الكريم والأحاديث النبوية ومبادئ اللغة العربية. فإذا أتم ذلك يكون قد بلغ الحلم بحيث يجوز له دخول مجالس العلم في المساجد؛ وتعتبر تلك مرحلة عليا في تحصيل العلم. حيث يحصل الطالب علوما شتى، مثل التفسير، والفقه، وشروح الأحاديث، والاستماع إلى المواعظ، ومشاهدة المناظرات بين علماء المذاهب المختلفين. ويمكن أن نتصور أن هذه الحلقات العلمية تعادل مرحلة الثانوية والدراسات العليا في زماننا. وكانت منازل العلماء أيضا تتخذ مكانا لحلقات العلم، ومثاله منزل أبي ذر أبان بن وسيم، الذي كان تقصده النساء، ناهيك عن الرجال والطلبة.

5/ج- المكتبات: عرف الأئمة الرستميون بحبهم للكتب، واقتنائهم لها، وتأليفهم للكثير منها، ويشهد لهم بذلك مكتبتهم المعروفة باسم: "المعصومة"، التي بدأ تأسيسها من عهد الإمام عبد الوهاب، وهي تضم ما يقارب ثلاثمائة ألف مجلد¹. تلك المكتبة التي قيل أنها تعرضت للحرق على يد أبي عبد الله الشيعي زعيم الشيعة العبيديين، الذي كان علي يده سقوط الدولة الرستمية، فقد انتقى من المعصومة ما أعجبه من كتب الصنائع والحساب وسياسة الملك وأحرق الباقي، من كتب الأباضية وفكرهم، فكانت خسارة عظيمة أخفت على إثرها حوادث ومعلومات شتى.

5/د- العلماء والطلاب: كانت تيهرت عاصمة الرستميين حاضرة آمنة غنية ديمقراطية، أما أئمتها ف"مهابون، ثقافة، ورعون، جمهوريون، يحقرون المال والحياة، ذوو مثل عال، أساسه الروح الإسلامي، يفنون في سبيله، ويثرون على النظام الخارج على الدين"². ومما يلفت الانتباه حقا، ويشجع على التعليم والتعلم النفقة على الطلاب وأساتذتهم؛ فالمسجد "لم يكن.. مجرد مكان للعبادة والصلاة، وإنما كان كذلك مدرسة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، فهو مكان لإلقاء المحاضرات، والاستماع إلى الدروس، وهو مجمع للطلاب والأساتذة، وهو إلى جانب ذلك يحوي في العادة أماكن خاصة لسكنى الأساتذة والطلاب المغتربين"³. وبالجمله قل أن يخلو موطن من مواطنهم من علماء عاملين، وزهاد مخبتين وصالحين، وطلبة راغبين جادين..

5/هـ- مشاركة المرأة الرستمية: لم تكن المرأة تعيش على هامش الحياة في عهد الرستميين، ولم يكن حضورها سلبيا بل بالعكس من ذلك تماما، فقد شاركت في مختلف جوانب الحياة مشاركة فعالة، وساهمت في إثراء الحياة الثقافية وتنشيطها وازدهارها. ولعل أخت الإمام أفلح التي نبغت في الحساب والفلك والتنجيم خير مثال وشاهد على ذلك.

¹ - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، دط، 2010، ج3، ص396.

² - أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، لبنان، ط5، 1976، ص367.

³ - أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، دط، 1971، ص101.

5/و- مشاركة المرأة الرستمية: انفتاح الرستميين وقبولهم للرأي المخالف بكل ديمقراطية. يقول ابن الصغير في هذا الصدد: "من أتى حلقات الإباضية ناظروه أطف منظره، وكذلك من أتى الإباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك"¹.

6- بواكير الأدب الجزائري بعد الفتح الإسلامي:

كانت الجزائر في عهد الولاة الفاتحين حديثة الاستعرا ب، مع اضطراب وعدم استقرار، فمن الطبيعي أن لا نرى أدبا ولا أدباء في هذه الفترة من أصول جزائرية، غير أننا لا نعدم وجود الأدب العربي من إنتاج الأدباء العرب الداخلين المشاركة. ولعل البداية الحقيقية للأدب العربي في الجزائر كانت مع ظهور الدولة الرستمية في تيهرت².

7- حياة اللغة والأدب في ظل الدولة الرستمية:

7/أ- اللغة العربية: كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الدولة الرستمية، وإلى جانبها كانت البربرية، كما هو حال العامية اليوم مع الفصحى. والثابت كذلك أن العربية كانت لغة الكتابة، وقد استعمل الأباضيون حروفها لكتابة البربرية، كما استعملوا من قبل "التيفيناغ"³. وكانت عناية الأئمة الرستميين بالعربية كبيرة، حيث اتخذوها وعاء للفكر، وتبنوها في أوساط البربر. وهذه العلوم جاءت أهميتها لدراسة العلوم الدينية والشرعية وهي متنوعة منها: اللغة، والنحو، والإعراب، والبيان، والأدب بقسميه: الشعر والنثر.

7/ب- النحو: لا يمكن بأي حال أن نصف الرستميين بالمبدعين في علم النحو العربي، في هذه الفترة المبكرة من تاريخهم، إذا ما استثنينا الأئمة منهم، رغم احتكاكهم بإخوانهم في البصرة بالعراق. ولكننا لا نعدم - رغم ذلك - بعض المتفوقين أمثال أبي عبيدة، الذي كان "عالما بالفقه، والكلام، والوثائق، والنحو، واللغة"⁴. ولا نشك أنه كان لهذا العالم طلبة يتلمذون على يديه، خاصة إذا علمنا علاقة النحو باللغة وفهمها، وأهمية تعلم اللغة العربية في الفهم الصحيح للدين.

7/ج- الأدب: تكاد تتفق الدراسات الحديثة، على أن الدولة الرستمية، لم تبرز في الحياة الأدبية بروزها في الحياة الدينية، من فقه وتفسير ومناظرات. ويرجع ذلك إلى جملة من الأسباب؛ أولها: اهتمام الأئمة البالغ بالثقافة الدينية على حساب الحياة الأدبية، باستثناء الإمام أبي بكر بن أفلح، كما أشار إلى ذلك ابن الصغير⁵. وثانيها: لم يكن الأئمة الرستميون ينتظرون من الشاعر أن يدافع عليهم، أو يشهر أفكارهم، بقدر ما كانوا يعولون على الشراة⁶. وثالثها: عدم اهتمام المؤرخين بتدوين الأدب الرستمي، أو تعرضه للحرق في المكتبة المعصومة على يد العبيديين.

¹ - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص337.

² - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010م، ص68.

³ - ابتكر الأمازيغ خط التيفيناغ وهو من أقدم الأبجديات التي عرفت الإنسانية، التي يرجع وجودها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام تقريبا كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وأفريقيا الشمالية

[1]. وقد نجح المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في معايرته. [/ps://ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/)

⁴ - ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دتط، ص84.

⁵ - ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، ص63-64.

⁶ - بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص355. نقلا عن:

ومع ذلك يمكن أن نجد شيئا من الشعر والنثر مما يدل على وجود حياة أدبية بالدولة، ويساعد الباحث على مقاربة تلك الآداب، لينظر إليها فيقيمها من حيث الشكل والمضمون والأدبية.. ولقد حفلت الحياة الأدبية الرستمية بقليل من الشعر، وكثير من النثر، كان مجموعة من الخطب والرسائل الديوانية والوصايا، صدرت كلها عن الأئمة الرستميين، وعن بعض المقربين منهم. وسجل الشعر - أيضا - حضوره التأسيسي للدولة، وإن كان بشكل أقل من النثر.

- أما الشعر فمن المؤكد أن الشاعر الرستمي تناول كل الأغراض الشعرية التي كانت معروفة في بلاد المشرق العربي؛ وقد ثبت لنا منها: غرض الشعر التعليمي، وغرض الهجاء، وغرض المدح، وغرض الاعتذار، والتهنئة، والثناء، والتحريض. واشتهر من شعرائهم: الشاعر بكر بن حماد التاهرتي، والإمام الشاعر أفلح بن عبد الوهاب، والشاعر ابن الخراز أحمد بن فتح التاهرتي، والشاعر فضل بن نصر التاهرتي. ويتصدر بكر بن حماد الشعراء المذكورين من حيث الكم الشعري، ثم يليه الإمام أفلح بن عبد الوهاب، ثم الشاعر ابن الخراز أحمد بن فتح، ثم الشاعر فضل بن نصر التاهرتي. وهكذا يسجل الشعر حضوره التأسيسي للدولة الرستمية، وإن كان بشكل أقل من النثر.

- وأما النثر فحفلت الحياة الأدبية الرستمية بكثير من النثر بالمقارنة بالشعر، وكان ذلك النثر مجموعة من الخطب والرسائل الديوانية والوصايا، صدرت كلها عن الأئمة الرستميين، وعن بعض المقربين منهم. النثر أحد شكلي التعبير الأدبي الرئيسيين، وهو لغة الكلام والكتابة العاديين، هو في اللغة؛ "رميك الشيء بيدك متفرقا"⁽¹⁾، أما في الاصطلاح فهو؛ "الكلام الذي لا يتقيد بوزن وقافية، وهو أساس الكلام، وجملة"⁽²⁾. وكان النثر في العهد الرستمي السمة البارزة، وكان متفوقا على الشعر، ويكاد ينحسر في بعض الخطب والرسائل.

ومن الطبيعي "أن تكثر الخطب والوصايا مع الدولة الرستمية إذ كانت إباضية، وكان أئمتها لا يزالون يدعون رعيّتهم في محيطها بتاهرت، وخارج محيطها، إلى امتثال دعوتهم"⁽³⁾. وكانت الظروف الدينية والسياسية لدولتهم تحتم عليهم رد الأمور إلى نصابها، بالسيف حيناً وبالقول أحيانا، مستعينين بفني الخطابة والتراسل. وليس أصلح من النثر في مثل هذا المقام.

وقد اشتهر من كتاب النثر أهل الحل والعقد من الشراة وسادة القبائل، والإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، والخطيب أحمد بن منصور إمام الجامع الكبير بتاهرت، والإمام أفلح بن عبد الوهاب، والإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، وعبد الله اللواتي - وزير الإمام أفلح بن عبد الوهاب..

8- أعلام أدبية جزائرية من الدولة الرستمية، ومختارات من أدبهم:

BekriChikh: Le Kharijisme Berbère. Quelques Aspects du Royaume Rustumide. - Annales de l'institut d'etudes orientales (A.I.E.O). université d'alger. Tome xv; alger.1957. P 95-97

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج8، دط، دتط، ص219.

² - أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1989م، ج2، ص393.

³ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (10) عصر الدول والإمارات، ص222.

● **أحمد بن فتح، المعروف بابن الخزار التاهرتي:** أديب، شاعر، من أهل تاهرت. رحل الى البصرة المغربية ومدح أبا العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم بن إدريس، بقصيدة ذكر ياقوت والمراكشي أبياتا منها في وصف نساء البصرة اللاتي اختصن بالجمال الفائق والحسن الرائق¹

قال أحمد بن فتح المعروف بابن الخزار التيهرتي يمدح أبا العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم²:

قَبَّحَ الإِلَهُ اللّهُو، إِلَّا قَيْنَةَ	بصريّة في حمرة وبياض
الخمير في لحظاتها، والورد في	وجناتها، والكشح غير مفاض
في شكل مرجي ونسك مهاجر،	وعفاف سنّيّ وسمت إباح
تيهّرت أنت خلية، وبرقة	عوّضت منك ببصرة، فاعتاضي
لا عذر للحمراء في كلفي بها،	أو تستفيض بأبحر وحياض

● **بكر بن حماد:** بن سهل (وقيل: صالح، وقيل: سهر، وقيل: سمك) بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي، أبو عبد الرحمن: التاهرتي (200 - 296 هـ / 815 - 908م) من شعراء الطبقة الأولى في عصره، عالم بالحديث ورجاله، فقيه، ولد بتيهرت، ورحل الى البصرة في العراق سنة 217هـ وهو حدث السن، فأخذ عن مسدد الاسدي وغيره، والتقى بدعل الخزاعي، والعباس بن الفرّج الرياشي، وعلي بن الجهم وسهل بن محمد السجستاني، وحبیب بن أوس الطائي .. وغيرهم. واتصل بالخليفة المعتصم بالله ومدحه. وعاد الى افريقية قبل سنة 239هـ فأخذ عن عون بن يوسف الخزاعي وسحنون ابن سعد بالقيروان. ثم تصدر لإملاء الادب والعلم بجامعها الكبير، فارتحل اليه الكثر من أهل افريقية والأندلس للأخذ عنه. وفي السنة 295هـ عاد الى تاهرت فتوفي بعد سنة من عودته (296 هـ) في قلعة ابن حمة شمال تاهرت، وهي نفس السنة التي سقطت فيها الدولة الرستمية بيد العبيديين. له "ديوان شعر" كبير.

- قال بكر بن حماد في معارضة عمران بن حطان وهجاء عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام على كرم الله وجهه³:

قُلْ لِابْنِ مُلْجِمٍ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ	هَدَمْتُ وَيْلَكَ لِلْإِسْلَامِ أُرْكَانًا
قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ	وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا
وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا	سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعًا وَنَبِيَانَا
صَهْرُ النَّبِيِّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ	أَضَحَّتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وَبُرْهَانًا
وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ لَهُ	مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَا
ذَكَرْتُ قَاتِلَهُ وَالِدَمْعُ مُنْخَدِرٌ	فَقَلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ سُبْحَانَا
إِنِّي لِأَحْسَبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ	يَخْشَى الْمَعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانًا
أَشَقَى مُرَادٍ إِذَا عُذَّتْ قَبَائِلُهَا	وَأَخْسَرُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
كَعَاقِرِ النَّاقَةِ الْأُولَى الَّتِي جَلَبَتْ	عَلَى ثَمُودَ بِأَرْضِ الْحِجْرِ خُسْرَانَا

¹ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ص58.

² - الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج1، ص440.

³ - محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1995، ج3، ص126-127.

قَدْ كَانَ يُخْبِرُهُمْ أَنْ سَوْفَ يُخَضَّبُهَا
فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ مَا تَحَمَّلَهُ
لِقَوْلِهِ فِي شَقِيٍّ ظَلَّ مُجْتَرِماً
يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
بَلْ ضَرْبَةً مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظَى
كَأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ قَصْداً بِضَرْبَتِهِ
- وقال بكر بن حماد أيضا في رثاء ابنه عبد الرحمان¹:

بكيت على الأحبة إذا تولوا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا
كفى حزنا بأنني منك خلو
ولم أك آيسا فيئست لما
فليت الخلق إذا خلقوا أطاعوا
نسر بأشهر تمضي سراعا
فلا تفرح بدنيا ليس تبقى
فقد قطع البقاء غروب شمس
وليس الهـم يجلوه نهـار
ولو أني هلكت بكوا عليا
وفقدك قد كوى الأكباد كيا
وأنك ميت وبقيت حيا
رميت التـرب فوقك من يديا
وليتك لم تكن يا بكر شيا
وتطوى في ليالهن طيا
ولا تأسف عليها يا بنيـا
ومطلعها عليـا يا أخيا
تدور له الفراقـد والثريا

● أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم، أبو سعيد (... - 240هـ / ... - 854م): ثالث الأئمة الرستميين من الإباضية في مدينة تيهـرت وأطول أئمة هذه الدولة مدة في الملك. بويـع بعد وفاة أبيه سنة 190 هـ 805 م واستمر في الحكم الى ان توفي سنة 240 هـ 854 م. وكان داهية حازما فقيها كاتبـا شاعرا، اشتهر بالعلوم الدينية ونبغ في الأدب وعرف بقوة الساعد. قال صاحب الازهار الرياضية: "له عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ وحكم" وأورد له نظما. وقيل: له ديوان شعر قد ضاع
- قال الإمام أفلح بن عبد الوهاب يحث على طلب العلم²:

العلم أبقي لأهل العلم آثاراً
حيٍّ وإن مات ذو علم وذو ورع
وذو حياة على جهل ومنقصة
لله عصابة أهل العلم إن لهم
العلم علم كفى بالعلم مكرمة
العلم عند اسمه أكرم به شرفاً
يُشرف العلم للإنسان منزلة
العلم درُّ له فضل ولا أحد
للعلم فضل على الأعمال قاطبة
يريك أشخاصهم رَوحاً وإكاراً
ما مات عبدٌ قضى من ذاك أوطارا
كميت قد ثوى في الرمس أعصاراً
فضلاً على الناس غيابا وخُصاراً
والجهل جهلٌ كفى بالجهل إدبارا
والجهل عند اسمه أعظم به عارا
ويرفع العلم للإنسان أقدارا
في الناس يحصي لذاك الدر مقدارا
عن النبي روينـا فيه أخبارا

¹ - شـاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1966، ص87-88.

² - الباروني سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تح أحمد كروم وآخرين، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2002، ج2، ص247-254.

يقول طالب علم بات ليلته
من عابد سنة لله مجتهدا
وقال إن مداد الطالبين على
مثل دم الشهداء المكرمين لهم
وقال هم يرثون الأنبياء كذا
أكرم بهم من ذوي الفضل المبين لهم
الكاشفين معاني كل مشكلة
أشدد إلى العلم رحلاً فوق راحلة
واصبر على دلج الأغساق معتسفاً
حتى تزور رجلاً في رحالهم
والطف بمن أنت منه العلم مقتبس
فاللطف مستخرج منه فوائده
فصدر ذي العلم إن راجعته حرج
وارصد خواطر ساعات النشاط له
وأحسن الكشف عن علم طالبه
ولا تكن جامعاً للصحف تخزينها
نعم الفضيلة نعم الذخر تورثه
وإن هممت بخير الناس تألفهم
اطلب من العلم ما تقضي الفروض به
واطلبه ما عشت في الدنيا ومدتها
واجعله لله لا تجعله مفخرة
تعساً لكل مرء غير مقتصد
يصطاد بالعلم أموال العباد كما
لو كان في فلول الأرض معترضا
ولا تخادع بما تبدييه خالقنا
مولاك يعلم ما تخفي الصدور فلا
ولا تداهن إذا ما قلت مسألة
واجعل لنفسك حظاً من مذاكرة
وانشط لعلمك إذ لا بد من ملل
وعاشر الناس وانظر من تعاشره
قرب مكثر صحب لا يزال يرى
الخير في الناس معدوم وفاعله
وكن بربك لا بالناس معتصماً
خير العباد عباد الله إن له

في العلم أعظم عند الله أخطارا
صام النهار وأحيا الليل أسهرا
ثيابهم وعلى القراطيس أسطارا
فضل فأكرم بأهل العلم أخيارا
فيهم رؤينا أحاديثاً وأخبارا
إرث النبوة في أيديهم صارا
والمظهرين خفي الغمض إظهارا
وصل إلى العلم في الآفاق أسفارا
مهامه الأرض أحزاناً وأقطارا
فضل فأكرم بأهل العلم زوارا
جدد له كل يوم منك إبرارا
وكن لصولته إن صال صبارا
فقد برى الله هذا الخلق أطوارا
إذا أردت لبعض القول تكرارا
والزم دراسته سرا وإجهارا
كالعير يحمل بين العير أسفارا
لنفسك اليوم إن أحسنت آثارا
ألفت بالعلم أبراراً وأخيارا
واعمل بعلمك مضطراً ومختاراً
لموقف العرض ألا تُورد النارا
ولا ترائي به بدوا وحضارا
وقد تقلد آثاماً وأوزارا
يصطاد مقتنص بالباز أطيّارا
وللدراهم في الأسواق طرارا
فالله يعلم ما تخفيه إضمارا
يكن لك الحلم من مولاك غرارا
أضررت بالدين إن داهنت إضرارا
مع الصديق إذا استوحشت أسمارا
ولا تكن من جميع الناس فرارا
قصدا ولا تكثرن الصحب إكثارا
لنفسه قرناء السوء أشراراً
إلا القليل وذاك القل قد بارا
كفى بربك رزاقاً وغفاراً
لطفاً خفياً يرد العسر إيساراً

- النصيحة العامة من الإمام أفلح رحمه الله إلى كل من كان تحت لوائه من المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[من أفلح بن عبد الوهاب]، إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين، [أما بعد]: فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام، وأبقانا بعد تناسخ الأمم، حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبيئها بالتبليغ، ومصدقة لجميع الأنبياء، وشاهدة على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء عليهم السلام إليهم منا من الله ورحمة.

أرسل إلينا نبيُّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعدته بالنصر على الأعداء وضمن له الفلج والغلبة ووعدته بالعصمة وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. (المائدة: 67). فأدى عليه الصلاة والسلام، ما أمر الله به، ونصح لأمته ودعا إلى سبيل ربه، وجاهد عدوه، وغلظ على الكفار، ولان للمؤمنين، فكان لهم كما وصفه الله عز وجل رؤوفاً رحيماً، حتى انقضت مدته، وفنيت أيامه واختار له ربه ما عنده، فقبضه محمود السعي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم.

فلم تبق خصلة من خصال الخير الدالة على الرشد، الداعية إلى النجاة إلا ودعا إليها وسنها أو فرضها أو أوجبها، ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا وزجر عنها وأمر باجتنابها، رحمة من الله لعباده فله الحمد على ذلك كثيراً.

ثم أمر بالجهاد في سبيله والقيام بحقه، والأخذ بأمره والانتهاز عما نهى عنه، وفرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم، والقمع للظالمين، لكي لا تقوم للشيطان دعوة، ولا تثبت لأهل حزبه قدم، ولا ينفذ لهم حكم، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الدين، وإعزازه وهو الجهاد وتأدية الحقوق الواجبة لله تعالى.

فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم والقيام له بحقه، فيما وافق هواكم أو خالفه وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته وطلب مرضاته، لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب وكرم المآب.

وعليكم بتقوى الله، واتباع آثار سلفكم، فقد سنوا لكم الهدى، وأوضحوا لكم طريق الحق، وحملوكم على المنهاج، ففي اتباعهم النجاة وفي خلافهم تخشى الهلكة، فاتبعوا ولا تتبدعوا، واجتهدوا في إدراك ما أدركوه، وإياكم والبدع فإن البدع هلكة، وسوء طريقة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة كفر، وكل كفر في النار، فمن ترك آثار سلفكم الصالحين، واتبع غير سبيلهم فقد أحل بنفسه الهلكة ووجب عليكم القيام عليه والبراءة منه، وخلعه مما هو عليه حتى لا يجد عندكم هوادة، ولا ادهانا وحتى لا تقوم لظالم حجة، وتطاع له مقالة فإنكم متى لم يجد ظالم فيكم ولا عندكم مقاما عززتم وعز دينكم، وكان لكم ذلك من الله فوزا عظيما.

[واعلموا] أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده وبلاده، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، فليس لأحد منكم عذر ولا حجة، يحتج بها على الله، فقد أوضح لكم المنهاج، وأنار لكم طريقة الحق وجعل لكل زمان رجالا تسند إليهم الأمور، ويأمرهم فيطاع أمرهم، ويدعون فيجاب نداؤهم، وأنتم رجال زمانكم، والكبراء من أهل موضعكم فأعرضوا أعمالكم على أعمال من تقدم قبلكم، من سلفكم وأهل الزمان الأول من أوائلكم، فإن كانت أعمالكم موافقة لأعمالهم، فانه على ذلك محمود، وعليكم الثبوت والازدياد من كل خير، وإن كانت أعمالكم قد قصرت عن أعمالهم، وحطمتكم الذنوب عن البلوغ إلى درجاتهم فأحسنوا محاسبة أنفسكم وانتبهوا من نومة الغفلة وخذوا لأنفسكم من أنفسكم، وأنتم سالمون من قبل أن تؤخذوا ويؤخذ منكم بالكظم، وتصيروا في حالة لا يستغيث فيها مستغيث، ولا تقبل من نفس

فدية، فاتقوا الله حق تقاته، وتواصوا بالبر والتقوى، ومروا بالمعروف المفترض عليكم، وانهوا عن المنكر الذي قد نهيتهم عنه، و ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، (آل عمران: 133)، فإنكم لن تسارعوا إليها بالأمانى والتوكل، وإنما تسارعون إليها بالعمل الصالح والمسارة إلى مرضاة ربكم، ولن تتألوا ذلك إلا بعون الله وتوفيقه.

ثم أهدركم أهل البدع، الذين لم يعرفوا حقاً فيتبعوه، ولن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين عاشوا مع أهل الجهل فخلاً بهم الشيطان، ونفخ في قلوبهم الكبر، وأورثهم العجب، فاستحيوا أن يقولوا فيما لا يعلمون لا نعلم، فأفتوا برأيهم أقواماً جهلة، لا يعرفون ما يقال لهم، فضلوا وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، فويل لهم ماذا لهم أنفسهم، وما الذي ظنوه وأملوه إذا تركوا آثارهم من مضي من السلف الصالح، هل يخافون الهلكة في اتباع آثارهم، أو يرجون النجاة في خلاف سبيلهم، كلا، ولكنهم اتبعوا أهواءهم بغير حق، فألزمتهم فتنة الجهل وانتفخت صدورهم من نفخة الكبر، لم يحاسبوا أنفسهم فينكشف لهم خطأهم.

[فاحذروا] معشر المسلمين، من كانت هذه صفته، ومن حل بهذه المنزلة ورضيها لنفسه، واعلموا أن من كان كهذا، فقد صار من حزب الشيطان، وأوليائه لأن الشيطان لم يضل ولم يهلك إلا من باب الكبر، أمره الله أن يسجد لآدم صلى الله عليه وسلم فتكبر عليه، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (سورة الأعراف: 12)، فويله ماذا عليه من آدم إذ خلقه الله من طين، لو سجد له كما أمره الله تعظيماً لله لا لآدم وطاعة لله لا لآدم، وإن كان آدم من طين فهو إنما يطيع الله لا آدم، ولكنه تكبر فهلك، وعاند فكفر ووى فضل وأصر فأهلك نفسه، ولم يضر ذلك آدم، فهكذا هؤلاء المبتدعون الراغبون عن آثار سلفكم، واتباع منهاجكم، والسلوك علة طريقتكم، لم يضرروا إلا أنفسهم، ولم يحطبوا إلا على ظهورهم، ولم ينقصوا إلا حظهم ولم يذهبوا إلا نصيبهم، فأما أنتم على بصيرتكم إن تجنبتم طريقة المبتدعين وخالفتم سنة الظالمين ف«اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم» (آل عمران: 102-103)، وإحسانه إليكم وارغبوا إليه في التوفيق والعصمة، واحذروا ما حذركم منه من أليم عقابه، وارغبوا فيما رغبتكم فيه من جزيل ثوابه واذكروا ما نهاكم عنه، وما وصفه لكم من المبتدعين قبلكم، ومن أضل من الناس فيما مضى، قال عز من قائل: «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» (آل عمران: 105).

لعمري ما تفرقوا إلا ببدعة ابتدعوها، وضلالة أحدثوها، وفتنة رماهم الشيطان بها، فنفخ في قلوبهم الكبر، وأورثهم العجب، فحملهم على ترك المنهاج الذي مضى عليه صالح سلفهم، وزين لهم بدعتهم وصيرهم بعد الهدى ضلالاً، وبعد الإيمان كفاراً، فقال عز وجل فيهم: «أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» (آل عمران: 106)، فسماهم كفاراً بعد الإيمان بما أحدثوه وابتدعوه إذ تركوا ما شرع لهم من الدين، وقال عز من قائل: «وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون» (آل عمران: 107)، فمدحهم إذ ثبتوا على دينه، واتبعوا أمره وسلوكوا منهاج أوائلهم.

فعليكم معشر المسلمين باتباع الآثار، والعمل بما عمل به أسلافكم المتقدمون قبلكم، فقد سنوا لكم الهدى، ففي اتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي، والرشد خير من الغي والهدى خير من الضلالة، والجنة خير من النار، ولن يستوي عند الله من عمل بطاعته وأمره، ومن عمل بمعاصيه وركب سخطه ألم تسمعه يقول عز وجل: «أم حسب الذين

اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» (الجاتية:20).

[هذا] وقد بالغت إليكم في النصيحة، وشرحت لكم الموعظة، ورضيت لكم بما رضيت به لنفسي، ونهيتكم عما أنهى عنه نفسي، نصيحة لله واجتهادا في طلب رضائه، والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته إنه قدير والسلام عليكم ورحمة الله. (1)

■ **وقال سعيد بن واشكل التيهرتي في علته التي مات منها بتنس²:**
 نأى النوم عني واضمحلت عرى الصبر،
 وأصبحت عن دار الأحبة في أسر
 وأصبحت عن تيهرت في دار غربلة،
 وأسلمني مرّ القضاء من القدر
 إلى تنس دار النحوس، فإنها
 يساق إليها كل من تقص العمر
 هو الدهر والسياف والماء حاكم،
 وطالعها المنحوس صمصامة الدهر
 بلاد بها البرغوث يحمل راجلا،
 ويأوي إليها الذئب في زمن الحشر
 ويرجف فيها القلب، في كل ساعة،
 بجيش من السودان يغلب بالوفر
 ترى أهلها صرعى دوى أم ملدم،
 يروحون في سكر ويغدون في سكر

■ **أبو اليقظان محمد بن أفلح: رسالة الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح إلى جميع رعيته إرشادا ونصحا**

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[من محمد بن أفلح] إلى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين، سلام عليكم وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله الصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة، صلى الله عليه وعلى آله وسلم
 [أما بعد]: فإن أفضل ما يتوصى به العباد ويتحاضوا عليه، تقوى الله تعالى، ولزوم طاعته والزجر عن معصيته، والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب، والعمل الصالح.
 [وعليكم معاشر المسلمين بالتهيؤ للقدوم على الله، والتأهب والاستعداد ليوم تشخص فيه الأبصار، وتتغير فيه الألوان، ويشيب فيه الولدان، و«تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» (الحج).

¹ - الباروني سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، ص280-286.

² - الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج2، ص48-49.

[واعلموا] رحمكم الله أن أهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة، قد انقروا وقلت الخُلف منهم ، فرحم الله امرؤً احتسب لنفسه وأرصدها لله في طلب العلم، والنقض على من حاد الله وعدل عن مناهج رسول الله -ﷺ-، وضاد المحققين من عباده، حتى تكون كلمة رسول الله -ﷺ- هي العليا، والباطل زهوقاً.

وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضي من أسلافكم ، والمتقدمين من أئمتكم الصالحين، من أهل دعوتكم، فاقتفوا آثارهم واهتدوا بهداهم، واحذروا الزيغ عن طريقهم، والميل عن مناهجهم ، وخالفوا أهل البدع المضلة والأهواء المزلّة، ممن أراد أن يبدل دينكم و يلبسكم شيعاً ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ونبذ ما جاء به القرآن، فالبس على الضعفاء أمرهم، وزين بدعته في قلوبهم فخدع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى عليه الأئمة الراشدون رحمة الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأفضل كثيراً و ضل عن سواء السبيل، وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية إن شاء الله، وبه نستعين وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله.

9- الأدب الجزائري خلال العهد الرستمي خصائصه، تطوره، وأثره:

- ✓ حفلت البيئة الرستمية بصراعات فكرية حادة وجدل حول الحاكم والحكم؛ انعكست على الإنتاج الأدبي، فجاءت في شكل رسائل وخطب ووصايا.
- ✓ تغلب النشر على الشعر ذلك لأن الإمام الرستمي كان لا يحب أن يتشبه ببلاطات ملوك بني العباس وما يجري فيها.
- ✓ كان الإمام أفلح بن عبد الوهاب مبرزاً في العلم والعرفان والآداب، وله شعر جيد يدل على تفوقه ونبوغه وفضله.
- ✓ كانت تيهرت في المغرب الأوسط كالقيروان في تونس أو قرطبة في الأندلس.
- ✓ كانت العلوم النقلية من أبرز ما اهتم به الرستميون، ومع ذلك فإن العلوم العقلية من جهة أخرى كان لها حظ وافر خاصة في اللغة والنحو والآداب والتاريخ وغيرها من المعارف.
- ✓ وأهم تطور عرفته اللغة العربية في هذه الفترة كتابة البربرية بالحروف العربية.
- ✓ لا شك أن العلاقات الثقافية التي ربطت المغربيين الأوسط والأدنى بالشرق عامة والصرة خاصة، وبالأندلس وأرض السودان الغربي غدت الفكر وساهت في عمليتي التأثير والتأثير.
- ✓ ومجمل القول إن الدولة الرستمية كان لها الفضل الأكبر في نشر الإسلام واللغة العربية.

«المحاضرة - 03 - الثالثة»

بواكير الأدب الجزائري بعد الفتح الإسلامي
الأدب الجزائري في عهد الدولة الأغلبية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الأغلبية
- 2- الجزائر الأغلبية
- 3- الحياة الثقافية في الجزائر الأغلبية
- 4- الأدب الجزائري القديم في ظل الدولة الأغلبية
- 5- الأدب الجزائري خلال العهد الأغلي خصائصه، تطوره، وأثره

1- تاريخ الدولة الأغلبية:

الأغالبة (184-296هـ، 800-909م). أسس هذه الدولة إبراهيم بن الأغلب. ولاه الخليفة هارون الرشيد إفريقية سنة 184هـ، ثم استجاب لطلبه في الإمارة، وجعلها وراثية في نسله من بعده. فحكم إفريقية من الأغالبة أحد عشر أميراً فترة تزيد على القرن، تمتعوا خلالها باستقلال واسع عن الخلافة العباسية ببغداد. بيد أن علاقتهم بجيرانهم الرسميين والأدارسة والأمويين كان يغلب عليها الفتور والتوتر، لما ظل يحلم به أمراء بني الأغلب من إعادة توحيد بلاد المغرب تحت راية العباسيين. ولو أن ذلك لم يمنع بقاء حركة التبادل التجاري والثقافي قوية بين دويلات بلاد المغرب، كما لم يحل دون قيام تعاون بينها في الأزمات.

وقد عرفت إفريقية في العهد الأغلي فترات ازدهار وقوة، وأصبحت من الأقاليم الإسلامية الكبرى التي أشعت بحضارتها على المغرب العربي وجزر البحر المتوسط وأوروبا وجنوبي الصحراء الكبرى. خاصة في عهد إبراهيم الأول (184-196هـ)، الذي أسس الدولة ووطد أركانها، وفي عهد ابنه زيادة الله الأول (201-223هـ)، الذي وجه جيشاً بقيادة أسد بن الفرات سنة 212هـ لفتح جزيرة صقلية.

وفي عهد الأمير محمد الأول (226-242هـ)، الذي شن حملة على مدينة روما نفسها سنة 232هـ، 846م، فافتحمت عساكره أسوارها وعادت بغنائم وأسلاب كثيرة. وكذلك في عهد الأمير إبراهيم الثاني (261-289هـ) الذي تثبت أقدام المسلمين بصقلية، وواصل الفتوحات في جنوبي إيطاليا، وبنى مدينة رقادة وأسس بها بيت الحكمة، على غرار بيت الحكمة ببغداد، تشجيعاً للحركة الفكرية والعلمية التي كانت قائمة بجامع عقبة بن نافع بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس، وأنجبت علماء أمثال القاضي أسد بن الفرات والإمام سحنون بن سعيد. كما عرفت إفريقية فترات اضطراب وضعف في عهد الأمير زيادة الله الثالث (290-296هـ)، مما سهل للشيعنة الاستيلاء على القيروان سنة 296هـ، 909م¹.

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الأغلبية.

2- الجزائر الأغلبية:

الرواية الوحيدة التي عينت حدود الجزائر الأغلبية غربا. هي ذكر اليعقوبي للزاب. إذ نسب إليه مدنا منها باغاية وتيجس وميلة وسطيف، وبلزمة ونقاوس وطبنة ومقرة وأربة. وقال: "ومدينة أربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب"¹. ولم يتجاوزها المسودة". والمسودة هم العباسيون لأن راياتهم سود وشعارهم السواد. وادنة كانت بالحضنة. ويظهر أنها تنتهي جنوبا إلى وادي ريغ وإلى شط الجريد، وشمالا إلى نواحي سطيف وميلة. ويخرج عنها شمالا وطن فرجيوة وجبال بني خطاب وبني تليلان إلى سكيكدة. وغربا وطن زواوة وصنهاجة.

3- الحياة الثقافية في الجزائر الأغلبية:

ونعم هذا القسم من الجزائر في عصر الدولة الأغلبية بنهضة عمرانية وحضارية وعلمية شأنه في ذلك شأن عاصمته الكبرى القيروان، وما تحقق لحكامها الأغلبية.. وتبلغ الجزائر الأغلبية أعظم قسط من الحضارة حين أسس إبراهيم بن أحمد الأغلب (261-874هـ) في مدينته رقادة التي بناها بجوار القيروان بيت الحكمة على غرار بيت الحمة للرشيد والمأمون في بغداد. وهو أول جامعة للعلوم نشأت في بلاد المغرب العربي، وكان يدرس بها الطب والفلسفة، ونعم الشرق الجزائري آنذاك في ظل الأغلبية بالأمن والعدل، وذلك حين ولى الأغلبية ولاية تقاة يحسنون السياسة².

4- الأدب الجزائري القديم في ظل الدولة الأغلبية:

وكان بكر بن حماد الشاعر الرستمي همزة الوصل الثقافية بين الدولتين الرستميتين في الجزائر والأغلبية في تونس؛ وكان هذا الشاعر يتردد على السلطان إبراهيم بن أحمد الأغلب³، الذي وصفه ابن الأبار بالطاغية⁴ ولما كان هم بكر بن حماد الاسترزاق، فلم يكن

¹ - ينظر: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، ص191. وينظر: مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص122.

² - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (10) - عصر الدول والإمارات، ص29-30.

³ - "إبراهيم بن أحمد الأغلب ولي بعد أخيه أبي عبد الله محمد بن أحمد، الذي يعرف بأبي الغرانيق، لكثرة ولوعه بتصيدا. وكان محمد هذا قد عقد لابنه أبي عقاب الأغلب ولاية عهده، واستحلف إبراهيم هذا خمسين يمينا بجامع مدينة القيروان ألا ينازع، وذلك بمحضر مشيخة الأغلب وقضاة القيروان وفقهائها، فلما هلك أبو الغرانيق لست مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين، خلع ابنه أهل القيروان وقدموا إبراهيم بن أحمد في قصة طويلة، فابتلاههم الله بظلمه، وامتنعهم بإسرافه، حتى سموه الفاسق. وكان أول أمره قد أحسن السيرة فيهم نحواً من سبع سنين، ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء ما لم يرتكبه أحد قبله، وأخذ في قتل أصحابه وكتابه وحجابه، حتى إنه قتل ابنه أبا عقاب وبناته؛ والأخبار عنه في ذلك فظيعة شنيعة. وكان كثير المال شديد الحسد، على اتصافه الحزم والعزم والضبط للأمور. ولم يكن يوصف بعلم بارع ولا أدب، وكان ربما صنع من الشعر شيئاً ضعيفاً، فمن ذلك قوله:

نَحْنُ النُّجُومُ بَنُو النُّجُومِ، وَجَدُّنَا قَمَرُ السَّمَاءِ أَبُو النُّجُومِ تَمِيمٌ
وَالشَّمْسُ جَدُّنَا، فَمَنْ ذَا مَثَلُنَا مُتَوَاصِلَانِ: كَرِيمَةٌ وَكَرِيمٌ؟

وحذف هذا النظم الغث أولى من إثباته، وليته بعقاب أهل بيته عوقب على أبياته. ولم يل إفريقية قبله أطول عمراً منه في سلطانه. ملك تسعاً وعشرين سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ليطول به الابتلاء؛ والله يفعل ما يشاء".

- محمد بن عبد الله ابن الأبار، الحلة السيرة، تح حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط2، 1985، ج1، ص171-172.

⁴ - المرجع نفسه، ج1، ص173.

ينظر إلى قبيح فعالة، بقدر ما ينظر إلى مليح ماله. وكان بكر بن حماد يمدحه دونما حرج؛ ولعله يجمل له فعالة، ومن ذلك قوله يلاطفه عندما وجده مختليا بجواريه¹.

خُلِقْنَ الْعَوَانِي لِلرَّجَالِ بَلِيَّةَ
إِذَا مَا أَرَدْنَ الْوَرْدَ فِي غَيْرِ
حِينَ

وكتب تحت الأبيات:

فَإِنْ تَكُنِ الْوَسَائِلُ أَعْوَزْتَنِي فَإِنْ وَسَائِلِي وَرَدُ الْخُدُودِ

يروى أن بكر بن حماد جاء ببعض المديح لهذا السلطان، فوجده منشغلا ببعض جواريه، فاستعمل خادما وأرسل معه تلك الأبيات؛ فلما وصلت السلطان أعجبته، وأعجبت الجواري، فتوسطن عند السلطان للإحسان إلى الشاعر؛ فوصله بمال كثير. إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن كيف استطاع بكر بن حماد أن يلين قلب هذا الرجل، ليجود عليه بالمال؟! وهو الذي أسرف في القتل، وأفنى أصحابه، وكتابه، وحجابه، وقتل ابنه، وثمانية إخوة له رجالا، وثلاثمائة خادم بسبب منديل ضاع منه، كان يمسح به فمه بعد شرب الخمر⁽²⁾.

إن الإجابة هي سحر الكلمة الشعرية، وحسن تمرس بكر بن حماد في التعامل مع الملوك؛ ومن غير ما شك أنه نظم تلك الأبيات عند قدومه على السلطان إبراهيم الأغلب، فالأرجح أنه جاءه بمدايح مكتوبة جاهزة، فلما وجده مشغولا -كما ذكرنا- نظم تلك الأبيات في الحال، وأرسلها إليه، ففعلت فعلها.

وهي تدل على ذكاء بكر، حيث استغل جواري السلطان في التأثير عليه، ومدحهن بالجمال، واعترف لهن بالضعف أمام جمالهن، وأشرك معه السلطان وكل الرجال. وليس أجمل عند المرأة أن ترى الرجل عابدا لجمالها، خاصة إذا كان من ذوي الجاه والسلطان. إن صورة السلطان التي يمكن إدراكها، هي صورة السلطان اللاهي، الماجن، المغرور، والمتنوق لسحر الكلمة الشعرية.

ويتنقل الشاعر من عند السلطان إبراهيم بن أحمد الأغلب، إلى أحمد بن سودة بن سفيان⁽³⁾ أحد العمال الأغلبية على الزاب؛ فيقول⁴:

وَقَائِلَةٌ: زَارَ الْمُلُوكَ فَلَمْ يُفِدْ فَيَا لَيْتَهُ زَارَ ابْنَ سُفْيَانَ أَحْمَدًا
فَتَّى يُسْخِطَ الْمَالَ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ وَيَرْضَى الْعَوَالِي وَالْحُسَامَ الْمُهَنَّدَا

¹ - محمد بن عبد الله ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص174.

² - ابن الخطيب محمد بن عبد الله، أعمال الأعلام، تح أحمد مختار العبادي وآخر، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1964، ج3، ص29.

³ - هو أحمد بن سودة التميمي، كان عاملا للأغلبية على الزاب ثم طرابلس ثم صقلية وله في إيطاليا فتوحات مشهورة توفي بالقيروان عام (260هـ=874م) عن سن عالية، وكان في الجود والأدب بمكان رفيع.

- شاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ص71، تهमيش رقم 1.

⁴ - ابن الأبار محمد بن عبد الله، الحلة السيرة، ج1، ص183.

ومدار البيتين حول الجود والشجاعة، وهما من صفات المديح اللائقة بالملوك؛ ومثل هذه الصفات تتردد كثيرا على أفواه الشعراء تملقا للسلطين؛ ولكن من النادر أن نجد تركيبا لتلك المعاني يشبه تركيب بيتي بكر. فالبيت الأول استفزازي، يستفز ممدوحه على العطاء فيعطي دون شعور، ويحط من قدر الممدوحين السابقين. أما البيت الثاني فيتضمن كناية طيبة، حيث كنى بالعوالي والسيف عن شجاعة السلطان. إنها صورة السلطان المعطاء الجواد إلى درجة التبذير، الشجاع البطل إلى درجة عشق السلاح بدل عشق النساء.

5- الأدب الجزائري خلال العهد الأغربي خصائصه، تطوره، وأثره:

- ✓ من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن الأدب الجزائري القديم في هذه الفترة المبكرة من بلاد المغرب الأوسط، ذلك أن التعريب لم يكتمل، ولم يبلغ درجة النضج.
- ✓ ولكن ما قيل عن الدولة الرستمية في الحياة الثقافية يمكن قوله عن الدولة الأغلبية لأنهما دولتان متعاصرتان.
- ✓ ولكن هناك شيئا من الخصوصية يميز آداب كل دويلة في مرجعيته، فالدولة الرستمية أباضية خارجية لها فكر سياسي يختلف عن الدولة الأغلبية السنية الموالية للدولة العباسية. ولا يخفى أثر الأدب على السياسة.
- ✓ ما وصلنا من أثر أدبي جزائري أغربي في هذه الفترة الشعر القليل الذي نظمه بكر بن حماد، وقد ذكرناه أعلاه.

﴿المحاضرة - 04 - الرابعة﴾
بواكير الأدب الجزائري بعد الفتح الإسلامي
الأدب الجزائري في عهد الدولة الإدريسية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الإدريسية
- 2- العلويون في المغرب الأوسط
- 3- الأدب الجزائري القديم في ظل الدولة الإدريسية

1- تاريخ الدولة الإدريسية:

الأدارسة (172 - 364هـ، 788 - 974م) أسسها إدريس بن عبد الله، من أحفاد الحسن بن علي ابن أبي طالب، كان قد التحق بالمغرب الأقصى بعد نجاته من واقعة فخ سنة 169هـ، 785م. وهناك التفت حوله بعض القبائل فأعلن إمارة شيعية مستقلة عن القيروان سنة 172هـ. ويُعدّ ابنه إدريس الثاني (193 - 214هـ) المؤسس الحقيقي لهذه الدولة ولعاصمتها فاس. وقد انقسمت بعده بين أبنائه العشرة ثم استعادت وحدتها في عهد الأمير يحيى (221 - 234هـ) لتتقسم بعده، فبقيت كذلك إلى أن استولى الفاطميون على المغرب الأقصى سنة 310هـ، 921م. وقضى الأمويون بالأندلس على ما بقي من أثر الأدارسة في الجبال المتاخمة لطنجة سنة 364هـ، 974م. وقد كان لدولة الأدارسة دور في نشر الإسلام واللغة العربية بين قبائل البربر بالمغرب الأقصى¹.

2- العلويون في المغرب الأوسط:

"لما أسس ادريس دولته بالمغرب الأقصى، توجه نحو المغرب الأوسط كي يفتح لدولته طريقا الى المشرق.. فزحف منتصف رجب سنة 173هـ في جموع مطغرة وغيرهم. ونزل على تلمسان. وصاحبها يومئذ محمد بن خزر. فأطاعه وسلم له المدينة. فدخلها من غير حرب. وأقام بها أشهرا. بنى بها المسجد الأعظم. وكتب على منبره: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن رضي الله عنهم. وذلك في صفر سنة 174"، قال ابن خلدون: "ولم يزل اسمه محفوظا في صفح المنبر لهذا العهد".

أخذت زناتة بدعوة ادريس وتبعته مغيلة. وحاربوا لها الرستميين وغيرهم. وقامت قيامة هرون الرشيد لما بلغه خبره. وقال: "تلمسان باب افريقية. ومن ملك الباب يوشك ان يلج الدار". فأوعز الى أمراء القيروان بحربه. فحاربه روح بن حاتم من غير طائل وهم بعده الفضل ابن روح بحرب المغرب الادريسي. فلم يطعه الجند. وكثر تمرد الجند على الامراء. واستشار الرشيد وزيره يحيى البرمكي. فأشار عليه بارسال داهية يتحيل في اغتيال ادريس. فاختر الشماخ الذي تحيل حتى توصل الى سم ادريس. "ورب حيلة أنفع من قبيلة".

ولحق بادريس اخوه سليمان. وكان ممن حضر وقعة فخ ونجا على الصحيح. قال البكري: "قال علي النوفلي أخبرني عيسى بن جنون قاضي ارشقول لادريس بن عيسى (من

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: إدريسية.

بني سليمان)، ودخل الاندلس غازيا، ان سليمان بن عبد الله دخل المغرب أيضا. ونزل تلمسان". وقال ابن خلدون: "لحق سليمان بجهات تاهرت بعد مهلك ادريس. فطلب الامر هنالك واستنكره البرابرة. وطلبه ولاية الاغالبة. فكان في طلبهم تصحيح نسبه (لدى البربر) ولحق بتلمسان. فملكها واذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هناك".

ولما هلك سليمان خلفه ابنه محمد. وكبر ابن عمه ادريس الاصغر. فانصلت ايديهما. ونهض ادريس الى تلمسان سنة 199 وحارب المخالفين عليه من نفزة وبقية الصفورية. وبلغ شلفا وما وراءه الى بلاد صنهاجة. وألفى جامع والده قد انصدع فرممه. وأصلح منبره. نقل ابن أبي زرع عن عبد الملك الوراق انه قال: "دخلت تلمسان سنة 255 فرايت في رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هنالك مكتوبا فيه: هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة 199".

أقام إدريس بتلمسان ثلاث سنوات. ثم اصطلح مع ابن الاغلب وعينت الحدود بينهما بوادي شلف. وعقد على المغرب الاوسط لابن عمه محمد بن سليمان. وكر راجعا الى عاصمته. واستقر محمد بعين الحوت من ناحية تلمسان. وتوفي بجبل وهران. وترك أبناء اقتسموا مملكته. وسنفرد لممالكهم فصلا. وافلت من وقعة فخ ايضا داوود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب. ولحق ببني عمه بالمغرب. وحضر مع ادريس الاصغر بعض وقائعه مع الخوارج. قال البكري: "وانصرف داوود الى المشرق. وبقيت ذريته بفاس. وبنو ادريس يناكحونهم".

ومن بني جعفر هذا اخي عبد الله الكامل رجال نزلوا متيجة وملكوها. ولحق بالمغرب ايضا من العلويين الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ونزل مدينة هاز القريبة من المسيلة. وكانت له من تلك الجهات مملكة. قال البكري: "وكان له من البنين حمزة وعبد الله وابراهيم واحمد ومحمد والقاسم. وكلهم أعقب وعقبهم هنالك". واذا نظرنا الى الممالك العلوية من بني محمد بن سليمان وبني جعفر وبني الحسن الفروع الثلاثة التي نزلت المغرب الاوسط وجدناها تمتد على السواحل من أرض الريف غربا الى أرض الحضنة من عمالة قسنطينة شرقا. وغرضنا الآن معرفة مملكتي هاز ومتيجة¹.

3- الأدب الجزائري القديم في ظل الدولة الإدريسية:

كانت الدولتان الرستمية والإدريسية متعاصرتين، ولكننا "لا نعرف عن العلاقة الرستمية الإدريسية في المجال الثقافي إلا ما كان من الشاعر التيهرتي بكر بن حماد الذي مدح بعض الحكام الأدارسة"². ومنهم الأمير أبو العيش عيسى، الذي كان له ولبنيه مدينة

¹ - ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط خليل شحادة، مراجعة خليل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1988م، ج4، ص17. وينظر: مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص101.

² - بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص384.

تلمسان، وما والاها، مثل: زواغة، ونفزة، ومغيلة، وغيرها. وكلها مدن مغربية قديمة؛ وقد نالها أبو العيش بالسيف والحرب تلو الحرب.

ولما كان الأدارسة من نسل علي، وكان علي قد استشهد على يد عبد الرحمن بن ملجم طعنا، وكان ابن عم رسول الله - ﷺ -، فقد اكتسب الأدارسة تعاطفا عظيما من المغاربة، إلى درجة أن تركوا بيعة العباسيين وبايعوا إدريس وساندوه. "ولم يكن في بني إدريس مَنْ شَهَرَ بِالْعِلْمِ (..) إِلَّا أَحْمَدُ الْأَكْبَرُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ إِدْرِيسِ بْنِ إِدْرِيسِ؛ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْكَرْتِيِّ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ وَقَدْرٌ بِالْمَغْرِبِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَجْلَبَ بَكْرَ بْنَ حَمَادٍ"¹.

وحسب رواية البكري، فإن الشاعر بكر بن حماد كان عزيز النفس، لم يطرق أبواب بلاطات الأدارسة، بل هم الذين طلبوه. فلما جاءه الرسول اشترط لوازم السفر وثيابا ومالا؛ "فبعث إليه (أحمد بن القاسم) بغلة سنية وصلة جزلة، وكان له فيه أمداح كثيرة"⁽²⁾. غير أنه لم يصلنا من مدائحه فيهم غير مقطوعتين. قال بكر بن حماد في الأولى؛ يمدح أحمد بن القاسم المذكور⁽³⁾ حاكم مدينة كرت⁽⁴⁾ بما نصه⁵:

إن السـمـاحـة والمـروءة والنـدى	جمعوا لأحمد من بني القاسم
وإذا تفاخرت القبائل وانتمت	وافخر بفضل محمد وبفاطم
وبجعفر الطيار في درج العلا	وعلي العضب الحسام الصارم
إنني لمشـتـاق إليـك وإنمـا	يسمو العقاب إذا سما بقوادم
فابعث إلي بمركب أسمو به	علي أكون عليك أول قادم
واعلم بأنك لن تنال محبة	إلا ببعض ملابس ودراهم

والظاهر أن بكر بن حماد مدح ممدوحه على أساس خلقي، ونسب إليه الجود، وكل الآداب النفسية التي تحمل صاحبها على محاسن الأخلاق وجميل العادات، والفضل والخير والسخاء. ولعل هذا أساس التفاخر في الإسلام، كما قال الحق - ﷻ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

¹ - عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب - وهو جزء من كتاب المسالك والممالك -، تحقيق أدريان وان ليون وأندرو فري، دار الغرب الإسلامي، تونس، دط، 1992م، ج2، ص814.

² - محمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج. س. كولان- ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص236.

³ - "أبو العيش (000 - 348 هـ = 959 - 000م أحمد بن القاسم كنون بن محمد: من أدارسة المغرب في دولتهم الثانية. تولى الريف والمغرب الأقصى (عدا مدينة فاس بعد أبيه سنة 337هـ وأقام في قلعة (حجر النسر وكانت الدعوة في أيام أبيه للعبيديين من الشيعة، فلما تولى بايع لعبد الرحمن الناصر (صاحب الأندلس وأمر بالخطبة له، فطلب منه الناصر أن ينزل له عن (طنجة ليضيفها إلى سبتة، فامتنع، فحاصره الناصر، فنزل له عن طنجة. وبقي على أعماله إلى أن عثر له الجهاد في أطراف الأندلس، فاستأذن الناصر في ذلك، فأذن له، فذهب إلى الأندلس فأكرمه الناصر وأمر بأن يبنى له قصر في كل مدينة ينزلها، فاستمر إلى أن استشهد في إحدى الوقائع غزيا. وكان متفقا ورعا عارفا بالسير وأخبار الملوك وأيام الناس، وله شجاعة وجود".

- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002، ج1، ص197.

⁴ - مدينة كرت: يقال لها كُرت وكُرت؛ مدينة في أقصى بلاد المغرب، قرب بلاد السودان.

- ينظر: الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج4، ص446.

⁵ - سليمان بن عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، ص96.

عَلِيمٌ خَبِيرٌ»¹. خاصة إذا كان التفاخر على مستوى الفرد. فإذا كان على أساس العرق والنسب، فإنَّ نسب الممدوح إلى الرسول محمد وابنته فاطمة وجعفر الطيار² فلا مكان للطعن فيه. ويُحسِن الشاعر التخلص من المدح ليدخل باب الطلب.

وما كان من الأمير إلا أن استجاب له، لمعرفته بقدر بكر ومكانته، فإن بكر بن حماد قد طاف شرقا وغربا، وجالس الملوك العظام وأطربهم وأشهرهم في الآفاق. ثم قال بكر بن حماد في مقطوعته الثانية؛ في مدح أبي العيش عيسى بن إدريس³ أمير مدينة جراوة⁴ ومؤسسها⁵:

سَائِلُ زَوَاغَةٍ عَنْ طَعَانِ سُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ فِي الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ
وَدِيَارِ نَفْزَةٍ كَيْفَ دَاسَ حَرِيمَهَا وَالْخَيْلُ تَمَرَعُ فِي الْوَشِيحِ الذَّبَلِ
عَشَى مَغِيلَةَ السُّيُوفِ مَذْلَةً وَسَقَى جَرَاوَةَ مِنْ نَقِيعِ الْخَنْظَلِ

¹ - سورة الحجرات، الآية 13.

² - "جَعْفَرُ الطَّيَّارِ (000 - 8 هـ = 629 - 000 م) جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له (جعفر الطيار) وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخيبر (سنة 7 هـ) وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، ففقطعت يمينه، فحمل الراية باليسرى، ففقطعت أيضا، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر، حتى وقع شهيدا وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، ففيل: إن الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة".

- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ج2، ص125.

³ - "عيسى بن إدريس (... - نحو 330 هـ = ... - نحو 942 م. عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان الحسني الطالبي، أبو العيش: أمير، من آل سليمان بن عبد الله المقتول بفخ. ولد ونشأ في تلمسان. وبنى مدينة جراوة سنة 257 هـ. وتولى إمارتها، وتوفي بها".

- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ج5، ص100.

⁴ - "جَرَاوَةُ بالضم: موضع بأفريقية بين قسنطينة وقلعة بني حماد".

- الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج2، ص117.

⁵ - محمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص200.

«المحاضرة - 05 - الخامسة»
الأدب الجزائري في عهد الدولة الفاطمية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الفاطمية
- 2- الفاطميون في الجزائر
- 3- النشاط الثقافي الفاطمي في بلاد المغرب العربي
- 4- صورة الحياة الأدبية الجزائرية في ظل الدولة الفاطمية
- 5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الفاطمية، ومختارات من أدبهم
- 6- الخصائص الفنية والشكلية للأدب الجزائري الفاطمي

1- تاريخ الدولة الفاطمية:

الفاطميون العبيديون أسرة حكمت في التاريخ ما يقرب من ثلاثة قرون، (298 - 567هـ، 911 - 1171م). نشأت في شمال إفريقيا وامتد حكمها إلى مصر وبعض بلاد الشام، وتتنسب إلى مؤسسها أبي عبيد الله الشيعي الخليفة الفاطمي المؤسس. بعث أئمة الشيعة العلويون دعائهم إلى شمالي إفريقيا لنشر دعوتهم بعيداً عن مركز الدولة العباسية. واستطاع أبو عبيد الله الحسين الشيعي أن يلتقي في أحد مواسم الحج بحُجاج من قبيلة كتامة البربرية، وأقنعهم بتبني الدعوة الفاطمية، وسافر معهم إلى إفريقيا (تونس)، فوجد البلاد مهية لنشر دعوته بسبب كراهية أهلها للأغلبة والعباسيين. فكُون قوة عسكرية من الساخطين، فهزم بهم الأغلبة وأنهى حكمهم سنة 296هـ، 909م، واستدعى أحد أئمة الشيعة - سعيد بن الحسين - ولقبه عبيد الله المهدي ونادى به خليفة، ليؤسس بذلك بداية الدولة الفاطمية المغربية.

ذكر المؤرخون كلاماً كثيراً عن عبيد الله. وكان أول ما قام به بناء عاصمة جديدة تسمى المهدية، ووسع رقعة بلاده بالسيف، وبقوة الأسطول الذي ورثه عن الأغلبة. ولجأ إلى تدعيم مركزه بالفتوحات المبكرة ليصرف الناس عن الصراع الفكري والسياسي داخل الدولة. ويرى بعض المؤرخين أن سبب انتقال عاصمته إلى المهدية بونس ثم إلى القاهرة بمصر هو للخروج من هذا الجو.

بسط الفاطميون سيادتهم على مصر في عهد المعز لدين الله الفاطمي، الذي خلف عبيد الله المهدي، حين استطاع قائده جوهر الصقلي فتح مصر سنة 358هـ، 969م، وأطاح بالدولة الإخشيدية التي شاخت بعد موت كافور وضربها القحط والوباء، وأسس مدينة القاهرة سنة 358هـ، 969م والجامع الأزهر سنة 359 - 361هـ، 969 - 971م، وقصرًا لسيدته المعز الذي انتقل إلى القاهرة سنة 362هـ، 973م، وجعلها عاصمة له، تنافس عاصمة الخلافة العباسية.

وترك أمر المغرب إلى حكم قبيلة صنهاجة البربرية الذين عرفت دولتهم باسم دولة بني زيري نسبة إلى أول ملوكها بلكين بن زيري الصنهاجي، وورث الفاطميون ملك الإخشيديين بالشام والحجاز، واستولى على الملك في بغداد قائد تركي يدعى البساسيري وأصبح يدعو من على المنابر للخليفة الفاطمي المستنصر. وبسط الفاطميون نفوذهم على

غربي البحر الأبيض المتوسط ليتحدوا مع الأمويين في الأندلس ضد عدوهم المشترك من عباسيين وروم¹.

2- الفاطميون في الجزائر:

استولى الفاطميون على منطقة الزاب من المغرب الأوسط، واختطوا مدينة المسيلة (المحمدية)، اختطها أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي، سنة (315هـ=926م)، وبناها علي بن حمدون المشهور بابن الأندلسية²، وولوه أميراً على الزاب، وجعلوا مدينة المسيلة (عاصمة للزاب).

3- النشاط الثقافي الفاطمي في بلاد المغرب العربي:

كانت جهود الفاطميين حين دخلوا بلاد المغرب موجهة إلى نشر مذهبهم الشيعي، وكسر شوكة خصومهم من أهل السنة، وقد كان أكثر أهل المغرب على مذهب مالك. فأكثرُوا القتل والفساد طيلة فترة تواجدهم بالمغرب (298-362هـ)، أي ما يقارب 64 سنة هجرية. ولم يَسَلَمْ معارض من بطشهم إلا مَنْ فرَّ إلى بلاد المشرق أو الأندلس.. وهكذا فرَّ كثير من المثقفين الجزائريين آنذاك إلى الأندلس وأشهرهم عائلة الطنبي..

ورغم أنَّ علي بن حمدون بن الأندلسي استطاع أن ينشط الحركة الثقافية، يقرب إليه العلماء والأدباء، ويغدق عليهم بالأموال، وكذلك فعل من بعده ابنه جعفر. فاجتذب القصر الفاطمي في المسيلة شعراء مبرزين، أمثال ابن هانئ الأندلسي، الذي ناصر الشيعة، ومدح أمراءها، وهجا خصومها، طمعا في القربى، والجاه، والمال. ومن ناحية أخرى نشط الجدل الديني بين فقهاء المالكية والفاطميين، وأنتجوا نثرا وشعرا لم تكن غايته الصنعة الفنية، وإنما مجرد الإقناع. تجنَّب أكثر الجزائريين البلاط الفاطمي، وتحفظوا في مدح الفاطميين، لأن شعراء الدولة الفاطمية يمدحون خلفاءهم إلى درجة الكفر البواح، وينشرونه بين الناس، وقد ظهر ذلك في شعر ابن هانئ الأندلسي، في مدحه للمعز. ومنه قوله³:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار	فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد	وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشرنا به	في كتبها الأخبار والأخبار

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الفاطميون العبيديون.

² - علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي (ت 334 هـ = 945 م)، ويقال له ابن الأندلسي، وابن الأندلسية. هو أول من ولي إمارة "الزاب" بإفريقية في عهد الفاطميين، وهو من بنى المسيلة (المحمدية) بأمر من الحاكم الفاطمي آنذاك. وكان على اتصال بهم وهم في المشرق، قبل ظهور دعوتهم. فلما تملكوا في المغرب، ولَّوه على الزاب، فأقام فيها إلى أن كانت فتنة أبي يزيد (مخلد بن كيداد) في أيام القائم بأمر الله (الفاطمي) فأمره القائم بأن يجند قبائل البربر ويوافيه إلى "المهدية" فنهض بعسكر ضخم، وقارب باجة (بإفريقية) فهاجمه أيوب بن أبي يزيد، فاقتتلا، فسقط ابن حمدون من بعض الشواهد فمات.

- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج4، ص107-108. وينظر أيضا: الزركلي خير الدين، الأعلام، ج4، ص282.

³ - محمد بن هانئ الأندلسي، الديوان، إشراف المعلم شاهين عطية، المطبعة اللبنانية، بيروت، لبنان، دط، 1886م، ص88.

ومنه تشبيه شعرائهم المهدية بمكة المكرمة، وقصر المهدي بالكعبة؛ في قول بعضهم¹:

هِيَ المَهْدِيَّةُ الحَرَمُ المَوْقَى كما بتهامة البلد الحرام
كأن مقام إبراهيم فيه ثرى قدميك إن عدم المقام
وإن لئم الحجيج الركن أضحي لنا بعراض قصركم التشام
ومدح الشعراء عبيد الله بالكفر، فاستجاره. وكان فيما مُدِحَ به شعرٌ لمحمد البديل،
كاتب أبي قضاة²:

حَلَّ بِرَقَّةِ المَسِيحِ حَلَّ بِهَا آدَمُ وَنُوحُ
حَلَّ بِهَا أَحْمَدُ المَصْطَفَى حَلَّ بِهَا الكَبِشُ وَالذَّبِيحُ
حَلَّ بِهَا الله ذو المعالي وكلُّ شيءٍ سِوَاهُ رِيحُ
ومما زهد الأدباء والعلماء غير الشيعيين في الاندماج في الثقافة الفاطمية، منعهم
لأولئك من التدريس في المساجد، ومنعهم من نشر العلم، والاجتماع بالطلبة، "فكان من يأخذ
عنهم، أو يتذاكر معهم، إنما يكون سرّاً، وعلى حال خوف وريبة"³

4- الحياة الأدبية الجزائرية في ظل الدولة الفاطمية:

مرت الحركة الأدبية الجزائرية في الدولة الفاطمية بمرحلتين متميزتين: المرحلة
الأولى زمن تواجدها في بلاد المغرب العربي، وفي بلاد الزاب. والمرحلة الثانية هجرتها
إلى القاهرة واستقرارها فيها، من 362هـ إلى أن سقطت على يد الدولة الأيوبية سنة
567هـ. وقد كان للجزائريين القدامى مشاركة فعّالة في قيام الدولة الفاطمية من الناحيتين
العسكرية والثقافية. وقبيلة كتامة التي تأسست الدولة الفاطمية على أكتافها. كانت تقطن
الساحل البحري من بونة إلى بجاية، ومن مدنها بلزمة، باغاية، سطيف، قسنطينة، جيجل،
القل، سكيكدة وتتقدم إلى حدود جبل أوراس⁴.

5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الفاطمية، ومختارات من أدبهم:

● **محمد بن المنيب:** عرفه شاوش محمد بن رمضان تعريفا مقتضبا لا يفي بالغرض،
ولا يقطع الظن بأن هذا الشاعر جزائري في أصوله؛ إذ يقول: (لا نعلم عن حياة وآثار هذا
الشاعر شيئاً سوى أنه كان من جملة الشعراء الذين كانوا في ركاب الخليفة إسماعيل
المنصور العبيدي حين حصاره لأبي يزيد بن مخلد الخارجي الذي اعتصم عند انهزامه
بجبل كيانة من بلاد كتامة عام 335هـ = 946م). أما صاحب معجم أعلام الجزائر فلم
يذكره على الإطلاق في كتابه. ولتوثيق جزائرية هذا الرجل نقول: إن الشاعر ابن المنيب
ينتسب إلى قبيلة كيانة، التي اعتصم فيها الثائر مخلد، وكيانة إحدى قبائل كتامة، قال
الاصطرخي: وكتامة أوطانها بناحية سطيف. وقال الحميري في تعريف جبل إيكجان: "جبل
بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة، وبه حصن حصين ومعقل منيع.. المعادلة الآن

¹ - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص184.

² - نفسه، ج1، ص184.

³ - محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م،
ج2، ص183.

⁴ - مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، ص101.

واضحة؛ فالشاعر ابن المنيب من قبيلة كيانة، وهي بطن من كتامة، التي تسكن الجبال الواقعة بين سطيف وقسنطينة.. وبالتالي فابن المنيب جزائري الأصل حسب المعايير التي اعتمدتها؛ لأنه كان يسكن موطن قبيلة كتامة التي كانت إحدى قبائل المغرب الأوسط، أي داخل حدود الجزائر الحالية¹.

قال محمد بن المنيب²: وكان من بين الحاضرين لهذا الحفل العظيم الشاعر الجزائري محمد بن المنيب؛ فقال في وصف ذاك المشهد³: - مشهد الثائر مخلص بن كيداد⁴ في القفص مع قردين-. بعدما قبض عليه المنصور الفاطمي⁵.

وَجَمِيعَ شَبِيعَتِهِ النُّوَاعِرِ	حَلَّ الْبَلَاءُ بِمُخْلَدٍ
قَدْ بَانَ مِنْهُ كُلُّ نَاطِرٍ	أُمَسَّى بِأَرْضِ كِيَانَةٍ
نَظَرَ الْمَحَاصِرَ لِلْمَحَاصِرِ	يَرْنُو بِطَرْفٍ خَاشِعٍ
وَالرَّمْلَ مِنْ تِلْكَ الْعَسَاكِرِ	يَرْنُو إِلَى عَدَدِ الْحَصَى
يَا شَرَّ بَيْتٍ فِي الْعَشَائِرِ	يَا مُخْلَدُ ابْنِ سَبِيكَةٍ
مِنْ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ	ذُقْ مَا جَنَّتْهُ يَدَاكَ قَبْلَ
وَمَا ارْتَكَبْتَ مِنَ الْجَرَائِرِ	ذُقْ هَوْلَ شَقِّكَ لِلْبَطُونِ
وَكِيَانَتِهِ شَرَّ الْبَرَابِرِ	يَاشُرُّ مِنْ بَكِيَانَتِهِ
لَا بُدَّ فِيهِ أَنْتَ صَائِرٍ	انْظُرْ إِلَى الْقَفْصِ الَّذِي
وَمُؤَنَسِيكَ وَمَنْ تَجَاوِرِ	وَانْظُرْ إِلَى أَيْدِيكَ فِيهِ
فَزَرَهُمَا يَاشُرُّ زَائِرِ	قَدْ طَالَ شَوْقُهُمَا إِلَيْكَ

¹ - ينظر: شاوش محمد بن رمضان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص44. - الاصطخري إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، دط، دتط، ص36. - الحميري محمد بن عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، لبنان، ط2، 1980م، ص72.

² - محمد بن علي بن حماد القلعي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وآخر، دار الصحوة، القاهرة، مصر، دط، دتط، ص108.

³ - ابن حماد محمد بن علي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وآخر، دار الصحوة، القاهرة، مصر، صص74-75.

⁴ - مخلص بن كيداد (336 - 000 هـ = 947 - 000 م) مخلص بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري، أبو يزيد: ثائر، من زعماء الإباضية وأئمتهم. بربري الأصل. كان يغلب عليه الزهد والتقشف، ويلبس جبة صوف قصيرة ضيقة الكتفين. ولد ونشأ في (قسطيلة) وكانت تابعة لتوزر، ونشأ بتوزر، وخالف النكارية بتشديد الكاف، وهم من الصفرية، وسافر إلى تاهرت فكان معلما للصبيان فيها. وانتقل إلى (تقيوس). قال ابن خلدون: (ثم أخذ نفسه بالحسبة على الناس وتغيير المنكر سنة 316 فكثر أتباعه) ولما مات المهدي الفاطمي (سنة 322) خرج بناحية جبل (أوراس) وتلقب بشيخ المؤمنين، وقائنته عساكر القائم بأمر الله (ابن المهدي) صاحب المغرب. وعظم أمره، فزحف على (رقادة) في منتهي ألف مقاتل، وامتلكها، وخضعت له القيروان (سنة 333) وأرسل أحد قواده إلى (سوسة) فاستباحها، وحصر (القائم) في عاصمته (المهدية) وجاع أهلها حتى أكلوا الميتات والدواب. ثم بدأت هزائمه بانتفاض بعض البربر عليه، فرجع إلى القيروان (سنة 334) وغنم أهل المهدية معسكره. وتوالت المعارك، وانتقضت عليه (سوسة) فعاد إلى حصارها. ومات (القائم) وتولى ابنه (المنصور) فأخفى موت أبيه وخرج من المهدية، فالتقى بمخلص على (سوسة) فكانت الحرب سجالا، ثم انهزم مخلص، وقتل من أصحابه عدد كبير. وتعقبه المنصور، في جبال وأوعار ومضايق، وكلما أدركه ثبت له (مخلص) قليلا وانهزم، إلى أن حصر في قلعة (كتامة) واستأمن الذين معه فأمنهم المنصور، ودخل القلعة عنوة وأضرها نارا، فحمل (مخلص) على أصحاب المنصور حملة منكرة فأفروا له وخرج. وأمر المنصور بطلبه، فألفوه جريحا قد حملة ثلاثة من أصحابه. فجاءوا به إلى المنصور، فمات من جراحة بعد أسره بأربعة أيام.

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج7، ص194.

⁵ - المنصور الفاطمي (302 - 341 هـ = 914 - 953 م) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي، أبو الطاهر، المنصور بنصر الله: ثالث خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب. - الزركلي خير الدين، الأعلام، ص322-323.

- **عبد الله بن سلامة:** (القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلاد)، عبد الله بن سلامة البجائي، أبو محمد، فقيه، شاعر، من أهل بجاية. سكن مصر، وتنقل بين القاهرة والإسكندرية والصعيد والريف. كان معاصراً للعماد الأصفهاني الكاتب (519-597هـ). ذكره في كتابه: خريدة القصر، وأورد له مقطوعة شعرية.
قال عبد الله بن سلامة:

لي حرممة الضَّيف لو كنتم ذوي كرم
وحرمة الجار لو كنتم ذوي حسب
لكنكم يا بني الأحناء ليس لكم
فضل ولا أنتم من طينة العرب
كم لا أزال على حال أساء بها
منكم وأغضبي على الفخشاء والريب
لأتركن لكم أرضاً بكم عرفت
فأخبثت اليوم ياوي أخبثت الخرب
وما مقامي بأرض تسكنون بها
منّي يطيب ولكن حرفة الأدب

- **علي بن إسماعيل القلي المعروف بالطميش:** شاعر وأديب من أهل القلعة ومن بين الجزائريين الوافدين على بلاط السلطان الحافظ العبيدي¹. ومعاصراً له (467-544هـ). وقد جاءه مهنناً بمناسبة استرداد ملكه من وزيره أحمد بن الأفضل² الذي انقلب عليه وحبسه.. إلى أن استرد الحافظ ملكه بعد عام وقضى على ابن الأفضل وعاد الحافظ للحكم فجاءه المهنئون ومنهم القلي الذي كان مقيماً في مصر بهذه القصيدة³
ولا بدّ من عزم يخيل أنني
قد دخت على الظلماء من نذره فجرا
يجوب ظلاماً كظلم إذا سرى
إذا جنّ جوّن كان بيضته البدر
وليل صحت السيف يرعد حده

¹ - الحافظ العبيدي (467 - 544 هـ = 1074 - 1149 م) عبد المجيد بن المستنصر بالله العبيدي، أبو الميمون، الملقب بالحافظ لدين الله: من خلفاء الدولة الفاطمية (العبيدية) بمصر. ولد في عسقلان، وتملك الديار المصرية سنة 524 هـ بعد موت الأمر بأحكام الله. واستقام له الأمر زمناً. وكان كثير الفتك بوزرائه وخاصته: استوزر أحمد بن الفضل الجمالي، وساء منه أن يتصرف بالأمر دونه، فقتله سنة 526 هـ واستوزر أبا الفتح يانسا الحافظي، فرأى استبداداً منه في الرأي فسمه، وفوض الأمر إلى ابن له يدعى سليمان، فمات لشهرين من ولايته، وأقام ابناً آخر له اسمه حسن، فارتفعت إليه وشاية به فقتله بالسم، سنة 529 هـ واستوزر أميراً أرمنياً يدعى تاج الدولة بعد ذلك أمور الدولة بنفسه، فلم يول وزارته أحداً إلى أن مات بمصر.

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج4، ص150.

² - "ابن الأفضل: (467 - 526 هـ = 1074 - 1131 م). أحمد بن الأفضل شاهنشاه أحمد بن بدر الجمالي، أبو علي: وزير الحافظ الفاطمي صاحب مصر استوزره سنة 524 هـ. وكان داهية فتغلب على الملك وحجر على الحافظ ورد على المصادر أموالهم، فحمد له المصريون ذلك. وأظهر مذهب الإمامية الاثني عشرية، وكتب اسمه على السكة، ودعا على المنابر للقائم في آخر الزمان، واستمر إلى أن قتله أحد مماليك الحافظ، بظاهر القاهرة. ومولده بعسقلان".

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج1، ص90.

³ - الأصفهاني العماد، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب - 1، تح محمد المرزوقي وآخرين، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1966، ص341-342.

وقد شاب فيه مفرق الصّعدة السّمرا
حملت به درعي وسيفي وإثما
حملت غدير الماء والغصن والنّهر
وأشقر ورد اللّيون لولا انتسابه
الى البرق سيرا خلّته المسك والهجر
الى أن بدا وجّة الصّباح كأنّ
لحافظ ديين الله آيته الكبرى
وقد كان ديين الله بالأمس عابسا
لجراؤه حتّى لاح في وجهه بشرا
وكان عليّا حين كان الّذي طغى
معاوية والحارثي لّه عمرا

وينسب له أيضا:

تأبى الصوافن تحته رعى الكلا
وتعاف ورد الماء حتّى تكتسي
وقال في شريف وقيل أنّها لبعض الأندلسيين:
سمت بأبن فضل الدولة الرتب
يحاول قول الشّعر بالجهد دائماً
ومافيه من سيمّا النّبي وطبعه
وله من قصيدة أخرى تجري مجرى الأولى:
زار الحبيب فلم يزرنى غيب
وكانّها الظلماء قد جعلت على
حكمت على دمه سيوف بروقه
يستقبل الروضات ماءً جارياً
ومنها في المديح:

..... برغى الكلا
وتعاف ورد الماء حتّى تشتكى
من قصيدة منسوبة إليه:

لكم وداً ودمتم على الجفا
ويزداد حباً كلّما زدتم قلّى
ولو كان سقماً في الهوى من رضاكم
لما اخترت عنه ما بقيت تنقلا
وزنت مماتي بالبقا عند غيركم
فأفويت موتي عندكم لى أفضلا

6- الخصائص الفنية والشكلية للأدب الجزائري:

✓ كان هذا الأدب شعرا دون النثر، وذلك لاقتران النثر بالكتابة عند السلطان الفاطمي، وما كان الشيعة ليدخلوا ديوانهم سنيا مالكيًا، ويتقرب من السلطان، ويعرف أسرارهم.

- ✓ ناصر بعض الشعراء الجزائريين المتشيعين دعوة الفاطميين، في حربها ضد خصومها، مثل محمد بن المنيب الكتامي. ولا غرابة في ذلك، فعن طريق جماعة من قبيلة كتامة الحجاج، دخل عبد الله الصنعاني، الذي مهّد، لأبي عبيد الله الفاطمي.
- ✓ كان شعريا تكسبيا في مجمله ليس إلا.
- ✓ كان شعرا راقيا في مستواه الفني، طويل النفس، مثل شعر ابن قاضي ميلة.
- ✓ وجد بعضه القبول لمستواه العالي، بل والنجاح، وقوبل البعض الآخر بالرفض والفشل.
- ✓ لم يتورع الشاعر الجزائري المظلوم في دار الغربية أن يهجو أصحاب الدار.
- ✓ رحل بعض الشعراء الجزائريين إلى مصر في عهد الفاطميين، طلبا للرزق والتكسب.

الأدب الجزائري في عهد الدولة الصنهاجية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الصنهاجية
- 2- الصنهاجيون في الجزائر
- 3- المراكز الثقافية في العهد الصنهاجي
- 4- الحياة الأدبية في الدولة الصنهاجية
- 5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الصنهاجية، ومختارات من أدبهم
- 6- الأدب الجزائري خلال العهد الصنهاجي (خصائصه، تطوره، وأثره)

1- تاريخ الدولة الصنهاجية:

(362-543هـ = 973-1148م) ولَّى المعز لدين الله بلكين بن زيري (362-373هـ) إمارة إفريقية والمغرب ما عدا صقلية أواخر سنة 361هـ، اعترافاً بجميل قبيلته صنهاجة، فاخترت بلكين عدة مدن منها الجزائر، وأحمد الحركات المناوئة، وتعاقب على الإمارة أبناؤه وأحفاده من بعده متمسكين بالولاء للخلافة الفاطمية بالقاهرة، ومن أشهرهم باديس بن المنصور (386-406هـ)، الذي انفصل عنه عمه حماد سنة 405هـ، 1014م وأسس دولة مستقلة، قاعدتها قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط. وكذلك المعز بن باديس (406-453هـ)، الذي ساد الأمن في أيامه، فازدهرت البلاد وظهرت بها حركة أدبية وفكرية راقية من أعلامها الطبيب ابن الجزار والأديب الشاعر ابن رشيق .

وفي سنة 435هـ، 1043م، قام أهالي القيروان بانتفاضة ضد الدولة الفاطمية، فاضطر ابن باديس لمجاراة الرأي العام فخلع طاعة الفاطميين وجعل الخطبة للخلافة العباسية سنة 439هـ، 1047م فوجه إليه المستنصر الفاطمي أعراب بني هلال وبني سليم، فغلبوه وسلم لهم القيروان، وانتقل إلى المهديّة حيث توفي. وخلفه ابنه تميم (453-501هـ) على ما بقي بيده وهو جزء يسير من ساحل إفريقية. أما بقية الإمارة فقد انقسمت، واستولى النورمان على صقلية سنة 484هـ، 1091م، وعلى المهديّة سنة 543هـ، 1148م، فغادرها آخر الأمراء الصنهاجيين الحسن بن علي (515-543هـ) إلى المغرب الأقصى مستنجدًا بعبد المؤمن بن علي.¹

2- الصنهاجيون في الجزائر:

وأما "صنهاجة في الجزائر فهم أهل مدر من مدنها أشير ولمدية ومليانة ومتيجة والجزائر"². ولم يقتصر احتكاك الجزائريين بالدولة الصنهاجية عن طريق توسعها في المغرب الأوسط، بل كانت هناك هجرة لبعض الأعلام الجزائريين إلى عاصمة الصنهاجيين القيروان. وقد كان يعيش في حاضرة الصنهاجيين عدد كبير من الأدباء قدر لهم أن يقيموا بها أو يكونوا على اتصال مستمر بها، نازحين من المراكز التي حولها ليستقروا في بلاد المعز. ومن هؤلاء الأدباء الجزائريين عبد الكريم النهشلي أستاذ ابن رشيق وكاتب المعز بن باديس فقد كان شاعرا وناقد فذا، اشتهر بكتاب الممتع في علم الشعر وعروضه؛ وأبو

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة الصنهاجية

² - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص215.

علي حسن بن رشيق المسيلي المعروف بالقيرواني الذي كان من أشهر شعراء ونقاد عصره، وله تأليف كثيرة في النقد أشهرها: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، وقراسة الذهب في نقد أشعار العرب، وأنموذج الزمان في شعراء القيروان¹.

3- المراكز الثقافية في العهد الصنهاجي:

ساعد الحركة الفكرية والثقافية على الازدهار انتشار المكتبات الخاصة والعامة، والمساجد، والكتاتيب، وانتشار التعليم، وإقبال أمراء صنهاجة على العلم والأدباء وأخذهم بأيدي أهله وخاصته. وفي مطلع القرن الخامس الهجري نزح علماء وأدباء وتقربوا منهم، وأجزلوا عليهم بالعطايا، وفي هذا العهد لم تكن المراكز الحضارية وخاصة القيروان معزولة عن المشرق، بل كانت على اتصال به مما أهّلها لأن تكون رابطة طبيعية بين المشرق الإسلامي ومغربه نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز، فيمر عليها الجميع ويقصدها من طلاب علم وعلماء "وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح إلى أن خربها الأعراب دار العلم، إليها ينسب أكبر علمائه وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم"².

وإلى جانب هذا المركز المحوري مراكز أخرى سمت بعصر صنهاجة وساهم في تطورها الفكري من أمثال المهدية التي كان بها بلاط فاخر، التفت حوله مجموعة من العلماء والأدباء والشعراء. ومدينة صبرة التي كان بها ديوان الرسائل، وهو يحتوي على أكثر من مائة كاتب؛ كابن رشيق وابن شرف ويرأسهم أبو الحسن علي بن أبي الرجال³. وفي المغربين الأوسط والأقصى قل مثل ذلك؛ ففي المغرب الأوسط كانت المسيلة وقلعة بني حماد وتيهرت والزاب وتلمسان. وفي المغرب الأقصى كانت فاس ومراكش وغيرها.. وفي محيط هذه المراكز النشطة فكريا وثقافيا انكب العلماء على تأليف الكتب، فظهرت أصناف شتى من المؤلفات تعالج موضوعات مختلفة في المعارف الفقهية والعلمية واللغوية والتاريخية والأدبية.

4- الحياة الأدبية في الدولة الصنهاجية:

كان للحركة الفكرية في عهد الدولة الصنهاجية أربعة مسارب، منها القوي المتسع، ومنها الضيق الضعيف، وهي مجتمعة تؤدي إلى نهر واسع نشط، يزخر بالحياة الثقافية الدافقة. الأول منها مسرب الحديث والفقه، والثاني مسرب اللغة والنحو، والثالث مسرب الشعر والأدب، والرابع مسرب العلم الفلسفي وعلم الطب⁴.

يرى الدارسون للحياة الأدبية في المغرب الإسلامي أن النشاط الأدبي في القيروان الأولى كان ضئيلا والسبب هو انصراف رجال الفكر إلى علوم الشريعة إحساسا بأن البيئة المغربية ما زالت في حاجة إلى نشر تعاليم الإسلام وتنظيم الحياة وفق المبادئ الجديدة على السكان، ففي العهد الفاطمي اتسعت الحركة الأدبية وعرفت تقدما، وأخذت تثمر وتنضج في

¹ - ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص25. وينظر: أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1985، ص79.

² - المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص356.

³ - ينظر: أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1985، ص27.

⁴ - ينظر: عبد الرحمن باغي، حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط1، 2009، ص81.

العهد الصنهاجي، وفي محيطه ازدهر الشعر أكثر مما كان عليه، وتنوعت موضوعاته من مدح وفخر ووصف وغزل ورثاء وخمريات¹.
لقد تعرب الصنهاجيون بسرعة، ولم يشر أحد من الدارسين لاستعمالهم اللغة البربرية إلا الشماخي، وكانت لغزوة بني هلال التي أحدثت فسادا كبيرا في بلاد المغرب الأثر الواسع في عملية التعريب، لاحتكاكهم بالبربر أهل الديار.

إن العصر الصنهاجي عصر النضج الأدبي وربما يعود الفضل إلى أمراء الدولة الذين عملوا على بعث الحركة الفكرية والثقافية في كل نواحي البلاد، فقد كان المعز بن باديس محبا لأهل العلم كثير العطاء، مدحه الشعراء، وقصده الأدباء، واجتمع في بلاطه أكثر من مائة شاعر وأديب². وكان من رجال حكمه الأدباء والشعراء والعلماء من أمثال ابن أبي الرجال رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الذي نعرف حياته الأدبية من خلال كتاب العمدة لابن رشيق³. "فلو أن أعرابيا تذكر نجدا فحنّ به إلى الوطن أو تشوق فيه إلى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر"⁴.
ومهما يكن من أمر فإن الفترة الصنهاجية مثلت عصر الازدهار والنضج، وبلغت البلاد فيها قمة مجدها، وراجت الحياة الفكرية والثقافية رواجا كبيرا، وتطور الشعر والنثر، وربما يعود ذلك إلى إقبال حكامها على العلم والأدب رغبة منهم في نشر المعرفة وتقدير أصحابها "وكان المعز بن باديس وقد حكم أكثر من أربعين سنة لا يسمع بعالم جليل أو شاعر عظيم إلا أحضره إلى حضرته وجعله من خاصته"⁴.

5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الصنهاجية، ومختارات من أدبهم:

• **عبد الكريم النهشلي المسيلي (390 - 463 هـ = 1000 - 1071 م)**⁵ هو عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، ولد ونشأ بالمحمدية، وبها تلقى مبادئ العلوم العربية، ثم انتقل إلى القيروان لإتمام معلوماته، فنبت في جميع العلوم وخصوصا في الأدب والنقد، فاتخذ تلميذ المعز بن باديس كاتباً له، وكان من قبل من ندماء والده المعز، وهو من شيوخ ابن رشيق، الذين كان يأخذ برأيهم في غالب الأوقات، وذلك لما كان له من التأثير الأدبي والنقدي.

إن عبد الكريم النهشلي كان شاعرا قويا، وناقدا بصيرا بأساليب النقد ومناهجه، وهو الذي هيا لأبن رشيق وغيره السبيل للمضي فيه. ومن جملة تصانيفه: الممتع في علم الشعر وعمله، ومجمل القول كان النهشلي من رجال الادب، ومن الثقافة الواسعة في اللغة والبيان والأوزان، وكان بارعا في صناعة الكتابة والشعر، ومتفوقا في النقد.
قال عبد الكريم النهشلي:

1- أحمد يز، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، ص35.

2- ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص22.

3- الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981، ج1، ص113.

4- عبد العزيز قفيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، دط، 2007، ص40.

5- شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص65.

- (أثر البيئة في الشعر)¹: قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم، ونوادير حكاياتهم، قال: والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة.

- (وصف دار البحر بالمنصورية ومدح المعز بن باديس)²

يا ربّ فتیان صدق رحت بينهم	والشمس كالذّنف المعشوق في الأفق
مرضی أصائلها حسری شمائلها	تروّح الغصن الممطور في الورق
معاطيا شمس إبریق إذا مزجت	تقلّدت عقد مرجان من النّزق
عن ماحل طافح بالماء معتلج	كأنما نفسه صيغت من الحدق
تضمّه الرّیح أحياناً، وتفرقه	فالماء ما بين محبوس ومنطلق
من أخضر ناضر والطلّ يلحقه	وأبيض تحت قیظی الضحی یقق
تهزّه الرّیح أحياناً فيمنحها	للزّجر خفق فؤاد العاشق القلق
كأنّ خافاته نطقن من زبد	مناطقاً رصّعت من لؤلؤ نسق
كأن قبتّه من سندس نمط	حسناً مجلّوة اللّبات والعنق
إذا تبلّج فجر فوق زرقته	حسبته فرساً دهماء في بلق
أو لازوردا جرى في متنه ذهب	فلاح في شارق من مائه شرق
عشية كملت حسنا وساعدها	ليل يمدّد أطاباً على الأفق
تجلى بغيرة وضّاح الجبين له	ما شئت من كرم واف ومن خلق

• ابن رشيق المسيلي (385 - 463 هـ = 995 - 1071 م) 3: الحسن بن رشيق، أبو علي: الشهير (بالقيرواني لطول مكوثه بمدينة القيروان في خدمة ملوكها) بالقيرواني لطول مكوثه بمدينة القيروان في خدمة ملوكها، أديب من كبار الأدباء، باحث، شاعر، مؤرخ، نقاد ولد بالمسيلة "المحمدية" وتعلم صناعة الصياغة على والده، ثم مال إلى علوم الأدب والتاريخ فأخذها عن علماء بلده. رحل إلى القيروان سنة 406 فلقى بها كبار العلماء والادباء كعبد الكريم النهشلي ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما، فلازمهم وأخذ عنهم ومدح أميرها المعز فقربه اليه واستكتبه فذاع صيته في القيروان وخارجها. ولم يزل بالمدينة إلى ان كانت الحملة الهلالية فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام "بمازره" إلى ان مات بها. وقد أثر ابن أبي الرجال في حياة ابن رشيق في نواح عدة من ثقافته كما أثر فيه شيوخ آخرون كالحصري والقزاز والخشني⁴.

¹ - شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص.58

² - إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجبل، بيروت، لبنان، ج1، ص234-235.

³ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ص150-151.

⁴ - أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، ص.35.

قال الحسن بن رشيق القيرواني: (في رثاء القيروان ووصف ما أصابها من خراب الأعراب)¹

بيض الوجوه شوامخ الإيمان
لله في الإسرار والإعلان
لنواله؛ ولعرضه صوان
سنن الحديث ومشكل القرآن
بفقاهاة وفصاحة وبيان
أبوابها وتنازع الخصمان
بدليل حق واضح البرهان
طالباً لخير معرس ومعان
متبتلين تبتل الرهبان
بين الحسان الحور والغلمان
نعم التجارة، طاعة الرحمن
والعارفين مكابد الشيطان
خضع الرقاب نواكس الأذقان
إلا إشارة أعين وبنان
حتى ضراء الأسد في الغيران
ملك وهيبة كل ذي سلطان
كالشمس لا تخفى بكل مكان
عند المنابر زهرة البلدان
تزهو بهم زغدت على بغداد
وسما إليها كل طرف ران
وغدت محل المن وافيمان
ترنو بنظرة كاشح معيان
ودنا القضاء لمدة وأوان
وأرادها كالنطاح العيدان
ممن تجمع من بني دهمان
أمنوا عقاب الله في رمضان
يمم الإله ولم يفوا بضمان
سبي الحريم وكشفة النسوان
متعسفين كوامن الأضغان
أيدي العصاة بذلة وهوان
ومقتل ظلماً وآخر عان
حتى إذا سئموا من الإرنان

كم كان فيها من كرام سادة
متعاونين على الديانة والتقوى
ومهدب جم الفضائل باذل
وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا
علماء إن سألتهم كشفوا العمى
وإذا الأمور استبهمت واستغلقت
حلوا غوامض كل أمر مشكل
هجروا المضاجع قانتين لربهم
وإذا دجبا الليل رأيتهم
في جنة الفردوس أكرم منزل
تجروا بها الفردوس من أرباحهم
المتقين الله حقه ثقاته
وترى جبابرة الملوك لديهم
لا يستطيعون الكلام مهابة
خافوا الإله فخافهم كل الوري
تنسيك هيبته شماخة كل ذي
أحلامهم تزن الجبال وفضلهم
كانت تعد القيروان بهم إذا
زهت على مصر وحق لها كما
حسننت فلما إذ تكامل حسنها
وتجمعت فيها الفضائل كلها
نظرت لها الأيام نظرة كاشح
حتى إذا الأقدار حمم وقوعها
أهدت لها فتنا كليل مظلم
بمصائب من فادع وأشائب
فتكوا بأمة أحمد، أترأهم
نقضوا العهود المبرمات وأخفروا
فاستحسنوا غدر الجوار وآثروا
ساموهم سوء العذاب وأظهروا
والمسلمون مقسمون تنالهم
ما بين مصطرع وبين معذب
يستصرخون فلا يغاث صريخهم

¹ - القيرواني الحسن بن رشيق، ديوان ابن رشيق القيرواني، تحقيق عبد الرحمن باغي، شرح صلاح الدين الهواري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص204-212.

ما جمعوا من صامت وصوان
وطرائف وذخائر وأوان
من خوفهم ومصائب الألوان
وبكل أرملية وكل حصان
تسبي العقول بطرفها الفتان
قمر يلوح على قضيب البان
خرب المعاطن مظلّم الأركان
لصلاة خمس، لا ولا لأذان
بعد الغلو عبادة الأوثان
نعم البناء والمبتلى والبناني
حسراتها أو ينقضي الملوان
لتدكدت منها ذري ثهلان
وقرى الشام ومصر والخرسان
أسفاً بلاد الهند والسندان
ما بين أندلس إلى حلوان
في أفقهن وأظلم القمران
لمصابها وتزعزع الثقلان
بعد القرار شديدة الميلاق
تقضي لنا بتواصل وتدان
فيما مضى من سالف الأزمان
أيام واختلفت بها ميطان
حرماً عزيز النصر غير مهان
وتقطعت بهم عرا الأقران
بعد اجتماعهم على الأوطان

بادوا نفوسهم فلما أنفدوا
واستخلصوا من جوهر وملابس
خرجوا حفاة عائدین بربرهم
هربوا بكل وليدة وفطيمة
وبكل بكر كالمهاة غريرة
خود مبتلة الوشاح كأنها
والمسجد المعمور جامع عقبة
قفر فما تغشاه - بعد - جماعة
بيت به عبد الإله وبطلت
بيت بوحي الله كان بناؤه
أعظم بتلك مصيبتة ما تنجلي
لو أن ثهلاناً أصيب بعشرها
حزنت لها كور العراق بأسرها
وتزعزعت لمصابها وتنكدت
وعفا من القطار بعد خلائها
وأرى النجوم طلعت غير زواهر
وأرى الجبال الشمّ أمسّت خشعاً
والأرض من وله بها قد أصبحت
أترى الليالي بعد ما صنعت بنا
وتعيد أرض القيروان كعدها
من بعد ما سلبت نضائر حسناتها
وغدت كأن لم تغن قط ولم تكن
أمسّت وقد لعب الزمان بأهلها
فتفرقوا أيدي سباً وتشتتوا

• **علي بن أبي الرجال (390 - 463 هـ = 1000 - 1071 م)**¹ هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني التاهرتي، رئيس ديوان الإنشاء ببلاط المعز بن باديس، وهو أستاذ بن رشيق ومعاصره، وقد كان مفتوناً به، ومتأثراً به؛ ألف له كتاب العمدة، وأهداه له. ذلك الكتاب الذي قال فيه ابن خلدون: "كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله"². إن ابن أبي الرجال أديب كبير وشاعر عظيم يثني عليه ابن رشيق كثيراً وينعته بواحد الدهر وسيد كتاب العصر ويعتبره ولي نعمته. ومن آثاره: الفارغ في أحكام النجوم الذي لا يزال مخطوطاً وأرجوزة في الفلك التي طبعت في آخر كتاب كفاية الطالب في الأحكام الفلكية لغزال الموسوي. روى عنه أشعاراً كثيرة، في مختلف الأغراض، ويعلق عنها ابن رشيق في أبيات قالها يتشوق إلى

¹ - شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص58.

² - عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1988م، ج1، ص791.

أهله: "فلو أن أعرابيا تذكر نجدا فحنّ به إلى الوطن أو تشوق فيه إلى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر"¹.
قال علي بن أبي الرجال:² "أورد له ابن رشيق في عمدته هذه الأشعار؛ وقال: "ولو لم أت بهذا الباب إلا بما بنيته عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن (ابن أبي الرجال) أيده الله لكان ذلك فوق الرضا والكفاية".

فمن ذلك قوله:³

بأكر الراح ودع عنك العدل واسع في الصحة من قبل العلل
واغتنم لذة يوم زائل فالمنايا ضاحكات بالأمل
ما ترى الساقى كشمس طلعت تحمل المريخ في برج الحمل
مائساً كالغصن في دعص نقاً فأتن المقلّة زينت بالكحل
وقوله أيضاً يتغزل:⁴

مر بنا يهتز في مشيه مثل اهتزاز الغصن الرطب
فمقاتي ترتع في حسنه ومقاتناه أحرقت قلبي
ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله:⁵

أمن الزمان زمانة العقل فاخش الإله وحل عن الجهل
واعلم بأنك في الحساب غداً تجزى بما قدمت من فعل
ومن تشكى أحوال الناس وقلة ثقتهم وإنصافهم قوله:⁶

أيارب، إن الناس لا ينصفونني ولم يحسنوا قرضي على حسناتي
إذا ما رأوني في رخاء ترددوا إلي، وأعدائي لدى الأزمات
ومهما أكن في نعمة حزنوا لها ذوو أنفس في شدة جذلات
ثقتي ما دامت صلاتي لديهم وإن عنهم أخرجتها فعدياتي
سأمنع قلبي أن يحزن إليهم وأصرف عنهم قالياً لحظاتي
وألزم نفسي الصبر دأباً لعاني أعيان ما أملت قبل مماتي
ألا إنما الدنيا كفاف وصحة وأمن، ثلاث هن طيب حياتي
فلولا ثلاث هن من لذة الفتى ثم فسرهن فقال: فمنهن سبق العاذلات بشربة وكرى إذا نادى
المضاف مجنباً وتقصير يوم الدجن والسبق والتقصير والكر كلها مذكّرة، لكن أراد ما
قدمت.

ومن أحسن الأشعار قوله:⁷

خليلي، إن لم تسعداني فأقصرا فليس يداوي بالعتاب المتيم
تريدان مني النسك في غير حينه وغصني ريان ورأسني أسحم
وقوله في قصيدة طويلة:¹

¹ - الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص.113

² - نفسه، ج2، 110-113.

³ - نفسه، ج2، 110-113.

⁴ - نفسه، ج2، 110-113.

⁵ - نفسه، ج2، 110-113.

⁶ - نفسه، ج2، 110-113.

⁷ - نفسه، ج2، 110-113.

غراء واضحة ينوس بقرطها
صدت فأغرت بالسجوم مدامعي
تشكو البعاد إذا بعدت تصبراً
ولقد يبيت أخو المودة لائمي
حتى إذا طلعت فأبصر شخصها
كم قد قطعت بوصلها من ليلة
يسعى بها كالبدر ليلة تمه
آليت أتترك ذا وتلك وهذه
فله سلامة هذا الطبع واندفاعه، وقرب هذا اللفظ واتساعه، والله رقة معانيه وإرهاقها،
وظهورها مع ذلك وانكشافها، ولطف مواقعها من القلوب، وسرعة تأثيرها في النفوس،
وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق بالمواضع التي يذكر فيها، إن شاء الله تعالى".

• **الحسن بن الربيب التاهرتي (340 - 420 هـ = 951 - 1026م)²:** الحسن بن محمد التميمي التاهرتي، يعرف بابن الربيب: شاعر، أديب، نحوي، نسابة، أصله من تاهرت ونشأ في القيروان. قال ياقوت: كان خبيراً باللغة، شاعراً مقدماً، قوي الكلام، يتكلف بعض التكلف، وكان عبد الكريم النهشلي يروي له ما لا يروى لأحد من الشعراء، وقد سئل عن أشعر أهل بلده؟ فقال: أنا، ثم "ابن الربيب". توفي بالقيروان. له كتاب مشهور في "النسب".

- **قال ابن الربيب:** (نص رسالة كتبها ابن الربيب إلى أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم الأندلسي، جد الوزير أبي محمد علي بن حزم صاحب التصانيف المعروفة، ينتقد فيها حالة الأندلس الفكرية)³.

"إني فكرت في بلدكم أهل الأندلس إذ كان قرارة كل فضل، ومقصد كل طرفة، ومورد كل تحفة، إن بارت تجارة أو صناعة فإليكم تجلب، وإن كسدت بضاعة فعندكم تنفق، مع كثرة علمائه، ووفور أدبائه، وجلالة ملوكه، ومحبتهم للعلم وأهله، ورفعهم من رفعه أدبه، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته، وعظمت في الحروب، نكايته؛ فشجع عندكم بذلك الجبان، وأقدم الهييان، ونبه الخامل، وعلم الجاهل، ونطق العيي، وشعر البكي، واستنسر البغاث، وتنتعبن الحفاث، وتنافس الناس في العلوم. ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط، من أجل أن علماء الأمصار دونوا فضائل أعيانهم وقلدوا الكتب مآثر أقطارهم، وأخبار الملوك والأمراء، والكتاب والوزراء، والقضاة والعلماء، فأبقوا لهم ذكراً في الغابرين، ولسان صدق في الآخرين؛ وعلمائكم مع استظهارهم على العلوم، كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح، وثابت على كعبه لا يتزحزح؛ يخاف إن صنف أن يعنف أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، لم يتعب نفساً أحد منهم في مفاخر بلده، ولم يستعمل نفساً في فضائل ملوكه، ولا بل قلماً بمناقب كتابه ووزرائه، ولا سود قرطاساً بمحاسن قضاته وعلمائه؛ على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال من

¹ - الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج2، 110-113.

² - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ص158.

³ - ابن بسام علي بن محمد، النخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، دط، 1997، ج1، ص133-136.

لسانه، وبسط ما قبض الإهمال من بيانه، لوجد للقول مساعاً، ولم تضق عليه المسالك هنالك، ولكن هم كل أحد منهم أن يطلب شأو من تقدمه من رؤساء العلماء، ليحوز قصب السبق ويفوز بقدر ابن مقل، ويأخذ بكظم دعبل، ويصير شجى في حلق أبي العميتل: فإذا أدرك تلك البغية، وجاءته بعد المنية، دفن علمه معه، ومات ذكره، وانقطع خبره. ومن قدمنا ذكره من علماء الأمصار احتالوا لبقاء ذكرهم، فألفوا دواوين يبقو لهم ذكر يتجدد طول الأبد. فإن قلت: إنه كان ذلك من علمائكم، وألفوا كتباً لكنها لم تصل إلينا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق، لأنه ليس بيننا وبينكم إلا روحه راكب، أو دلجة قارب، لو نفت ببلدكم مصدور، لأسمع ببلدنا من في القبور، فضلاً عن في الدور والقصور، وتلقوا قوله بالقبول، كما تلقوا ديوان ابن عبد ربه منكم الذي سماه ب - "العقد". على أنه يلحقه فيه بعض اللوم، إذ لم يجعل فضائل بلده، واسطة عقده، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه، لكنه أكثر وطول، وأخطأ المفصل، وأطال الهز بسيف غير مقصل، وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيه، وإغفال ما يهمهم: فأرشد أخاك - أرشدك الله - إن كان عندك في ذلك الجلية، وبيدك فصل القضية، إن شاء الله.

6- الأدب الجزائري خلال العهد الصنهاجي (خصائصه، تطوره، وأثره):

✓ ازدهر الأدب الجزائري في العصر الصنهاجي، خلال فترة حكم المعز بن باديس (406-454هـ)، على غرار الآداب والعلوم الأخرى، لأنه كان العصر الذهبي للدولة الصنهاجية.

✓ كانت القيروان هي المركز الرئيس بالنسبة للأدباء الجزائريين في العهد الصنهاجي، وكانت المنارة العلمية الأولى التي امتد شعاعها إلى هذه البقاع، ولذلك لم يكن غريباً أن نجد أبناء المغرب الأوسط والأقصى، يقصدون القيروان للتزود من العلوم والعارف، والمشاركة في الحياة الفكرية¹

✓ نظم الأديب الجزائري في كل الأغراض الشعرية التي كانت معروفة آنذاك في المشرق والأندلس والمغرب، فوصف الخمرة والطبيعة وتغزل مثل يعلى بن إبراهيم الأريسي، وعاتب وشكى ووعظ مثل ابن أبي الرجال، ومدح وهجا ورثى، وحن واشتاق مثل ابن رشيق..

✓ وفي مجال النثر كتب الرسائل الديوانية من أمثال علي بن أبي الرجال، وكتب في الرسائل الإخوانية والأدبية القاضي ابن الربيب التاهرتي، وكتب في القضايا النقدية عبد الكريم النهشلي، وابن رشيق.

✓ حمل الأدب الجزائري آنذاك قضايا عصره وتشربها، ومثاله: رثاء الأندلس لابن رشيق. ✓ ساعد العدل والأمن في ظل دولة الصنهاجيين على التأليف، فألف علي بن أبي الرجال "الفارغ في أحكام النجوم"، وكتب ابن رشيق العمدة. ومما طوّر تأليفهم عناية الصنهاجيين بالخط العربي وتطويره،

✓ برز واشتهر في الدولة الصنهاجية شاعر الجزائر وناقدها العظيم ابن رشيق بقصائد ومقطوعات في المعز وابنه، وبكتاب العمدة.

✓ لم يقتصر دور الجزائريين على الأدب، بل أهل ذلك بعضهم إلى الحياة السياسية، حين توظف بعضهم في الدواوين/ مثا ابن رشيق وأستاذه علي بن أبي الرجال.

¹ - محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، مصر، ط1، 1988م، ص432.

- ✓ أحسب مديح هذا العصر قد أصبح "ضرباً من الحيل والخداع يستغل فيه الشعراء والأدباء المدايحون سلامة صدر الممدوحين أو حسن ظنهم، أو قلة فطنتهم، أو خوفهم من الهجاء، أو شدة بذلهم وكرمهم"¹.
- ✓ كان لكتاب العمدة منذ ألف في عصرنا إلى يومنا هذا الأثر البالغ، والمكان القيم في الدراسات النقدية.
- ✓ لقد تغير موقف المادح والممدوح كلاهما من المدح، ولو تأملنا - على سبيل المثال- مدائح ابن رشيق في المعز وابنه تميم، لوجدناها تتنافى مع موقفه من المديح في العمدة، إذ خصص له باباً سماه: باب التكسب بالشعر والأنفة منه².
- ✓ نشط التصنيف والتدوين عند الجزائريين في ظل دولة الصنهاجيين، إلى درجة لم يجارهم فيها الأندلسيون، ولا أدلّ على ذلك رسالة ابن الربيب التاهرتي إلى عبد الوهاب بن حزم الأندلسي، معاتباً إياه وأهل الأندلس عن تقصيرهم في تسجيل مآثرهم وكتابتها.

¹ - عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط5، 1981، ج1، ص77.

² - ينظر: القيرواني الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص80-86.

﴿المحاضرة - 07 - السابعة﴾
الأدب الجزائري في عهد الدولة الحمادية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الحمادية
- 2- الحماديون في الجزائر
- 3- النشاط الثقافي في العهد الحمادي
- 4- الحياة الأدبية في العهد الحمادي
- 5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الحمادية، ومختارات من أدبهم
- 6- الأدب الجزائري خلال العهد الحمادي خصائصه، تطوره، وأثره

1- تاريخ الدولة الحمادية:

من بين الدول الإسلامية التي قامت في المغرب الأوسط "الجزائر حاليا" الدولة الحمادية التي تعتبر ثاني دولة إسلامية بعد الدولة الرستمية. وقد امتد حكمها من الفترة الممتدة من 408هـ/1018م إلى غاية سنة 547هـ/1152م. ويعتبر ظهورها؛ إبرازا لذلك العصر السياسي للمغرب الأوسط من عصور المغرب الإسلامي؛ ومرت الدولة الحمادية بتغيرات وتقلبات، وهذا يعود إلى طبيعة الحكم الذي ساد فيها، والعلاقات التي أرسنها مع الدول والأنظمة التي عملت في الدولة من أجل تحقيق الاستقرار، وتنظيم أركان الدولة¹.

2- الحماديون في الجزائر:

تعتبر امتدت الدولة الحمادية غربا إلى ما وراء تلمسان، وشرقا إلى تونس، وجنوبا إلى الزاب وورقلة، وتعتبر الدولة الحمادية أول دولة بربرية بالجزائر الإسلامية، واستقلالها كان تاما، ورئيسها كان يلقب بالملك².

3- النشاط الثقافي في العهد الحمادي:

تداول على حكم الدولة الحمادية تسعة ملوك، أسسوا ملكا عظيما، وتركوا آثارا باهرات في القلعة وبجاية؛ وفتحوا أبواب المساجد، والمدارس، والقصور، لأهل الفكر والأدب؛ فقصدها العلماء من كل حذب وصوب، وكتاب الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة من بجاية خير شاهد على ذلك. بذل البربر جهدا في تعلم اللغة العربية والتفقه في الدين، ولم يكد القرن الرابع الهجري يبرز حتى صار البربر يزاحمون العرب في لغة الضاد..

ومما ساعد على تعريب الدولة الحمادية احتكاكها ببلاد المشرق، وبلاد الأندلس، والقبائل العربية بني هلال وبني سليم التي أرسلها الفاطميون للمغرب للانتقام من الدولة الصنهاجية التي ارتدت عن المذهب الشيعي. وكان عامل التنافس الثقافي بين الحواضر المغربية آنذاك عاملا أساسا في ازدهار الثقافة والعلوم عموما.

عندما اختط حماد القلعة استكثر من المساجد والفنادق. ولم يكن ثمة مسجد يخلو من المدرسين، وقد عرف في المغرب الأوسط المسيد وهو ملحق كان يفرد للناحية التعليمية

¹ - عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة ودار الوفاء، مصر، ط2، 1991، ص47.

² - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص113.

بالمسجد. وإلى جانب ذلك كانت الزاوية والكتاتيب وهي أشهر أنواع التعليم. وفي المدن الكبرى ولا سيما بجاية كان يوجد نوع من التعليم الجامعي، فقد أنشأ الناصر معهد سيدي التواتي، الذي كان يضم ثلاثة آلاف 3000 طالب، وعرف في العهد الحمادي ما يعرف بالاختصاص، فتعمقوا في العلوم، حتى أصبحت بجاية قبلة للعلماء والطلاب.

وكان هناك نوعان من المكتبات العامة مكتبة جامع المنار، التي كانت عبارة عن مكتبة مليئة بالكتب المحمولة إليها من أقطار المغرب وبلاد المشرق والأندلس وكذا المنقولة عن تدريس أئمة وفقهاء الجامع؛ أما النوع الثاني المكتبات الخاصة. ولا ننسى بيوت العلماء والفقهاء، فقد كانت بمثابة دور علم هي الأخرى.

4- الحياة الأدبية في العهد الحمادي:

كان عصر الحماديين عصر إنشاء وترقية في- جميع مناحي الحياة المدنية. فضربوا في العلم والأدب بسهم، ونشطوا أهلها بالجوائز والصلوات فارتحل اليهم أمثال ابن حمديس الصقلي من الأدباء، وأبو الفضل بن النحوي التوزري من العلماء، وكان يشبه بأبي حامد الغزالي. فغصت عواصمهم بطلاب المعارف وناشريها وكان العلماء يتناظرون في مجالس بني حماد ويؤلفون لهم الكتب. وذكر ابن الأبار في التكملة ان حماد بن ابراهيم المخزومي ألف كتابا في التاريخ للعزیز. ومما سخره الله للحماديين نزوح جماعات غفيرة من الأندلسيين، ممن امتازوا بثقافتهم وبراعتهم في الصناعة والزراعة والعلوم، فنهضوا بالفنون والآداب، كما عملوا على ازدهار الثروة في ربوع البلاد¹

وظهر بالجزائر الحمادية العلماء والشعراء والكتاب والمؤرخون والأطباء والرياضيون وغيرهم، ظهورا لا عهد للجزائر به من قبل. وكانت لعلوم الدين المنزلة الأولى ويليهما علوم العربية. وينسب إلى القلعة وبجاية وغيرها من ممالك الحماديين علماء كثيرون. وكانت العربية هي اللسان الرسمي للدولة. وجاء الهالليون بلغتهم القربية يومئذ جدا من الفصحى فنشروها بين سائر الطبقات وسهلوا على الخاصة تعلم العربية وعلى العامة تعلم دينها. فاستعرب كثير من البربر. والذي دعا البربر الى هذا الاستعراب والدولة دولتهم والحكومة حكومتهم ما يعتقدونه من شرف العربية وغناها وكونها لغة الدين.

تصدرت علوم اللغة والأدب العربي مجالات النشاط العقلي بعد علوم الدين في دولة بني حماد؛ وكان الأدب نثرا وشعرا مناط عناية واحترام كل الطبقات، وقد اشتغلوا جميعا به: الملوك، والوزراء، ورجال الدولة، والعلماء، والطبقتان العليا والسفلى. وكانت اللغة العربية هي لغة الفكر والثقافة. أما البربرية فيقيت معروفة متداولة، ولعبت دورا في الحياة الاجتماعية، وكانت الوعاء الحامل للأدب العامي، كما كانت تسيطر على لغة البلاط، الذي كان في الأصل بربريا، ويحكم شعبا بربريا. وبهذه العربية الفصحى قدمت الجزائر مجموعة كبيرة من الكتاب والشعراء واللغويين، الذين أسهموا في تنشيط وإثراء الحياة الأدبية، وكانت إضافة معتبرة للثقافة العربية والإنسانية جمعاء².

¹ - ينظر: محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2008م، ص126.

² - ينظر: مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، 265-267.

5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الحمادية، ومختارات من أدبهم:

• **حماد بن بلكين:** صاحب القلعة (000 - 419هـ = 000 - 1029م) حماد بن بُلْكِين (يوسف) بن زيري ابن مناد الصنهاجي: صاحب (قلعة حماد) وإليه نسبتها. كان شجاعاً جواداً، قرأ الفقه في القيروان وعاش مع أبيه وأخيه المنصور بن بلكين وتوفي المنصور (386) وخلفه ابنه باديس، وهو صغير السن، وتولى أعماله عمه حماد في القيروان. ومات باديس (406) فكادت تؤول الدولة بإفريقية إلى حماد. وبويع المعز بن باديس، فاقتتل حماد وجيش المعز وظفر هذا. ويقول ياقوت: إن حمادا أحدث القلعة في حدود سنة 370 واستمر إلى أن توفي بها أو بإحدى قرى بجاية¹.

قال حماد: - هذا نص حكاه حماد - مؤسس الدولة الحمادية - لجيشه عن امرأة بربرية تدهت عليه واحتالت؛ ولم يفتن لحيلتها إلا بعد فوات الأوان.. قال حماد²: "ما تدهى أحد قط علي ولا خدعني إلا امرأة وكعاء من البربر. قيل: - له- وكيف كان ذلك؟ قال: نعم. إن صاحباً كان لي بالقيروان، نشأ معي نشأة واحدة لم يفرق بيننا مكتب ولا مشهد، وكنت قد خلطته بنفسي، وجعلته نحل أنسي فلم يزل على ذلك حتى صرت إلى ما أنا فيه ففقدته، فجعلت أفتقه فلا أقدر عليه، ولا أجد سبباً للوصول إليه. فلما أن عتبت على أهل باغاية، وشننت عليها الغارات، لم أنشب صبيحة ذلك/ اليوم أن سمعت منادياً: يا لله يا للأمر؛ فقلت: ما بالك ومن أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان فإذا به صاحبي المطلوب، قد حبسه عني نسكه، وغلب هواه ورغ يماسكه، فأظهرت البشر بمكانه، والجدل بشأنه، ولو شفع في جميع أهل باغاية لشققت له، فجعلت أطفه، وأونسه، وهو كالولهان. فسألته عن أمره. فقال: إنه فقد بنته فيمن فقد من النساء. فقلت: له والله لو خرجت إلي بالأمس لحقنت دماء أهل بلدك لحرماتك عندي. فقال: القدر غالب، والمحروم خائب. قال حماد: ثم أمرت القواد فأحضروا جميع ما كان في جيوشهم من النساء، فعرف فيهن ابنته. قال: فأمرت بسترها وحملها مع أبيها، فرفعت صوتها قائلة: لا والله يا حماد، لا رجعت مع أبي، ولا رجعت مع الذي غصبني. قلت: فما تريدين ويحك؟ قالت: إني لا أصلح إلا للملوك فلا حاجة لي في السوقة. فلما سمع ذلك أبوها سكن ما كان في نفسه لها، وظن أنها قد قُتنت وفُسدت عليه. قال حماد: فقلت لها: ومن أين تصلحين للملوك؟ قالت: لأن عندي علماً لا أشارك فيه ولا يدعيه غيري. قلت: ألا أريتنا شيئاً من ذلك؟ قالت: نعم، تأمر بقتل إنسان وتحضر أمضى سيفاً تكلم عليه بكلمات³ تمنع من تأثيره ويعود بيد حامله أكل من قائمه. قال حماد: الذي يجرب هذا فيه لمغور. قالت: أو يتهم أحد أنه يريد قتل نفسه؟ قال: لا. قالت: فإني أريد أن يجرب ذلك في، فتكلمت على سيف اختاروه، ومدت عنقها فضربها السياف ضربة أبان رأسها، فاستيقظت من غفلتي، وعلمت أنها تدهت علي، وكرهت العيش بعد الذي جرى لها وعليها، واستبان لأبيها من ذلك مثل الذي بان لي، فجعل يلقي نفسه عليها، ويتمرغ في دمها أسفاً لما حل به منها، واغتناباً بها لما رأى من عظم أنفعتها، واختيارها للموت على ما نزل بها"

1 - الزركلي خير الدين، الأعلام، ج2، ص270-271.

2 - عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص888-889.

3 - "وكانت الكلمات التي تكلمت بها الشهادة".

- الحميري محمد بن عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، لبنان، ط2، 1980، ص77.

● **أبو عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير¹:** ذكر أنه أحد كتّاب الدولة الحمادية، المتصرفين في الكتابة السلطانية، وأورد له رسالة كتبها عن سلطانها يحيى بن العزيز الحمادي، وقد فرّ من مدينة بجاية أمام عسكر عبد المؤمن يستنجد بعض أمراء العرب بتلك الولاية: كتابنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسرّ، رضئ بالقسم وتسليماً للقدر، وتعويلاً على جزائه الذي يجزي به من شكر، ونصلي على النبي محمد خير البشر، وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بحر، وبعد: فإنه لما أراد الله أن يقع ما وقع، لقبح آثار من خان في دولتنا وضبع، استفز أهل موالاتنا الشنآن، وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون، ورموا من حيث لا ينصرون، فكنا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء، ويفرّ من صلّ خبيث إلى حيّة صماء، حتى بغت مكرهم، وأعجل عن التلاقي أمرهم، ويرد وبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، وملنا إلى مظنة الأمانة، وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة، ونستنفر من كنا نراه للمهم عدّة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر، وتثنى عليه الخناصر.

● **أبو القاسم عبد الرحمان الكاتب المعروف بابن العالمي²:** من كتاب الدولة الحمادية، له من رسالة: ولما كنت في مضمار سلفك جارياً، ولنا موالياً، وفي قضاء طاعتنا متباهياً، رأينا أن نثبت مبانيك، ونؤكد أواخيك، ونوجب لك ولخلفك، ما أوجبه سلفنا لسلفك، تمييزاً لهم عن الأكفاء، ومجازاة لهم على محض الصفاء والولاء، فاستدم هذه النعمة العظيم خطرنا بالشكر فأنت به جدير، ومن يقترب حسنة نرد له فيها حسناً إن الله غفور شكور. ومن أشهر شعراء الدولة الحمادية

● **الفقيه أبو حفص عمر بن فلفول³:** قال: هو كاتب السلطان بتلك البلاد يحيى بن العزيز الحمادي وخالصته وصاحب سرّه، وله اليد الطولى في الإنشاء الدال إعجازه فيه على البلاغة المؤدية لسحره في نثره. قال: أنشدني له الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي عند الاجتماع به في جزيرة صقلية:

وقالوا: نأى عنك الحبيب فما الذي
تراه إذا بان الحبيب المواصل
فإن أنيت أحببت التصبّر بعده
ولم تستطع صبراً فما أنيت فاعل
فإن الهوى مهما تمكّن في الحشا
وحلّ شغاف القلب ليس يُزايَل
فكم رام أهل الحب قلبك سلوة
وزادهم عنها هوى متواصل
فقلت: ألا للصّبر مفرع عاشق
وللصّبر أحمرى بي وإن غائل
سأصبر حتى يفتح الله في الهوى
بوصلي حبيب طال فيها الطوائل

¹ - عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب - 1، ص 179-180.

² - نفسه، ص 180-181.

³ - نفسه، ص 179.

• **علي بن الزيتوني الشاعر¹**: ذكر أنه شاعر المغرب الأوسط وأديبه، والمعيه وأريبه، وهو صاحب توشيح وتوشيع، وتقصيد وتقطيع، وقد سار شعره غناء، وأورد من شعره قوله في ذم المركز²:

لا أكل المركزَ دهري ولو تقطفه كفي بروض الجنان
لأنه أشبه فيمما يرى أصابع المصلوب بعد الثمان

وقوله أيضا من قصيدة في مدح بعض القضاة وهي³:

نهاه عن محارمه نهاه وقرببه لخالقه تقاه
وقال الله ليس سواي رب ولا لشريعتي أحد سواه
هو البرّ العطوف على البرايا وبالأيتام يرحم من أتاه
وشدّ به عرى الإسلام حتى رأينا النجح وانعقدت عُراه
أمين عدله غمر البرايا فما يخشى على أحد قضاها
مسيح خطوه في كل علم ومن ذا يقتفي أبدا خطاه
أبي شأنه طلب المعالي ومن يحصي ثنياه أو نداءه
لقد ظفرت يد علقته نداءه ومن ناواه قد تبّت يداها

• **إبراهيم بن الهازي⁴**: ذكر أنه صاحب توشيح مليح، وربما قصر إذا قصّد، وأحسن إذا قطع، ومن شعره:

ألا فدعوا عدلي فما أسمع العذلا = كفاكم فإن العذل قد زادني خبلا
وهي قصيدة واهية ومقطعة:

فواصل وقاطع لست أبغي تحولا فإن شئتكم جوراً وإن شئتكم عدلا

• **علي بن الطبيب⁵**: ذكر أنه أديب وطبيب، وأورد من شعره قوله:

يا حملة الحُسن هب لي منك إحسانا
إنني أحبّك إسـراراً وإعلانا

ومنها:

إنني لعبدك لا أبغي بكم بدلاً ولا أحبّ سواك الدهر إنسانا

• **يوسف بن المبارك**: ذكر أنه من موالى بني حماد، وله في مدائحهم من الشعر ما انسحب عليه ذيل حماد، ومن ذلك قوله⁶:

هناكم النصر ونيـل النجـاح في يومكم هذا بسـمـر الرّماح
فأنتم الصّيد الكرام الألى شادوا العلا بالنائل المُستَماح
ما منكم إلا همـام حوى مناقباً جلى ومجداً صُراح
لا ترهبون الدهر أعداءكم وتمنعون العـرض من أن يُباح

1 - عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب - 1، ص 181-182.

2 - نفسه، ص 181.

3 - نفسه، ص 182.

4 - نفسه، ص 182-183.

5 - نفسه، ص 183.

6 - نفسه، ص 183.

وتبذلون الرّفْدَ يوم النّدى وتسُعون الحرب يوم الكفاح
وترفعون الجار فوق السُّهى وتُكرمون الضيف مهما استماح
لا زلتم تجنون زهر العلا في معرض العزّ بحد الصّفا

• **ابن أبي المليح¹:** ذكر أنه طبيب ماهر، وكاتب شاعر، واشتهاره بالطب، وله مقطّعات جالبة للحب، سالبة للب، وله من قصيدة عيدية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائبه، وقضائه حق العيد وواجبه:

وجالت به جرد المذاكي كأنها عذارى ولكن نطقهنّ تحمم
بصفراء كالتبرّ العتيق صقيلة ودهماء يتلوها كُميت وأدهم
وأشقر لو يجري وللبرق جهده لكان له يوم الرّهان التّقدم
وقام لواء النّصر يتبع راية بها العزّ معقود عليها متّم
فلما قضى حق الصلاة معظماً ثنى والهدى في وجهه يتوسّم
فلا زال يقضي نفلهُ وفروضه ويردّ علاه بالمدايح مُعلّم

• **علي بن مكوك الطيّبي²:** أورد له هذه الأبيات:

ألا ليت شعري هل من الدهر عودة ليقرب ناءٍ ليس يُدرى له أين
تكدر صفو العيش منذ بيئنا وأي التّـذاذ لا يكدره البين
لعلّ الذي يبالي ويشفي من الأسى يُعيد الذي ولّى فكل به هين
غدوت من الأيام في حال عسرة تطالبني ديناً وليس لها دين
تطالبني ديناً وليس لها دين

• **حماد بن علي الملقب بالبين³:** له

لمن أتشكّي ما أراب من الدهر وقد ضاق بي عن حمل أيسره صدي
وقلّ الذي يجدي التشكّي وأي من وأرجيه في يومي لقاصمة الظهر
أراني قد أصبحت في قطر باجّة غريباً وحيداً في هوان وفي قهر
فقيراً لمن قد كنت أغنى بنيله وأنعم في أيامه مدّة العمر
أرنق عيشاً كدر الدهر صفوه وصيره بعد انجبار الـى الكسر
وعهدي به روضاً أريضاً وجنة

¹ - عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب - 1، ص 183-184.

² - نفسه، ص 184.

³ - نفسه، ص 184-185.

مذلل الأكناف رائقة الزهر
وإن رميت أن أغدو لأهلي عـاجلاً
بـلا مهـل في أول الركـب والسـفر
ثنائي عنه عامل الثغر وانشي
يقابلني بالعنف منه وبـالزجر
وقال: اقتنع واقنع برزق تنالـه
بلطف لعل اليسر يذهب بالعسر
وأطرق إطراق البغات لدى الصقر
كأن لم أكن إذ ذاك منه على ذكر

• **ابن النحوي:** ومن أشهر الشعراء الوافدين على الدولة الحمادية والذين أقاموا فيها يوسف بن محمد بن النحوي، الملقب بأبي حامد الغزالي. وابن النحوي 513 - 433هـ = 1041 - 1119م. يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل، التلمساني، أبو الفضل، المعروف بابن النحوي: ناظم " المنفرجة " التي مطلعها: " اشتدي أزمة تنفرجي " كان فقيها يميل إلى الاجتهاد، من أهل تلمسان. أصله من توزر. سكن سلجاسة، وتوفي بقلعة بني حماد (من أعمال قسنطينة) قرب بجاية. وله تصانيف. قلت: والمنفرجة شرحها كثيرون، وخمّسها بعضهم، وفي نسبتها إلى صاحب الترجمة خلاف¹. قال ابن النحوي²:

اشتدي أزمة تنفرجي	قد أذن ليلى بك بالبلج
وظلام الليل له سرج	حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير لها مطر	فإذا جاء الإبان تجي
وفوائد مؤلانا جمل	لسروح الأنفس بالمهج
ولها أرج محي أبدا	فاقصد محيا ذاك الأرج
ولربتما فاض المحيا	ببحور الموج من اللجج
والخلق جميعا في يده	فذو سعة وذو حرج
ونزولهم وطلوعهم	فإلى درك وعلى درج
ومعايشهم وعواقبهم	ليست في المشي على عوج
حكم نسجت بيد حكمت	ثم انتسجت بالمنتسج
فإذا اقتصدت ثم انعرجت	فبمقتصد وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجج	قامت بالأمر على الحجج
ورضا بقضاء الله حجي	فعلى مركزته فعجج
وإذا انفتحت أبواب هدى	فاعجل لخزائنها ولجج
وإذا حاولت نهايتها	فاحذر إذ ذاك من العرج
لتكون من السابق إذا	ما سرت إلى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته	فلمبتهج ولمنتهج

¹ - الزركلي خير الدين، الأعلام، ج8، ص247.

² - عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ، ج8، ص56-60.

فَإِذَا مَا هَجَّتْ إِذَا تَهَجَّجَ
تَزْدَانِ لَذِي الْخُلُقِ السَّمَجِ
أَنْوَارِ صَبَاحِ مَنْ بَلَجِ
يُظْفِرُ بِالْحُورِ وَبِالْغَنَجِ
تَرْضَاهُ غَدَا وَتَكُونُ نَجِي
حَزْنٍ وَبِصَوْتِ فِيهِ شَجِي
فَإَذْهَبْ فِيهَا بِالْفَهْمِ وَجِي
تَأْتِ الْفَرْدُوسَ وَتَنْفَرُجِ
لَا مَمْتَزَجًا وَبِمَمْتَزَجِ
وَهَوَى مَتَوَلِّ عَنْهُ هَجِي
لَعَقُولِ الْخُلُقِ بِمَنْدَرَجِ
وَسَوَاهِمِ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ
تَجْزَعُ فِي الْحَرْبِ مِنَ الرَّهَجِ
فَإِظْهَرِ فَرْدًا فَوْقَ الثَّجَبِ
أَلْمَا بِالْشَوْقِ الْمَعْتَلَجِ
وَتَمَامِ الضَّحْكَ عَلَى الْفَلَجِ
بِأَمَانَتِهَا تَحْتَ الشَّرَجِ
وَالْخَرَقِ يَصِيرُ إِلَى الْهَرَجِ
الْهَادِي النَّاسَ إِلَى النُّهَجِ
وَلِسَانِ مَقَالَتِهِ الْهَلْجِ
فِي قِصَّةِ سَارِيَةِ الْخَلَجِ
الْمُسْتَحْيِ الْمُسْتَحْيِ الْبُهَجِ
وَأَفَى بِسَحَابِهِ الْخُلَجِ

فَهَجِ الْأَعْمَالِ إِذَا رَكَدَتْ
وَمَعَاصِي اللَّهِ سَمَاجَتِهَا
وَلَطَاعَتُهُ وَصَبَاحَتِهَا
مَنْ يَخْطُبُ حُورَ الْخُلْدِ بِهَا
فَكُنِ الْمَرْضِي لَهَا بِتَقَى
وَاتِلِ الْقُرْآنَ بِقَلْبِ ذِي
وَصَلَاةِ اللَّيْلِ مَسَافَتِهَا
وَتَأْمَلِهَا وَمَعَانِيهَا
وَأَشْرِبِ تَسْنِيمِ مَفْجَرِهَا
مَدْحِ الْعَقْلِ الْآتِيهِ هَدَى
وَكِتَابِ اللَّهِ رِيَاضَتِهِ
وَخِيَارِ الْخُلُقِ هَدَاتِهِمْ
فَإِذَا كُنْتَ الْمُقْدَامَ فَلَا
وَإِذَا أَبْصَرْتَ مَنْارَ هَدَى
وَإِذَا أَشْتَاقْتَ نَفْسَ وَجِدَتْ
وَتَنَائِيَا الْحَسَنَا ضَاكِكَا
وَعِيَابِ الْأَسْرَارِ اجْتَمَعَتْ
وَالرَّفَقِ يَدُومُ لَصَاحِبِهِ
صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَى الْمُهْدِي
وَأَبِي بَكْرٍ فِي سِيرَتِهِ
وَأَبِي حَفْصٍ وَكَرَامَتِهِ
وَأَبِي عَمْرٍو ذِي النُّورَيْنِ
وَأَبِي حَسَنِ فِي الْعِلْمِ إِذَا

- أما مناسبة القصيدة، فقد قيل فيها¹:

قِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِأَبِي الْفَضْلِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّحْوِيِّ التُّوزَرِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ
الْمُتَغَلِّبِينَ عَدَا عَلَى أَمْوَالِهِ وَأَخَذَهَا قَبْلَهُ ذَلِكَ، وَكَانَ بَغِيرَ مَدِينَةِ تُوَزَرَ، فَأَنْشَأَهَا فَرَأَى ذَلِكَ
الرَّجُلُ فِي نَوْمِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَرْبَةٌ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ لَمْ تَرُدْ عَلَى فَلَانٍ أَمْوَالَهُ وَإِلَّا
قَتَلْتُكَ بِهِذِهِ الْحَرْبَةِ فَاسْتَيْقِظَ مَذْعُورًا وَأَعَادَ عَلَيْهِ أَمْوَالَهُ.

فَائِدَةٌ لِلْسَّبْكِيِّ: قُلْتُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ وَأَنَّهُ
مَا دَعَا بِهَا أَحَدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ وَكَنتُ أَسْمَعُ الشَّيْخَ الْوَالِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا أَصَابَتْهُ أُرْمَةٌ يَنْشُدُهَا.

6- الأدب الجزائري خلال العهد الحمادي خصائصه، تطوره، وأثره:

✓ ولقد أبدع الأديب في الشعر كما في النثر، وكتب في كل الأغراض والفنون التي كانت
معروفة في عصره: من مدح، وهجاء، وغزل ورثاء، ورسالة، وخطبة، ووصية.

¹ - عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، ص60.

- ✓ واشتهر من الشعراء عمر بن فلفل، وعلي بن الزيتوني، وإبراهيم الهازي، وعلي بن الطيب، ويوسف بن المبارك، وابن مليح الطيب، وعلي بن مكوك التيطيبي، وحماد بن علي الملقب بالبين، ومن الكتاب اشتهر ابن القالمي، وعمار بن محشرة.
- ✓ ظل الأدب الجزائري في هذا العهد يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة في معالجة الشعر، من حيث الموضوعات، فهو يتناول المدح، والهجاء، والثناء، والوصف والغزل، والزهد والوعظ..
- ✓ لم يكن كتابها يتألقون في كتاباتهم إلا في عهودها الأخيرة، حيث جاروا المشاركة في سجعهم وتزويقهم، ولكن دونما إسراف¹
- ✓ اتخذ بنو حماد العربية لسان الدولة الرسمي ذلك لأنهم استفادوا من أنظمة الحكم العربي الإسلامي الذي ساد شمال إفريقيا في ذلك الوقت، حيث نجد أن حماد مؤسس الدولة قد نشأ بالقيروان نشأة عربية إسلامية ودرس الفقه وعلوم العربية ولما استقل عن باديس ابن أخيه 405/1014م أنشأ ديوان للكتاب وقد ازدهرت العلوم اللسانية بكامل حواضر بلاد المغرب الإسلامي لا سيما في قلعة بني حماد.
- ✓ مال الشعر إلى وصف مظاهر الطبيعة والعمران، وتعلق بالمكان، وهو ما ينبئ عن حياة الترف التي كان يعيشها السكان.
- ✓ اتسم الشعر في العصر الحمادي وخاصة في القلعة بالوزن والقافية واستخدام البحور الشعرية التقليدية واتسم بالاحتشام والوقار والحياء.
- ✓ تقلصت الخطابة والمراسلة، ومالت إلى القصر، مقابل تكاثر الشعر والشعراء.
- ✓ ظهرت الترجمة الغيرية بوضوح، وبعض ما يمكن أن نسميه بدايات الترجمة الذاتية.

¹ - ينظر: محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص118.

«المحاضرة - 08 - الثامنة»

الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة المرابطية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة المرابطية
- 2- المرابطون في الجزائر
- 3- الأدب والأدباء في العهد المرابطي
- 4- التصنيف اللغوي والأدبي في العهد المرابطي
- 5- إشكال: لماذا لم يوجد أدب جزائري في ظل دولة المرابطين؟
- 6- الإجابة عن الإشكال
- 7- نص مختار لجزائري عاصر الدولة المرابطية

1- تاريخ الدولة المرابطية:

المرابطون (448-541هـ = 1056-1147م) تعود الدولة المرابطية في أصلها إلى حركة إصلاح ديني ظهرت قبل منتصف القرن الخامس الهجري (منتصف القرن الحادي عشر الميلادي) في صحراء جنوب المغرب الأقصى بمبادرة من يحيى بن إبراهيم الجدالي شيخ قبيلة جدالة الصنهاجية. وقد تزعم الحركة عبدالله بن ياسين الجزولي وسمى أنصاره المرابطين. ترك ابن ياسين قيادة المرابطين العسكرية ليحيى بن عمر اللمتوني. ولما توفي يحيى سنة 448هـ (1056م) خلفه أخوه أبوبكر وابن عمه يوسف بن تاشفين. وعندما توفي ابن ياسين عام 451هـ (1059م) تجنب أبوبكر وابن تاشفين الخلاف بأن اتجه الأول نحو الجنوب فنشر الإسلام هناك، وواصل ابن تاشفين سيره شمالاً. بنى ابن تاشفين مدينة مراكش عام 454هـ (1062م). وفي عهد يوسف بن تاشفين (480 - 500هـ) تم الاستيلاء على باقي المغرب الأقصى والمغرب الأوسط إلى مشارف إمارة بني حماد الزيريين. وعبر ابن تاشفين إلى الأندلس عندما استنجد به بعض أمراءها، فانتصر على ألفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة 479هـ، 1086م، ثم عاد إليها في 481هـ و483هـ فازاح ملوك الطوائف نتيجة تواصل انقسامهم، وترددتهم في الولاء للمرابطين، واستمرار الخطر النصراني، وألحق الأندلس بدولة المرابطين. لكن سلطة المرابطين ما لبثت أن اختلت في عهد ابنه علي (500-537هـ) بكل من المغرب والأندلس بسبب الانتفاضات المحلية والهزائم على أيدي النصارى، وبدأ أمر الموحدين بالظهور. وقد تلا الأمير علي بن يوسف ثلاثة أمراء من المرابطين واصلوا الصراع ضد الموحدين، حتى استولى هؤلاء على العاصمة مراكش، فقتلوا آخر الأمراء المرابطين إسحاق بن علي بن يوسف، وقضوا على دولة المرابطين سنة 541هـ، 1147م¹.

2- المرابطون في الجزائر:

"في سنة 472هـ بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلي لغزو تلمسان، في عشرين ألفاً من المرابطين. فعاث في نواحيها. ثم عاد إلى أميره يوسف بمراكش. وفي سنة 474هـ نهض يوسف نفسه إليها. وعسكر إليها. وأسس بمعسكره مدينة سماها تاقراوت. ومعناها المحلة. وقد أصبحت من بعد مع تلمسان مدينة واحدة واتخذها المرابطون عاصمة مملكتهم

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة المرابطية.

بالوطن الجزائري. وأنزلوا الجند بتاقرارت. وفتح يوسف في نهضته هذه تلمسان من أيدي بني يعلي الخزريين ثم وهران وتنس ووانشريس وأعمال شلف. وبلغ مدينة الجزائر¹.

3- الأدب والأدباء في العهد المرابطي:

اتهمت الدولة المرابطية بأنها كانت دولة الفقهاء ولم تكن دولة الأدباء، ولعل السبب الرئيس لذلك أن عبد الله بن ياسين المرابطي زعيمها "كانت نزعته إلى علم الفقه والدين أقوى منها إلى أي علم آخر.. فغلب عليه هذا الميل على الدولة، ومن ثم كان تقديمها للفقهاء، واحتضانها لهم دون عداهم من أرباب المعارف المتنوعة"². وقد أكد ذلك ابن الخطيب في منظومته؛ بقوله³ في عبد الله بن ياسين⁴:

مكرماً للفقهاء الجليلة موفياً فيهم حقوق الملّة

ويعطف عبد الله كنون بقوله أيضاً: ولم يكن هذا يعني اضطهاداً للأدب والأدباء، بل يعني أنّ الفقهاء كانوا هم أهل السلطة والنفوذ. ولا أدل على ذلك حين صارت الأندلس تابعة لهم نبغ منهم كثير في الأدب والشعر، ذكرهم أصحاب التراجم، كابن بسام في ذخيرته⁵. ولعل ما يؤكد رؤية عبد الله كنون هذه، ويعطيها بعداً موضوعياً، تلك التصنيفات التي ظهرت في العهد، والتي سنشير إلى بعضها فيما هو آت.

4- التصنيف اللغوي والأدبي في العهد المرابطي:

وكان عصر المرابطين عصر المصنفات الكبرى، والموسوعات العظمى، "ومن أنواع التصنيف التي ظهرت في العصر المرابطي المصنفات التي لم يخصصها أصحابها لجانب أدبي أو لغوي، وإنما تناولوا فيها الجانبين معاً، وأضافوا بعض الموضوعات الثقافية

1 - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، 282، 283.

2 - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط3، 1961، ج1، ص68.

3 - لسان الدين ابن الخطيب، رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية، تونس، دط، 1316هـ، ص51.

4 - "عبد الله بن ياسين (000 - 451 هـ = 1059 - 000 م) عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي: الزعيم الأول للمرابطين، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم. كان من طلبة العلم في دار أنشئت بالسوس وسميت "دار المرابطين" و "أشار شيخ القيروان أبو عمران الفاسي، على منشئ تلك الدار " وكاك ابن زلون اللمطي " بإرسال من يذهب مع " يحيى بن إبراهيم الكدالي الصنهاجي " إلى صنهاجة، لتلقيها وتعليمها أمور دينها، فوقع اختيار " وكاك " على ابن ياسين، فنزل فيها وأقبلت عليه. ورأى البدع فاشية، فاشتد في وعظها وإقامة حدود الشرع فيها، فأعرض عنه، فاعتزلها مع بضعة أشخاص في جزيرة قريبة منها في " النيجر " ولحق به جماعة، ثم آخرون، حتى بلغ من عنده زهاء الألف، فسماهم " المرابطين "، وأخضع بهم قبائل صنهاجة كلها. ثم خرج من الصحراء (سنة 445 هـ ودعاه فقهاء من سجماسة وسوس، بينهم شيخه " وكاك " فافتتح بلاد درعة وسجماسة، واستولى على " تارودانت " قاعدة سوس، وفتح بلاد المصامدة حرباً. وامتد سلطانه من نواحي السنغال إلى سجماسة، ومن درعة إلى أغمات إلى حاحة والشياطمة وتقدم إلى قبائل " برغواطة " وكانت لها دولة على الشاطئ الأطلسي بين الدار البيضاء والسويرة، فاستولى على بلادها بعد وقائع أصيب فيها بجراح كانت سبب وفاته. ودفن في موضع يسمى " كريفلة " في قبيلة " زعير " غير بعيدة عن الرباط. وأقيمت على قبره قبة معروفة إلى اليوم. قال صاحب " الاغتياب ": " دوخ المغرب إلى أن صار يدين بتعاليم الإسلام بعد أن كاد يتقلص منه، وقال صاحب الأنيس المطرب: " قتل في سنة 451 الفقيه أبو محمد، عب الله بن ياسين الجزولي، مهدي لمثونة. قتله مجوس برغواطة فمات شهيداً " وقال صاحب الجامعة اليوسفية بمراكش: " أفاد ابن السماك في حله، إن عبد الله بن ياسين لم يكن قد سمع من شيخه وجّاج تعاليم القيروان وحدها، بل كان صلة بين المغرب الأقصى وجزيرة الأندلس حيث قضى فيها 7 سنوات يتطلب المعارف. إذا فنضجه الفكري كان نتيجة ثقافة عالية في الأندلس "

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج4، ص144.

5 - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص73.

المتنوعة، وهي تشير إلى الثقافة الموسوعية التي يتصف بها أصحاب تلك المصنفات. ومن المصنفات التي ظهرت في عصر المرابطين الشروح اللغوية الأدبية، كشروح كتب الأمثال، وشروح كتب الأمالي، وشروح الكتب اللغوية الأدبية، وشروح الدواوين والمجموعات والقصائد الشعرية، وشروح الحماسات، وشروح المعلقات¹.

5- الإشكال: لماذا لا نجد مساهمة أدبية للجزائريين في ظل الدولة المرابطية؟

6- الإجابة: لم تنهياً العوامل الكافية كي نجد أدبا وأدباء جزائريين في ظل الدولة المرابطية. وهذه جملة من الأسباب العامة والخاصة التي أدت إلى تلك النتيجة السلبية.

✓ كانت دولة المرابطين دولة فقهاء، ولم تكن دولة أدباء. فلم تشجع الآداب، ولم تفتح للأدباء الأبواب.

✓ اعتبر الجزائريون دولة المرابطين دولة غاصبة محتلة، بعدما اجتاحت أراضيتهم، واستولوا على أملاكهم في تلمسان، وتنس، ووهران، والونشريس، والشلف، والجزائر. لقد كان احتكاكا فعليا وواسعا، ولكنه كان قهريا. ولا أدل على ذلك لم يشد أديب جزائري واحد الرحال نحو البلاط المرابطي المجاور في تاقراوت ولا البعيد في مراکش، متقربا بالمدح، أو مشاركا في الحركة الثقافية عندهم بأي صفة كانت..

✓ عاصرت الدولة المرابطية دولتين عظميين: (الصنهاجية والحمادية)، اللتين سبقتاها في التأسيس، فاستأثرت القيروان والقلعة وبجاية بالطلبة والمعلمين والشعراء والكتاب وأهل العلم عامة، وانصرفوا إليها راضين مرضيين. بعدما وجدوا التشجيع والأمان والعيش الكريم. وكان من البديهي أن ينصرفوا عن المرابطين الذين واجهوهم بالصد.

✓ ومجمل القول لم تعدم الجزائر أدبا ولا أدباء في العهد المرابطي، بل كانوا موجودين بالكثرة والجودة أيضا. موجودون في الأندلس، وصقلية، وفي القلعة، وبجاية، والقيروان، وغيرها من الحواضر الإسلامية المستقرة. ولكنهم لم يظهروا في ظل الدولة المرابطية لجملة الأسباب المذكورة. وما ذكرناه من أدب وأدباء في الدولتين الصنهاجية والحمادية خير شاهد على ذلك، ويعطي صورة مقاربة بل مشابهة للأدب الجزائري في ظل الدولة المرابطية، لو قُدر له الوجود، ولكنه مع الأسف لم يوجد.

✓ لم يتطرق محمد الطمار في كتابه تاريخ الأدب الجزائري إلى الدولة المرابطية من الناحية الأدبية، لعلمه أنه لن يجد شيئا.

7- نص مختار لجزائري عاصر الدولة المرابطية:

أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الورقلاني: (ت471هـ-1078م) من العلماء الذين عاصروا دولة المرابطين: "أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الورقلاني، وقد كان رجلا فاضلا طالبا لعلوم المذهب الإباضي، مقتفيا سيرة الأوائل من رجاله، وكان الطلبة يقصدونه من كل حذب وصوب للارتواء من علومه ومعارفه. خلف لنا الورقلاني كتابا عنوانه سير الأئمة وأخبارهم وقد نشر هذا الكتاب في الجزائر سنة 1979م بتحقيق وتعليق إسماعيل العربي"². وهو في حقيقته فقيه ومؤرخ، ولكن له أسلوبا تغلب عليه

¹ - فاتن كوكبة، التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين 484-670، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2012م، ص217-220.

² - شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص85.

الأدبية والقصصية، وهو يروق السامعين، ويشوق القارئ. ففي ترجمته المختارة هذه للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم تجد ذلك بعينه، حيث يسرد علينا محاولة اغتياله الفاشلة..

قال أبو زكرياء الوراقاني¹: **مؤامرة محبطة:** "وبلغنا أن نفرا منهم اجتمعوا على غدر الإمام رضي الله عنه، فأداروا أمرهم بينهم فقالوا كيف لنا بالوصول إلى قتله؟ فلم يتجه لهم ذلك. ثم أن رجلا منهم قال لهم: هل لكم في رأي؟ أن تأخذوا تابوتا وتجعلوني فيه وتمضون بالتابوت إليه كأنكم مختمون عليه وتمتنعوا من الاتفاق عليه وأن يجعل في يد أحدكم دون غيره، فإن صرتم إلى ذلك فقولوا له لا نرضى أن نضعه عند أحد سواك، فاتفق رأيهم على ذلك.

وعمدوا إلى التابوت فأدخلوا (الرجل) فيه ومعه سيفه وكان التابوت مغلقا من داخل، وأقبلوا بالتابوت إلى الإمام عبد الوهاب عليه السلام على اتفاقهم الأول وهم يتنازعون عليه حتى أظهروا من أنفسهم أنهم يتجاسرون ويقع الشر بينهم. فلما وصلوا إلى الإمام تكلم متكلم فقال: يا أمير المؤمنين أفصل بين هؤلاء القوم وانزع هذا التابوت من أيديهم جميعا حتى تصلح بينهم ويزول الشر الذي بينهم، فقال القوم بأجمعهم صدق لك يا أمير المؤمنين ولسنا نثق بأحد أن نضعه عنده إلا أنت فضعه لنا عندك حتى نتفق.

فلما رأى الإمام منهم ذلك وخاف أن يقع الشر بينهم قال لهم: احملوا تابوتكم إلى الموضع الذي أمركم أن تضعوه فيه. قال: فلما حملوه ونظر إليهم الإمام مثقلين بحمل التابوت استرابهم، ثم أن الإمام عبد الوهاب تأمل التابوت فوجده مقفلا من داخله فكان ذلك مما زاده ريبة فيهم وظن أنهم أرادوا به المكر والغدر. وقد كانوا اشترطوا عليه ألا يضعه إلا في بيت ينام فيه فلما وضعوه خرجوا من عنده مستبشرين فرحين وظنوا أنهم يظفرون بحاجتهم، فخيبتهم الله وكانوا أهل مكر وخداع وخبت النفوس.

وبلغنا أنهم اتفقوا مع صاحبهم أنه إذا قتل الإمام أن يؤذن لصلاة الصبح عند طلوع الفجر فإذا سمعوا أذانه وهم يعرفون صوته يبادرون إلى دار الإمام عبد الوهاب عليه السلام وإن لم يؤذن عرفوا بأن صاحبهم لم يظفر بحاجتهم. فلما جاء الليل اشتغل الإمام عليه السلام في صلاته، فلما فرغ منها وفرغ من حوائج أهل بيته وكانت عادته إذا فرغ منها أن يأخذ كتابا فيقرأ فيه. فلما كانت تلك الليلة عمد الإمام عليه السلام إلى زق منفوخ فوضعه على فراشه فوضع عليه ملحفة بيضاء، فلما قضى حاجته من قراءة كتابه وجاء الوقت الذي يرقد فيه أخذ المصباح فأوقده وألحف عليه غطاء بسترته، وتنحى إلى جانب البيت وأقبل على الصلاة حيث لا يسمع به ولا يراه من كان في التابوت.

فلما هدا صوت الإمام عن صاحب التابوت وظن أن الإمام قد رقد فتح التابوت وخرج منه، فنظر في البيت يمينا وشمالا فلو ير شيئا إلا بياضا من ناحية البيت فظن أنه الإمام فقصده وبيده السيف مستلا والإمام عليه السلام يبصره، فلما وصل إلى فراش الإمام ضرب بالسيف على الزق فظن أنه قتل الإمام وإنما أصاب الزق منفوخا. فلما سمع الإمام ضربة

¹ - أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوراقاني، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م، ص 60-62.

السيف نزع الغطاء عن المصباح واستضاء البيت فقصدته وضربه الإمام بالسيف ففدّه نصفين فأخذه ولفه في ثيابه وردّه في تابوته.

فبات القوم متململين ينتظرون متى تكون الصيحة على الإمام عبد الوهاب رحمه الله أو يؤذن صاحبهم. فلما كان بالغد اجتمعوا فتساءلوا فيما بينهم فقال بعضهم لبعض: هل سمعتم عن الإمام أو عن صاحبكم شيئاً؟ فقالوا: لا. فقال بعضهم لبعض: امضوا بنا لنأخذ تابوتنا ونقول له قد اتفقنا عليه واصطلحنا قال فأقبلوا إلى الإمام رضي الله عنه وقالوا له أعطنا تابوتنا فقد اتفقنا عليه. قال، فقال لهم الإمام امضوا إلى الموضع الذي وضعت فيه تابوتكم فخذوه فمضوا معه حتى دخلوا البيت فوجدوا تابوتهم في الموضع الذي وضعوه فيه فحملوه فلما وصلوا إلى مأمّنهم فتحوا تابوتهم فوجدوا صاحبهم قتيلاً مقدوداً نصفين فخبب الله سعيهم وأظهر بغيهم وأخلف ظنهم فخرجوا من المدينة خوفاً من صنيعهم من المسلمين".

«المحاضرة - 09 - التاسعة» الأدب الجزائري في عهد الموحدين

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الموحدية
- 2- الجزائر في ظل الموحدين
- 3- مظاهر الثقافة والأدب في دولة الموحدين
- 4- الأدب الجزائري القديم في العهد الموحد
- 5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الموحدية، ومختارات من أدبهم
- 6- الأدب الجزائري خلال العهد الموحد خصائصه، تطوره، وأثره

1- تاريخ الدولة الموحدية:

(الموحّدون 515-674 هـ) تنسب دولة الموحدين إلى الجماعة الإسلامية التي كونها محمد بن تومرت المهدي بالمغرب الأقصى. وترجع كلمة الموحدين إلى قولهم بأن الله تعالى وحده لا يمكن أن تتصوره المحسوسات، فهو فوق التشبيه، وكل تصوير لله تعالى يعدّ مجازاً، على خلاف أصحاب التشبيه والتجسيم، فالموحّدون في نظرهم مخالفون للحقيقة، بل هم يرون رأيهم كفرًا، وهم لذلك يعتقدون أنهم هم المؤمنون حقًا، الذين يوحدون الله وينزهونه عن كل تشبيه له بالخلق.

توفي ابن تومرت بعد أن وضع أسس هذه الدولة، وأوصى بالخلافة من بعده لقائده عبد المؤمن بن علي، الذي قضى على دولة المرابطين. وكان أول حاكم مسلم في تاريخ المغرب الكبير استطاع وضع يده على البلاد الممتدة من مصر إلى الأطلسي بالإضافة إلى أسبانيا. وعندما ضعفت قبضة الموحدين على الأندلس، طمع فيها الأسبان، لذا قاد سلطان الموحدين الثالث المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (580 - 595 هـ) جيشه سنة 591 هـ، وانتصر على الأسبان انتصارًا كبيرًا في موقعة الأرك قرب بطليموس، في العام نفسه. وكان السقوط النهائي على يد بني مرين عام 668 هـ¹.

2- الجزائر في ظل الموحدين:

كانت الجزائر المؤمنية مقسمة الى ولايتين كبيرتين: ولاية تلمسان من ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا، وولاية بجاية الى حدود عمالة قسنطينة اليوم شرقا. وكان من مدنها قالمة بلفظ. وربما كان الزاب آنذاك تابعا إلى ولاية تونس².

3- مظاهر الثقافة والأدب في دولة الموحدين:

لم تبدأ دولة الموحدين حياتها من فراغ، بل قامت على أنقاض دولة المرابطين، ووجدت إلى جوارها وقبلها بلاد الأندلس التي تعج بالعلم والعلماء والمراكز العلمية، كما وجدت الدولة العباسية في المشرق، فاستفادت من هنا وهناك، وزادت عليه، وصبغت بشخصيتها المغربية الجزائرية. أقول المغربية نسبة إلى المغرب الأقصى لأنّ مؤسسها

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة الموحدية.

² - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص314.

الروحي الأول هو محمد بن تومرت مغربي الأصل؛ بينما مؤسسها الحقيقي الذي أقام الدولة ومؤسساتها هو عبد المؤمن بن علي الندرومي الجزائري الأصل (تلميذ محمد بن تومرت).

وكان خلفاء وأمراء الدولة الموحدية يتعاطون الأدب شعرا ونثرا، وفتحوا أبواب بلاطاتهم للشعراء والكتاب والعلماء؛ وأكرمواهم وأحسنوا إليهم، حتى إنه ليصدق عليهم ما قال الثعالبي في بني حمدان: "كَانَ بَنُو حَمْدَانَ مَلُوكًا وَأُمَرَاءَ أَوْجَهُمَ لِلصَّبَاحَةِ، وَالسَّنَنُ لِلْفَصَاحَةِ، وَأَيْدِيَهُمَ لِلسَّمَاحَةِ، وَعُقُولُهُمَ لِلرَّجَاحَةِ"¹. وكان عبد المؤمن بن علي الجزائري رجل علم وحلم وأدب وحرب معا. وورثه بنوه وحفدته، وساروه على نهجه.

ومن مظاهر النشاط الفكري في هذا العصر الرحلة في طلب العلم والعمل معا. رحلة داخلية وأخرى خارجية إلى الأندلس والمشرق. واقتناء الأصول القديمة والعناية بها من كتب وغيرها. وكان من تلك المظاهر المدارس وحلقات التدريس التي يعقدها العلماء، ويقصدها الطلبة من كل فج. وقد كانت المناظرات مظهرا آخر من النشاط الفكري، وكان يشارك فيها الخلفاء، وهم من يلقون بموضوعات للمناظرة. كما ازدهرت الوراقة وكثر من يجيدون الخط العربي².

ويرى عبد الله كنون أنّ من أهم أسباب تطور علوم اللغة والآداب في الدولة الموحدية، تنافس المغاربة مع إخوانهم الأندلسيين، وتفاخرهم عليهم بكثرة العلماء والأدباء. وينفي كنون في الموضوع نفسه أن تكون آداب الموحدين نسخة طبق الأصل لآداب الأندلسيين، بل تميزت عنها، واكتسبت خصوصيتها المغربية³. ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد عاش اثنان من أعظم فلاسفة المغرب، هما: ابن طفيل وابن رشد، في ظل دولة الموحدين، ولقيا الرعاية.

4- الأدب الجزائري القديم في العهد الموحيدي:

أسلفت الذكر أنّ عبد المؤمن بن علي جزائري الأصل، قد أسس دولة الموحدين في مراكش بالمغرب الأقصى، ومرجع ذلك أنها كانت عاصمة المرابطين فورثوها من بعدهم، وثانيها أن المغرب الأقصى هي موطن أستاذه عبد الله بن تومرت. ولذلك فأنا أعتقد أن ما أنتجه عبد المؤمن وذريته من بعده من آداب هو أدب جزائري قديم أصلا. وتأسيس دولة الموحدين بالمغرب الأقصى، وعيش عبد المؤمن فيها، لا ينفي جزائريته، ولا يصادر آدابه - هو ونسله - أو يستثنىها أو يخرجها من جملة الأدب الجزائري القديم.

وقد عاش في بلاط الموحدين عدد كبير من الفقهاء والفلاسفة والأدباء؛ الذين أسهموا في بناء دولة الموحدين، ولم يكن حظ الجزائريين في البلاط الموحيدي بالقليل، فمن الشعراء نذكر السلطان عبد المؤمن بن علي الندرومي نفسه، إذ كان شاعرا وناثرا، والشاعر ابن مروان التلمساني، والشاعر أبا علي الحسن بن الفكون، ومن الكتاب أبو القاسم القالمي، وأبو

1 - عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج1، ص37.

2- ينظر: محمد عبد الرحمن الرقب، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، دط، 1984م، ص31-35.

3- ينظر: عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص163-166.

الفضل بن طاهر بن محشرة. وهذه كوكبة من أولئك الأدباء، الذين احتكوا بالموحدين خاصة، مع مختارات من أشعارهم.

5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الموحدية، ومختارات من أدبهم:

• **رجل مجهول من أهل بجاية:** نظم قصيدة تقع في ستة وعشرين (26) بيتا، حين وفد على أمير المؤمنين أبي يعقوب وهو بتينمل بالمغرب الأقصى؛ فقام على قبر عبد الله بن تومرت بمحضر من الموحدين وأنشد قصيدة أولها¹.

سلام على قبر الإمام المجد
ومشبهه في خلقه ثم في اسمه
ومحيي علوم الدين بعد مماتها
أتتنا به البشرى بأن يملأ الدنيا
ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً
فمن وصفه: ألقى وأجلى، وأنه
زمان، واسم، والمكان، ونسبة
ويأبى سبعا أو فتسعا يعيشها
فقد عاش تسعا مثل قول نبينا
وتتبعه للنصر طائفة الهدى
هي التلة المذكور في الذكر أمرها
ويقدمها المنصور والناصر الذي
هو المنتقى من قيس عيلان مفخراً
خليفة مهدي الإله وسيفه
بهم يجمع الله الجبابرة الألى
ويقطع أيام الجبابرة التي
فيغزون أعراب الجزيرة عنة
ويفتحون الروم فتح غنيمه
ويغدون للدجال يغزونه ضحى
ويقتله في باب لى وتتجلي
وينزل عيسى فيهم وأميرهم
يصلي بهم ذاك الأمير صلاتهم
فيمسح بالكفين منه وجوهمهم
وما إن يزال الأمر فيه وفيهم
فأبلغ أمير المؤمنين تحية
عليه سلام الله ما ذر شارق

• **عبد المؤمن بن علي**⁽⁵⁾: "عبد المؤمن بن علي (447-558هـ/ 1095-1163م) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد، التاجري الكومي

¹ - المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 141-143.

الندرومي: أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين في المغرب العربي والأندلس، ولد بنواحي ندرومة شمالي تلمسان، ونشأ فيها محبا للقراءة والدرس، يلزم المساجد لقراءة القرآن، وأبوه صانع فخار، ثم اعتزم الرحلة إلى المشرق ليتابع الدرس، ويقضي فريضة الحج. وفي طريقه دخل "ملالة" وفيه التقى بمحمد بن تمورت وكان يومئذ يقود حملته المعروفة ضد المنكر، فاصطفاه ابن تمورت واختاره من بين طلبة العلم لما لمح فيه من النبوغ والعبقرية، ودعاه/ إلى معاونته فيما هو قائم به، من إمارة المنكر وإحياء العلم، وإخماد البدع.

بعد موت شيخه). (..) بويغ البيعة العامة بجامع 'تينملل' ودُعي أمير المؤمنين سنة 524هـ/1130م (..) خضع له المغربان الأقصى والأوسط وإفريقية (تونس)، وطرابلس الغرب والأندلس، فتحققت بفتوحاته وانتصاراته وحدة المغرب الكبير. أسس مدنا كثيرة، وأصلح ثغر الرباط، وأنشأ الأساطيل، وضرب الخراج على قبائل المغرب العربي (..) توفي في رباط سلا، في طريقه إلى الأندلس مجاهدا، ونقل إلى تينملل، فدفن فيها إلى جانب ضريح المهدي بن تومرت. وكانت مدة ولايته منذ وفاة المهدي في 25 رمضان سنة 524هـ، ثلاث وثلاثون سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة وعشرون يوما¹

لقد توسم ابن تومرت - من قبل- في عبد المؤمن الشخصية القيادية، والعلم، والقوة، والحزم، ورأى فيه خير ممثل له، فولاه قيادة الجيش في حياته، ولمح إلى الوصية بخلافته؛ حيث كان يقول: " - لأصحابه كلما رآه-: "صاحبكم [هذا] غلاب الدول"². ويتمثل - أيضا- بقول الشاعر أبي الشيص الخزاعي³:

تكاملت فيك أخلاقٌ خصصت بها فكانا بك مسرورٌ ومغتبطٌ
فالسِّن ضاحكة، والكف مانحة والصدر منشرح، والوجه منبسط
من نثر عبد المؤمن بن علي: من نثره هذه المقطوعة بُعِد وفاة المهدي، ولعلها كانت في تأبينه أو بعده بقليل، حيث يقول لأتباعه الموحدين: "إن الإمام قد سار إلى ما عند الله، ووجد خيرا مما ترك، فكونوا في أنفسكم، وانظروا فيمن تولونه أموركم، وتجتمع عليه كلمتكم بعده، ولا تفرقوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، ويختل أمركم، ويفرق جمعكم، ويتمكن منكم عدوكم"⁴. وفي هذه المقولة من الخطبة - رغم قصرها- صورة الروح التشاورية الديمقراطية التي يتحلى بها عبد المؤمن، فلم يفرض نفسه استبدادا، رغم قرابته الشديدة من ابن تومرت.

- من شعر عبد المؤمن بن علي: ومما كتبه في نهاية رسالة له أبياتا شعرية يستنفر فيها قبائل بني هلال للغزو بالأندلس؛ وهي⁵:

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الأعداء شدة صائل

1 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص218-219.

2 - المهدي محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، دط، دتط، ص18.

3 - الناصري أحمد بن خالد بن محمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخر، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، دتط، ج2، ص100.

4 - نفسه، ص100.

5 - ابن أبي زرع محمد بن عبد الحليم، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب الأقصى، دط، 1972، ص185.

فما العز إلا ظهر أجرد سابح وأبيض ماثور كأن فرنده بني العم من عليا هلال بن عامر تعالوا فقد شدت إلى الغزوة نية هي الغزوة الغراء والموعود الذي بها تفتح الدنيا بها تبلغ المنى أهبننا بكم للخير والله حسبنا فما همنا إلا صلاح جميعكم وتسويغكم نعمى ترفاً ظلالها فلا تتوانوا فالبدار غنيمه

يفوت الصبا في شدة المتواصل على الماء منسوج وليس بسائل وما جمعت من باسل وابن باسل عواقبها منصورة بالأوائل تنجز من بعد المدى المتطاول بها ينصف التحقيق من كل باطل وحسبكم والله عادل عادل وتسريحكم في ظل أخضر هاطل عليكم بخير عاجل غير آجل وللمدلج الساري صفاء المناهل

- توقيع لعبد المؤمن بن علي: وكما كان عبد المؤمن حازماً في سياسته الخارجية، كان في سياسته الداخلية كذلك، حتى مع أقرب المقربين من قواده ووزرائه، وفي توقيع على رسالة استعطاف من وزيره أبي جعفر بن عطية خير دليل على ذلك؛ فقد روي (14): "كان عبد المؤمن قد نقم على وزيره أبي جعفر إفشائه لسر أفضى إليه به فقبض عليه ثم نكبه وقد صدرت من أبي جعفر إليه رسائل استعطاف بليغة يتصل فيها من الذنب ويعتذر فوق عبد المؤمن على إحداها: "الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (سورة يونس، الآية: 91)"¹.

• **أبو القاسم القالبي:** أبو القاسم القالبي: من قالمة (..) ولما فتح عبد المؤمن بجاية استكتب القالبي بينما استمر ابن عطية في الوزارة إلى سنة 553هـ، (..) وساعد القالبي في الكتابة أيضاً - زمن الخليفة يوسف- أبو الفضل بن محشرة الذي ظل يخدم أبا القاسم القالبي إلى أن مات فكتب مكانه. ومن الرسائل التي كتبها القالبي الرسالة رقم 21 في مجموع رسائل موحدية بتاريخ ربيع الآخر 555هـ، ونسبت إليه في هذا المجموع أيضاً الرسالة رقم (22منه) حول معركة فحص هلال سنة 568هـ، وهي الرسالة التي ينسبها في العطاء الجزيل للكاتب أبي الحسن بن زيد الإشبيلي. كما توجد بهذا المصدر رسالة أخرى كتبها القالبي عن الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة بأفريقية مؤرخة برجب 564هـ².

- **من رسائل أبي القاسم القالبي:** هذه رسالة من إنشاء أبي القاسم القالبي؛ على لسان عبد المؤمن بن علي. وقد كان كاتباً له في ديوانه، موضوعها الإعلام بهزيمة عرب أفريقية³: "من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره، وأمه بمعونته - إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة من الموحدين من أهل فاس - أعزهم الله بتقواه، وأدام كرامتهم بحسنه - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (..) والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله الحاشر العاقب (..) وعلى آله وصحبه أولي العزم في أمره العاكف الذائب (..) والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم القائم بأمر الله وقد التفت حجب الغياهب، وتفرقت سبل المذاهب، وخُبط من ليل الحيرة في حيث لا منفذ لجاء، ولا مخلص لذهاب، فهدى الله بهداه إلى الواضح اللاحب،

1 - كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج2، ص417.

2 - أحمد عزوي، رسائل موحدية مجموعة جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل (المغرب)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1995، ج1، ص19-20.

3 - إ. لافي برفانصال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية - المطبعة الاقتصادية -، الرباط، المغرب، ط1، 1941، ص113-121.

وأنفذ به من هو العاثر، وشفى العاطب (..) وقد كنا - أعزكم الله بتقواه - قدما مطالعتم بما سناه الله تعالى في غزو عرب أفريقية (..) وكان هذا الفتح العظيم في حين إعلامكم لم يُستوفَ طلقه بعد، ولا كمل له من مستوصى/ مستحقه العقد وأنهينا إليكم مضماره وهو في مضماره مسترسل، (..) والآن - والله يوزع شكر نعمائه - فقد عقد حباه، وأغمدت وفيها فلول من قراع الدار عين ظباه، (..) وبلاد إفريقية للقبيل الرياحي المستولي على أقطارها، المستعجل في إضرارها، لا ذكر يسمع، ولا حديث يرفع، ولا أثر يتقصى ويتتبع، ألجوا بقبيل العدم، (..) وأصبحوا كهشيم التهبته نفحة ضرم (..) حيزت عليهم الثنايا والأنقاب، وتبسط منهم كيف شاء العقاب، فلم يجدوا إلى مستخلص سبيلا، ولا استطاعوا مضيا ولا إلى منجاة تعريجا ولا تحويلا، أينما ثقوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (..) وفي حين هذه المخاطبة - وفقكم الله - وصلت أوائل العساكر المنصورة، فقست من قصصها عبرة لأولي الألباب، وأطلعت من معاني هذا الفتح المبارك من اربى على العجب العجائب، وأنبأت لما أرسل الله في جميع بلاد أفريقية، من سماء الأمن المنسكب المنساب (..) وعلى الجملة: فقد أظهر الله تعالى من بركته هذه الحركة الميمونة/ السعيدة ما لم يكن ينشأ سماء الوهم والإحساس، ولا يجري على أساليب القياس (..) كتب من فحص متيجة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسائة".

• **أبو علي الحسن بن الفكون القسطنطيني:** الفكون (.. - حيا 602هـ / .. - حيا 1205م) حسن بن علي بن عمر القسطنطيني، أبو علي، الشهير بابن الفكون: شاعر المغرب الأوسط في وقته. من أهل قسنطينة. رحل الى مراكش ومدح خليفة بني عبد المؤمن. قال الغبريني: وهو من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر، أصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها ومن كريم اروماتها. وقال ابن قنفذ: وامتدح الناصر يوم وصوله الى قسنطينة سنة 602هـ بقصيدة عظيمة، وله في ولاية بني عبد المؤمن ببجاية مدائح. له "ديوان شعر" و "رحلة" نظمها في سفرته من قسنطينة الى مراكش ضمنها ذكر المدن التي مر بها¹.

- **أبو علي الحسن بن الفكون:** يصف رحلة مع سادة عبد المؤمن في البحر ببجاية الناصرية بعدما ورثوها من الحماديين. يقول الشاعر في ذلك شعرا ونثرا²:

عشونا إلى نار الربيع وإنما	عشونا إلى نار الندى والمخلق
ركبنا بوادييه جواد زوارق	نزلنا إليها عن ضوامر سبق
وخضنا حشاه والأصيل كأنه	بصفحته تبدى مروق زنبق
وسيدنا قد سار فيه لأنه	بزورقه إنسان مقللة أزرق
فقلت وطرفي يجتلي كل عبرة	وزورقه يهوي به ثم يرتقي
أيا عجبا للبحر عب عبابه	تجمع حتى صار في بطن زورق
ولما نزلنا ساحة القصر راعنا	بكل جمال مبهج الطرف مرتق
فما شئت من ظل وريف وجدول	وروض متى تلمم به الروح تعبق

¹ - ينظر عادل نويهض، - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص 254. وينظر: الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدّرية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، تح عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص334.

² - الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدّرية، ص335-336.

وشادي مغاني الحسن في نغماته
فيا حسن ذاك القصر لا زال أهلا
رتعنا به في روضة الأنس بعدما
ويضحكنا طول الوصال وربما
فتضحى موصونات الدموع هدالة
لمثلهما من منزله ونزاهة
فلله ساعات مضين صوالح
خلعنا عليها النسك إلا أقله

ولم يكتف السلطان الموحي بما ناله من تلك النزهة، بل طلب من الشاعر ابن الفكون أن يصور لهم تلك المشاهد أدبيا.. ولما كان المشهد ليليا ساحرا، استعان عليه الشاعر بالنثر والشعر، وأحسب أن الشاعر قد علم أن الشعر بقيوده عاجز عن الوصف في هذا المقام الليلي، فدعمه بالنثر، وخيرا فعل؛ إذ يقول¹: "ولما نضب ماء الأصيل، ورق نسيمه العليل، وهم العشي بانصرام، وودع النهار بسلام، وأرخى الليل فوقنا سدوله، وجرر على الأفق ذيوله، عدنا إلى زورقنا ذلك، ومحيا الجو غير محتجب، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام ولا منتقب، وقد تشكلت الكواكب في الماء، فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء، فأمرؤ أعزهم الله بوصف تلك الحالة، فبادرتهم بهذه العجالة.

وليل مسرة ما زلت منها
لبست ثيابه عزا إلى أن
فنهز السجل قد تراءت
يسر النفس في نظر وشيم
تشكلت الكواكب فيه حتى
فما تمتاز أرض من سماء

● **السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور:** إنه أبرز سلاطين الموحدين، تولى في عز ملك الدولة الموحدية، وعصرها الذهبي، إنه ثالث الخلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن، تولى الخلافة عام 580هـ/1185م. وتوفي عام 595هـ/1199م. "أجل الملوك الموحدين، وأكثرهم صيتا، وأحسنهم في الأحوال كلها، ولي الملك قد تمهد واتسق، والمال قد توفر"². وهو صاحب معركة الأرك³ ضد النصارى، ومهندسها، ويروي لنا ابن أبي زرع أن سببها رسالة أرسلها ملك قشتالة الفونسو الثامن إلى المنصور استنفره فيها، وتحداه بقتاله حتى في أرضه إن شاء.. وكان رد ولي العهد - بعدما أذن له والده بالرد⁴:- "(قال الله العظيم

1 - الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص336.

2 - علي بن عبد الله بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، ص230.

3 - "غزوة الأرك (..) وكانت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وغن المسلمون ما عظم قدره، وكان عدة من قتل من الفرنج - فيما قيل - مائة ألف وستة وأربعين ألفاً، وعدة الأسارى ثلاثين ألفاً، وعدة الخيام مائة ألف وستة وخمسين ألف خيمة، والخيول ثمانين ألفاً، والبغال مائة ألف، والحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفر لحمل أثقالهم لأنهم لا يبل لهم، وأما الجواهر والأموال فلا تحصى".

- أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص443.

4 - عمر بن حسن بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري وآخرين، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، دط، 1955، ص220-221.

فأنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون). الجواب ما ترى لا ما تسمع. واستشهد ببيت المتنبي:

ولا كتـب إلا المشـرفية عـده

ولا رسـلَ إلَّا الخـمـيس العـرمـمـرم

● الشاعرُ محمد بن مروان التلمساني؛ هو: " قاضي الجماعة الأديب المتقن أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني. ذكره التاج ابن حموية الدمشقي في رحلته المغربية وأخبر أنه من المرية أصلاً. وكان والده من الأجناد، تقدم وساد وولى مدينة وهران. وبها ولد أبو عبد الله، ونشأ بتلمسان مجداً في الفقه والأدب، ومال لعلم الظاهر، وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم، فاشتهر بذلك، وصادف انحراف المنصور عن كتب الفروع وميله إلى مذهب أهل الحديث، فتقدم عنده إلى أن ولاه قضاء قضائه، فأبان عن صرامة وعفة ومروءة. وكان ممن له مشاركة في صناعتي النظم والنثر. وذكره والدي فيمن لقيه من أهل العلم وأطنب في الثناء عليه من جهة التعصب والسعي الجميل في حق من اعتمد عليه، مع خلق أئدى من النسيم، وأدب أنق من الوجه الوسيم. قال: إلا أن حفظه وعمله بالأدب فوق شعره"¹.

مناسبة القصيدة: حقق المنصور الموحي بجيش الموحدين نصرا لا مثيل له. وكان من بين أولئك المهنيين الجزائريين للسلطان المنصور، الشاعر محمد بن مروان التلمساني، ومن أحسن ما أورده قوله فيه²:

أَسْـَٔدِنَا يَا أَبْنَاءَ الْإِمَامِينَ أَمْ رَكَمَ
مَنْ وَطَّ بِأَمْرِ اللَّهِ مَا عَنْهُ مَعْدَلُ
نُصِرْتُمْ لِأَنَّ الْحَقَّ أَنَّ ظَهْرَهُ
وَنَاصِرُهُ فِي اللَّهِ مَا كَانَ يَخْذُلُ
أَزَلْتُمْ عَلَى مَا يَنْفَعُ النَّاسَ جَهْلًا
وَعَلَّمْتُمْ فِي الدِّينِ مَا كَانَ يَجْهَلُ
وَأُورِدْتُمْ السَّلْسَلَالَ مِنْ شَقِّهِ الظَّمَا
أَوْ أَنْ جَرَى ذَاكَ الْحَدِيثَ الْمَسْلُوسَ
قَطَعْتُمْ فَرُوعًا قَدِ اضْرَرَّتْ بِأَصْلِهَا
أَلَا هَكَذَا مَنْ كَانَ بِالْعَدْلِ يَشْمَلُ
مَلَأْتُمْ بِسَطَاطِ الْأَرْضِ خَيْرًا وَمَا بَقِيَ
فَأَخْبَرَكُمْ فِيهِ تَسْوِيرًا وَتَنْقِيلًا
أَقِمُّوا إِنْ تَسَرَّحُوا الْمَمَالِكَ رَاحِلًا
فَسَوَّاهَا شَوْقًا لِعَدَاوَتِكُمْ يَرْحَلُ

- ومن نادر الحكايات لابن مروان¹: أنه كان قد لزم أبا جعفر بن مضاء قاضي القضاة مدة، وكان يثقل عليه بالطبع ويخف عليه بالتصنيع، ففسأله في بعض الأوقات عن حاله، فارتحل هذه الأبيات:

¹ - ابن سعيد المغربي على بن موسى، الغصون اللبانة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح إبراهيم الإبياري، دار المعارف، مصر، دط، دتط، ص 29- 30.

² - نفسه، ص 30-31.

يا من مضى وتسمى ولم يخنّه زمانه
سألتني كيف حالي وقد كفّاك عيانه
إن كان عندك خيرٌ يرجى فهذا أوانه

فقال: يكون الخير إن شاء الله ولأسعين فيه جهدي. ثم جعل يستنبيه ويرشحه لما هو أهله. فقال له بعض أصدقائه: أراك تقدم هذا الرجل وتعينه على نفسك. فضحك ابن مضاء وقال: الرأي ما ظننته، أنه غير رأي، هذا الرجل لاحت لي فيه بوارق السعادة ولا بد أن يتقدم رضىت أم سخطت، والأولى أن أظهر أن تقديمه بترشيحي وسعي له، فإن وفي اشتركنا في حمد الناس، وإن لم يف انفرد باللائمة. ثم إن ابن مضاء مرض في سفرة المنصور إلى إفريقيه سنة ثلاث وثمانين وخمسائة، فاشتغل ابن مروان بالحكم بين الناس، فظهر منه من حسن الخلق والسياسة ما اشتهر به اسمه ونسي معه ابن مضاء، فما استقل ابن مضاء من مرضه إلا وقد حاك في قلب المنصور أن يجعله قاضي الجماعة فكان ذلك، وصار ابن مضاء إذا رآه والناس مقبلون عليه أنشد ابن مروان:

وما يستوي الثوبان به البلي وثوبٌ بأيدي البائعين جديد
ولم يزل أبو عبد الله قاضياً للمنصور إلى أن كانت سنة اثنتين وتسعين وخمسائة، فوقع بينه وبين أبي القاسم بن بقي كلام أظهر فيه ابن مروان الاقتدار عليه، فأنشد ابن بقي:
الدهر لا يبقّى على حالة لكنّه يقبّل أو يدبر
فإن تلقّاك بمكروه فأصبر فإن الدهر لا يصبر

واتفق أن سعى في إثر ذلك بابن مروان، ونسب له تقصير في صدقات خرجت على يده، فعزله المنصور وولى على قضاء الجماعة ابن بقي المذكور. فلقبه ابن مروان في إثر ذلك، وكان مفاكهاً حسن الخلق طيب النفس، فقال له: أفترى؟ لقد أقبل وأدبر ونحن نصبر كما صبرت! فاستحيا ابن بقي فلم يجاوبه بحرف.

● **سليمان بن عبد الله الموحد:** هو أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الكومي؛ نشأ في مراكش؛ فهو أمير وابن أمير وحفيد خليفة كبير، ولد في حدود سنة 552هـ. عمل والياً للموحدين على بجاية ثم سجلماسة ثم تلمسان سنة 584هـ إلى أن توفي بها سنة 604هـ؛ كان كاتباً وشاعراً وأديباً ماهراً وله ألغاز². له ديوان شعر مطبوع ومحقق فيه نحو 201 صفحة. وله شعر يروق، يتضمن موضوعات متعددة، وهي المديح والثناء والنسيب والألغاز والتشبيه والعتاب والاعتذار والشكوى والزهد. وهذه مقتطفات منه:

قال في الزهد:

يا غافلاً عن ذكر مولاه وراعتاً في غيه لاهيها
قد كحلت بالنوم عيناه كم تصحب الغفلة عن ذكره
وكم يراعيك وتنساه يا عجباً تكثر عصيانه
وآرح الذي تأمل رحماه فعد عن ذكر الصبا جانباً

1 - ابن سعيد المغربي على بن موسى، الغصون البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص31-33.
2 - ينظر: محمد بن تاووت الطنجي وآخرون، مقدمة ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، المغرب، دط، دتط، ص3-4. وينظر: - أيضاً - شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص156.

ففي يوم لا قوم إلا به
رب إذا ما شئت أن تهدي
وقال في المدح: قصيدة يمدح فيها ابن عمه المنصور يعقوب¹

هبت بنصركم الرياح الأربع
واستبشر الفلك الأثير تيقناً
وأمدك الرحمن بالفتح الذي
لم لا وأنت بذلت في مرضاته
ومضيت في نصر الإله مصمماً
لله جيشك والصوارم تنتضي
من كل من تقوى الإله سلاحه
لا يسلمون إلى النوازل جارهم
إن ظن أن فراره منج له
أين المفر ولا فرار لهارب
أخليفة الله الرضوى هنيئته
فقد كسوت الدين عزاً شامخاً
هيهات سر الله أودع فيكم
لكم الهدى لا يدعيه سواكم
إن قيل من خير الخلائق كلها
إن كنت تتلو السابقين فإنما
خذاً أمير المؤمنين مديحة
واسلم أمير المؤمنين لأمة
فالممدح مني في علاك طبيعة
وعليك يا علم الهداة تحية
وقال في الإلغاز: ملغزا في القمر والنجوم،
صفحاته القمر والنجوم².

وَمَا سَابِقٌ لَا يُرَى صَاعِدًا
لَهُ مِنْكَ رُبْعٌ وَمِنْهُ الْحَيَاةُ
إِذَا مَا جَلَسَتْ لَهُ لِيَأْتِيَهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا اسْتَقَامَ انْحَدَرَ
وَذَلِكَ حَظٌّ جَمِيعِ الْبَشَرِ
حَكَى لَكَ أَنْجُمَهَا وَالْقَمَرِ

6- الأدب الجزائري خلال العهد الموحدى خصائصه، تطوره، وأثره:

✓ خلا الأدب الجزائري في هذا العهد – على غرار الأدب المغربي – من الزخرفة إلا قليلاً.

1 - المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1968، ج2، ص106.

2 - ينظر: المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1968، ج3، ص107. وينظر أيضاً: شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، مج1، ص156.

- ✓ ساهم الجزائريون في دواوين الدولة الموحدية، فقد كان ابن مروان فقيها وقاضيا وشاعرهم. وكان أبو القاسم القالمي وابن محشرة¹ كاتبين مميزين. ولهما رسائل على السنة خلفاء الموحدين.
- ✓ ابتعد الجزائريون نهائيا في ظل دولة الموحدين عن شعر الخمریات والمجون، وقل شعر الغزل المتكشف.
- ✓ ظهر أثر التجديد في رسائل القالمي وابن محشرة وباقي الكتاب.. فبعضها كان يفتتح ب (أما بعد) والآخر ب (من فلان إلى فلان).
- ✓ من صفات الكتابة في ظل دولة الموحدين ميلها إلى الإطناب والطول.
- ✓ احتفى الشعر الجزائري القديم المنظوم في مدح الخلفاء والأمراء الموحدين بفكرة المهدية وشايعها، كما عظم المذهب الظاهري السائد في الدولة.

¹ - أما أبو الفضل بن طاهر بن محشرة: فقد استدعاه الخليفة يوسف إلى مراكش فوصله كارها - على حد قول الغبريني-، ثم كتب عن الخليفة يعقوب بن يوسف. ويحتفظ له كتاب مجموع رسائل موحدية بتسع (09) رسائل. وأضاف له أحمد عزايي رسالة عاشرة في كتابه رسائل موحدية مجموعة جديدة رقمها خمسة وثلاثون (35).

«المحاضرة - 10 - العاشرة» الأدب الجزائري في عهد الدولة الحفصية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الحفصية
- 2- الحفصيون في الجزائر
- 3- المراكز الثقافية في الدولة الحفصية
- 4- الحياة الأدبية في الدولة الحفصية
- 5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الحفصية، ومختارات من أدبهم
- 6- الأدب الجزائري خلال العهد الحفصي خصائصه، تطوره، وأثره

1- تاريخ الدولة الحفصية:

الدولة الحفصية (626 - 981 هـ ، 1229 - 1573 م). الحفصيون فرع من الدولة الموحدية التي دخلت إفريقية تحت سلطانتها سنة 555 هـ، 1160 م، على يد عبد المؤمن بن علي. وأول من تولى إمارة إفريقية من الحفصيين الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص (603- 618 هـ) الذي نصبه الخليفة الموحي الناصر واليًا على تونس سنة 603 هـ، 1207 م. وأصبحت لعقبه من بعده، ومن أشهرهم أبو زكرياء يحيى (626، 647 هـ). تولى الإمارة وأمرُ الموحيين في تراجع، فأعلن استقلاله وجعل الخطبة لنفسه سنة 626 هـ، 1229 م. قضى على الحركات المناوئة، واستولى على الجزائر، وبايعته تلمسان وسجلماسة وسبتة ومكناسة. وخطب له بنو مرين في أول أمرهم بعد أن استولوا على مراكش، وأنته الوفود من شرقي الأندلس مستنجدة، وخلفه المستنصر (647-675 هـ)، فذاع صيته وعظم شأنه، حتى أرسل له أمير مكة المكرمة وأهل الحجاز بيعتهم بالخلافة سنة 657 هـ، 1259 م، إثر سقوط الدولة العباسية ببغداد.

وقد عظم شأن الدولة الحفصية في عهدي السلطانين أبي زكريا والمستنصر، وأصبحت تونس من أهم مراكز الثقافة العربية، فاشتهر بها علماء أجلاء منهم الرياضي القلصادي، والفلكي ابن القنفذ، والطبيب الصقلي، والفقيه ابن عرفة، والجغرافي التيجاني، والمؤرخان الزركشي وابن خلدون. كما ارتبطت معظم الدول الأوروبية معها بمعاهدات تجارية وقنصليات. بيد أن عوامل الضعف والتفكك بدأت تعمل في تلك الدولة بعدهما، فانقسمت الدولة إلى إمارتين: واحدة بتونس وأخرى ببجاية، وتعرضت البلاد إلى الغزو الخارجي. ثم مالبت الدولة الحفصية أن انتعشت في عهود السلاطين أبي العباس أحمد (772-796 هـ) وأبي فارس عزوز (796-837 هـ) وأبي عمر عثمان (839-893 هـ)، فمد أبو العباس نفوذه على كامل بلاد المغرب، وأخضع أبو فارس تلك المناطق للسلطة الحفصية المباشرة بما فيها الأندلس، وتمكن أبو عمر عثمان من المحافظة على تلك الوحدة. كما أنشأ أبو العباس أول قوة للجهد البحري بإفريقية، مالبت أن تدعمت في عهدي خلفيه، فجلب هذا النشاط للدولة عائدات كبيرة، لكنه تسبب في ردود فعل العالم النصراني، التي كانت آثارها شديدة لما عادت الدولة الحفصية إلى الضعف بعد وفاة السلطان أبي عمر عثمان. فقد تمرد عرفة الشابي وأسس إمارة منفصلة بالقيروان، واحتل الأسبان بجاية سنة 915 هـ، 1510 م ثم طرابلس.

في هذه الظروف اتصل الأخوان عروج وخير الدين بالسلطان أبي عبد الله محمد (899-932 هـ)، واتخذوا جزيرة جربة قاعدة لتحركاتهما ضد الأسبان في البحر المتوسط.

ولما استولى خير الدين على الجزائر عاد إلى تونس، فاستولى عليها سنة 935هـ، 1529م، وخطب فيها لسليمان القانوني. ففر السلطان الحسن الحفصي (932-942هـ)، مستنجدًا بملك الأسبان فثار السكان بمعية الأمير أحمد بن الحسن، لكن الأسبان استولوا على المهدية والمنستير وجربة وطرابلس في عهد السلطان أحمد المذكور (942-980هـ)، فاستردها منهم القائد درغوث باشا سنة 958هـ، 1551م، ودخل القيروان ونصب عليها حيدر باشا واليًا عثمانيًا. كما هجم والي الجزائر علي باشا على تونس، وأخذ البيعة بها للسلطان سليم الثاني، فاستنجد أحمد - كأبيه - بالأسبان، واقتحموا البلاد ثانية سنة 980هـ، 1572م. فحكم أخوه محمد (980-981هـ) تحت الحماية الأسبانية، يقاسمه أمر الدولة حاكم من قبل ملك أسبانيا. إلى أن أنقذ البلاد الفتحُ العثماني سنة 981هـ، 1573 بقيادة الوزير سنان باشا.¹

2- الحفصيون في الجزائر:

الجزائر الحفصية هي عبارة اليوم عن مقاطعتي الجزائر وقسنطينة مع جزء من مقاطعة وهران، وهي تنقسم إلى أربع ولايات: ولاية بونة وولاية بجاية وولاية قسنطينة وولاية الزاب وقاعدته مدينة بسكرة وتارة مقرة من بلاد الحضنة. ويمتد خط الجنوب إلى ما وراء بلاد ورقلة.²

3- المراكز الثقافية في العهد الحفصي³: لم تكن تونس تعدم مراكز ثقافية، فقد ورثت ذلك من دويلات شتى وهي الدولة الاغلبية والفاطمية والصنهاجية والموحدية. كل تلك الدويلات تركوا مساجد ومكتبات وكتاتيب وكتبا.. ولما ظهرت الدولة الحفصية - سليلة الدولة الموحدية - ودانت لها كل المنطقة وبويع بعض أمرائها بالخلافة، أدرك ملوكها قيمة العلم والمعرفة، فدعموا قوة دولتهم بزيادة خزائن الكتب وتنافس الملوك والأمراء في ذلك واهتم عدد منهم اهتماماً بالغاً بجمع أرصدة المكتبات الخاصة الزاخرة بالرقوق والمخطوطات. وأول من عرف بذلك السلطان أبو زكرياء الأكبر 647 هـ / 1249 م ولا نعلم خبر مكتبته إلا ما ذكره أبو محمد عبد الله التيجاني في "رحلته" أثناء ترجمته للحسن معمر الهواري الطرابلسي الذي كان تولى في مدة أبي زكرياء خطة العلامة الكبرى والنظر في خزائن الكتب. وكان للتنافس الذي ساد بين الولة الحفصية ونظريتها المرينية والزيانية أثره البالغ في تنشيط الحياة الأدبية، والمنافسة على اجتذاب العلماء والأدباء..

4- الحياة الأدبية في الدولة الحفصية:

بقي الأدب الجزائري على العهد الحفصي الأول كما كان في عهد الموحدين مزدهرا يجري على ما كان عليه من الاتجاهات، لكن وحدة الإمارة لم تلبث أن تفككت، فحكم بعض أمرائها بتونس، واستبدَّ بعضهم ببجاية، والآخرين بقسنطينة. والكل يريد أن يفاخر الآخر في أبهة السلطان، فيقرب الأدباء، ويحسن إليهم، فيأخذ الشعراء في مدحهم، والإشادة

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الحفصية.

² - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1965م، ج2، ص11.

³ - ينظر: محمد الصادق عبد اللطيف، تونس في العهد الحفصي مركز اشعاع ثقافي، موقع منتديات تونيزيا سكول، <http://www.tunisia-school.com>.

بفضلهم، ورغم ذلك لم يزدهر الشعر في هذه الآونة ازدهاره في ريعان شباب الدولة¹.. تناول الشعر في العهد الحفصي أغراضا كثيرة وهي: الحنين إلى الوطن، والإخوانيات، والمدح، و الوصف، و الزهد، والرثاء، والغزل، والمولديات، والشعر الديني عامة. وفي جانب النثر

5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الحفصية، ومختارات من أدبهم: ظهر في الساحة الحفصية جم غفير من الأدباء الجزائريين، اشتهر منهم ابن مرزوق الخطيب وابن الخلف القسنطيني ويحيى بن زكرياء السطيفي، وغيرهم كثير في كتاب عنوان الدراية للغبريني.

● **ابن مرزوق الخطيب²:** هو أحد أخطر ثلاثة علماء في هذه الفترة، أدبا وعلماء ودينا وسياسة. وهم ابن مرزوق الخطيب ولسان الدين ابن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون.

قال ابن مرزوق: عند وداع السلطان الحفصي أحمد أبو العباس³ عام 773 هـ متوجها نحو الديار المصرية⁴:

أودَّعُكُمْ وَأَتْنِي ثُمَّ أَتْنِي عَلَى مَلِكٍ تَطَاوَلَ بِالْجَمِيلِ
وَأَسْأَلُ رَغْبَةً مِنْكُمْ لِرَبِّي بَنَيْسِيرِ الْمَقَاصِدِ وَالسَّبِيلِ
سَلَامُ اللَّهِ يَشْمَلُنَا جَمِيعًا فَقَدْ عَزَمَ الْغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيلِ

كان ابن مرزوق الخطيب قد أقام في تونس مدة بعدما ساءت علاقته بالمرينيين؛ فلم يطمح له المقام في تونس أيضا، لأنه حل في وقت فتن واضطرابات، فعزم على الرحيل إلى الديار المصرية، واعتزال السياسة وأتاعها. ولا شك أن إقامته كانت في البلاط الملكي الحفصي لمكانة أسرة المرازقة، ولشخصيته العلمية والسياسية الخطيرة. وفي هذا الوداع الخاص بالسلطان أبي العباس إشارة واضحة على ذلك.

وأثنى ابن مرزوق ظاهرا على السلطان أبي العباس لفضله وجميله عليه؛ حيث كان "شجاعا دينا عاقلا صفوحا (..) فهو الذي شيد رسوم بني حفص بعد اندراسها؛ وأقام منار

¹ - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص188-189.

² - ابن مرزوق الخطيب: "محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، العجيسي التلمساني، شمس الدين أبو عبد الله الشهير بالخطيب والجد والرئيس: فقيه، من أكابر علماء المالكية في عصره، له مشاركة في فنون الأدب والدين والعلم، ولد بتلمسان. ورحل مع والده إلى الحجاز سنة 718 هـ فحج وجاور، ثم عاد منفردا فدخل الشام ومصر فأخذ عن علمائها. رجع إلى تلمسان سنة 733 هـ فولاه السلطان أبو الحسن خطابة مسجد العباد وقربه إليه وجعله خطيبا حيث يصلي في مساجد المغرب، وسفر عنه إلى ملوك الأندلس وإفريقية، كلفه أبو سعيد عثمان بن جرار في مهمة سجن من أجلها أياما ثم أفرج عنه فرحل إلى الأندلس وولي الخطابة في جامع الحمراء بغرناطة. وفي سنة 754 هـ استدعاه السلطان أبو عنان إلى تلمسان وقربه إليه وأوفده في مهمة إلى تونس فلم يوفق، ووشي به/ إلى السلطان فسجنه ثم أطلقه قبل موته - أي موت السلطان-. وفي أواخر سنة 762 هـ سجنه الوزير عمر بن عبد الله ثم أفرج عنه، فرحل إلى تونس حيث ولي الخطابة في الجامع الموحيدي. وفي سنة 770 هـ دخل القاهرة فاتصل بالسلطان الأشرف فكرمه وولاه الوظائف العلمية فاستمر قائما بها إلى أن وافاه الأجل في شهر ربيع الأول ودفن في مقبرة القرافة الصغرى..".

- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص289-290.

³ - أحمد الحفصي (00 - 796 هـ = 00 - 1394 م) أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، الحفصي: من كبراء ملوك الحفصيين بتونس، يلقب أبا السباع. كان أميرا على قسنطينة، وثار على السلطان خالد بن إبراهيم صاحب تونس فخلعه وتولى السلطنة سنة 772 هـ وقمع الفتن، وكانت ملء السهل والجبل، واستعاد البلاد من المتغلبين، فدخلت في طاعته بلاد الجريد وقابس وجربة وطرابلس والزاب. وقويت أساطيله. فأغراها الشواطئ المجاورة، واستمر إلى أن توفي بتونس. وكان عادلا حازما شجاعا، من مفاخر الحفصيين". - الزركلي خير الدين، الأعلام، ج1، ص225.

⁴ - أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص418.

بني حفص في الإمارة، ودعم أساسها⁽¹⁾. ولكن شاهد الحال يدل على أنَّ ابن مرزوق لم يكن مرتاحاً من طرف أهل تونس، الذين نعتوه من قبل بالغريب وبالكلب.

وذلك حين كان ابن مرزوق سفيراً لبني مرين، ووفد على السلطان الحفصي ببعض الرسائل السلطانية. وقد فَصَّلَ لنا المقرئ في نفحه أحداث تلك القصة؛ فقال: "حدثني عمي الإمام سيدي سعيد المقرئ - رحمه الله تعالى - أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية، طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان، فأجابهم إلى ذلك، وعينوا له محل البدء، فطالع فيه، فلما حضروا قرأ القارئ غير ذلك، وهو قوله - ﷺ - ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ (سورة الأعراف، الآية 176) وأرادوا بذلك إفحام الشيخ والتعريض به، فوجم هنيهة، ثم تفجر بينابيع العلم، إلى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال المحمودة، وساقها أحسن مساق، وأنشد عليها الشواهد، وجلب الحكايات، حتى عدَّ من ذلك جملة، ثم قال في آخرها: فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله، غير أنَّ فيه واحدة ذميمة، وهي إنكاره الضيف، ثم افترق المجلس. وأخبرني أنه أطل في ذلك المجلس من الصبح إلى قرب الظهر"².

• أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي³: ... 677 هـ = ... 1278 م ومنهم شيخنا، الشيخ الفقيه، الولي الصالح المبارك، أبو زكرياء يحيى بن زكرياء ابن محجوبة القرشي السطيفي باطنة شيخ شيوخنا، الشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه. كان من المتعبدين لزهاد الأولياء، رحل إلى المشرق ولقي مشائخ، واقتصر على أبي الحسن الحرالي، واستفاد منه علم الظاهر والباطن، وحصل من هديه الجلي والكامن، لقيه بالديار المصرية وصحبه هناك مدة طويلة، وهناك ظهرت له حقائق، وانقطعت عنه عوارض العلانق، وكان للشيخ رضي الله عنه هنالك، أصحاب قد أدركوا المدراك، وجاوزوا سبيل السالك، وكانوا يريدون ترقى الشيخ أبي زكرياء إلى بعض مداركهم، والانتظام في سلوكهم وما زالوا إلى أن ظهر له بعض التحقيق، واعتمد جادة الطريق، فأنهوا ذلك إلى الشيخ أبي الحسن رحمه الله، فأنشده في معنى ما ظهر له، وبين له الحال فيما لم يظهر له، هذه الأبيات.

جئت لك ليلى من مثلى نقابها
طريقاً وأبدت لمعة من جمالها
فطبت بها عيشاً وتهت لـذاذة
وفيكأك الالمـعاع بـرد ظلالها
فكيف ترى ليلى إذا هي أسفرت
ضحاء وأبدت وارفـاً من دلالها
وكيف بها أن لم يغيب عنا شخصها
ولم تخل وقتاً من منال وصالها
وكيف يكون الأمر أن كنتها
وكانتـك تحقـيقاً فحلت لحالها

¹ - محمد بن أبي القاسم ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1286 هـ، صص 132-136.

² - أحمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص433.

³ - الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الذراية، ص103-104.

وكان رحمه الله ممن تخلص عن الدنيا وتركها، وكان صاحب كرامات، وكان مستجاب الدعوة. سمعت عن الشيخ أبي الحسن الحرالي رضي الله عنه، إنه عين أصحابه بعده، فقل إنه قال: أصحابي ثمانية وعشرون، منهم أربعة تستجاب دعوتهم، وعين من الأربعة الشيخ أبا زكرياء رضي الله عنه، وربما زاد الناقلون في العدد أو نقصوا منه، وروح المسألة أن الشيخ أبا زكرياء أحد الأربعة الذين تستجاب دعوتهم وسمعت أن منهم الشيخ أبا محمد ابن عبد المسير الاطرابلسي - رحمه الله - . وكان في علم التصوف مقدما، وكانت له أخلاق حسنة، ومن فضائل وزهده، إنه عرض عليه في مدة الأمير أبي يحيى برد الله ضريحه، أن يجعل له مرتب من أعشار الديوان في كل شهر فامتنع من ذلك وقال: أن اسمي في ديوان الوجود المطلق فلا أجعله في لديوان المقيد، لأن الإطلاق أوسع من التقيد وهو في ديوان الحق فلا أجعله في ديوان الخلق.

ورأيت له تأليفا حسنا في "شرح أسماء الله الحسنى" وله في التصوف "تقايد" كثيرة، وله نظم حسن وقطع مستحسنة كلها في المعاني الصوفية.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي المعروف بالجزائري¹: - أواسط القرن السابع الهجري - ومنهم، الشيخ الفقيه، الكاتب الأديب البار، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد الأريسي المعروف بالجزائري: هو حفيد الفقيه الجليل أبي عبد الله الأريسي المتقدم ذكره في هذا الكتاب من أدباء الكتاب وهو من نظراء شيخنا أبي عبد الله التميمي في علم النظم والقريض ومن أصحابه، كان حسن النظم والنثر، مليح الكتابة حسن الوراق في البطاقة، وكان سهل الشعر، وكان كثير التجنيس يأتيه عفوا من غير تكلف، ولأجل ذلك حسن نظمه. وكان مليح التواشيح، أن طال في شعره أعرب، وإن اقتصر واقتصد أعجب. وكان شيخ كتبه الديوان ببجاية. وله شعر كثير في كل فن من فنون الشعر، ومن نظمه رحمه الله:

يا من على جوده المعهود أتكل
ويا ملاذي إذا ضاقت بي الحيل
غرقنت في بحر آثامي فخذ بيدي
وامنن بعفو فاني خائف وجل

وله أيضا:-

أدركها فقد هب نسيم دارين
ونم بسر العروس نشر الرياحين
وقام خطيب الورق يدعو هزيله
وغنى فأغنى عن ضروب التلاحين
وذكر أيسام الصبابة والصبابا
ولذة عيش كان لي غير ممنون
فثار كمين الوجد من مستقره
وبحت بسر بين جنبي مخزون
قياسا ساكني نجد أطرق حيكم
وارجع مغلوبا بصفة مغبون

¹ - الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدراية، ص 337-340.

ويا ساكني الجرعاء أن كان عندكم
نصيب من الصبر الجميل فراسوني
تركبت فؤادي عند خيمة زينب
وماسحر عينيها علي بمأمون
أغارت عليه حين لم يلف ناصرا
وأغرته بي حتى تعلم يجفوني
فكم خللت أن الحبيب لا يسـتـفـزني
وأن التصابي خالقـة لا تـوـاتيني
وكم صنت عن نظم القريض وصنته
إلى أن رأيت عيني، علي بن ياسين

وله أيضا:

لعلك بعد الهجر تسمح يابدر
بوصل فقه أودى بمهجتي الهجر
أبيت كما ترضى الكأبة والأسى
وأضحى كما تهوى الصابابة والفكر
إذا قنطت نفسي ينادي بها الرجاء
رويدك كم عسر على إثره يسر
وإن ذكرت يوم الفراق تقطعت
علائق آمال يرحمها الذكر
ولا أنس يوما للسرور وبيننا
عتاب كبرد الماء لكنه الجمـر
ولا كأس إلا ما سقاني به اللمى
ولا نقل إلا ما حباني به الصـدر
تقول وقد مالت بمعطفها الطـلال
وخفت لأن تخطو فأتقاهـا السـكر
وقد جاذبت ريح الصبا فضل مرطها
فأومض لي برق تضمه الثغر
أمن يومنا بالجزع أنت موله
تفيض من الامـاق أدمعك الحمـر
دع العتب فـالعتبى أحق بيومنا
وعد عن الشكوى فقد قضى الأمر
علمنا وإن لم يعلم الحبيب إنه
ذلول الهوى صعب وحلو النوى مر
وليل اللقاء صبح وصبح النوى دجى
وشهر الرضى يوم ويوم النوى شهر
فو الله ما ادري لطيب حـديثها
اضمن سحرا لفظها أم هو السحر

فيا حبذا يوم فقدت به الحجي
وودعني إذ ودعت شمه الصبر
خيلني قولا أن بدا لكم الحمي
أهيل الحمي مشغوفكم مسه الضر
على م تناسيتم حديث عهدكم
وليس له ذنب وليس له عذر
أهيل الحمي منوا بطيف خيالكم
عسى نلتقي أو يلتقي النوم والشفير
بما بيننا لا تقبلوا من وشائنا
فما ضاع لي ود وما ذاع لي سر
فكم رمت أن أقضي فريضة حقكم
فلما أردت السعي أثقاني الوزر
ومن نظمه رحمه الله:

أهل الحمي لكم عن قصتي خبر
وفي ضلوعي نيران يضرها
لما رأيت بدور الحي سافرة
ولا عوامل إلا من قدودهم
سألتك الله يا حادي المطي بهم
كرر علي فلي قلب يميل إلى
وأنت يا سعد أن غنت ظباؤهم
ورب ليل بليلي بت أسهره
تبدو كشمس الضحى تلو قضيب نقا
تقول والحسن يطغيها فتظلمني
دع الحسام وضع حمل السلاح فما
ما للمهند حكم في محانتنا
وللطب فتكات بين أرحاننا
فإن طمعت بلين في لواظنا
وإن حلت لك ألفاظ نرددها
إننا لنجرح من ألقاظ مبصرنا
فأرحم شبيبك وأرحل دون مغلبة
فعندها أيقنت نفسي لغيبتهما
وقمت ألقظ من ألقاظها دررا

- ابن الخلف القسطنطيني¹: (829 - 899 هـ = 1425 - 1494 م)؛ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، شهاب الدين، الخلف: شاعر تونسي. أصله من فاس، ومولده بقسنطينة، وشهرته ووفاته بتونس. اتصل بالسلطان عثمان الحفصي، وأكثر من مدحه. له

¹ - الزركلي خير الدين، الأعلام، ج1، ص231.

(ديوان شعر - ط) و (مواهب البديع) و (جامع الأقوال في صيغ الأفعال) أرجوزة، و (عمدة الفارض) أرجوزة في الفرائض، و (تحرير الميزان) في العروض، و (نظم المغني) في النحو، و (نظم التلخيص) في المعاني والبيان. زار القاهرة أكثر من مرة".
قال ابن الخلف القسنطيني¹: من مدحية نبوية عنوانها؛ قرع باب الفرج بمدح طه الرفع
الدرج:

يا نسيماً من أرض طيبة وافى	عطر الجو حيث صار بليلاً
ملاً الأرض زررباً وبهارة	وخزاماً وأذخراً وجللاً
قد فرشنا لك العيون اتضاعاً	ولثمنالك الثرى تبجلاً
علل الصب بالقبول فإني	يا نسيم الص، با أراك قبولا
وأعني على تعلل صبري	ربما ساعد العليل العليلاً
وأعد لي ذكر الحبيب لأسقي	بحديث الحبيب كأساً شمولاً
وإذا عدت للمنازل فاشرح	قصة الصب واحذر التعويلاً
واقراً له مني السلام وقبل	عني النعل والثرى تقبلاً
واجبر بالله يا نسيم بلطف	بعض ذكري عند الحبيب قليلاً
واحك ذلي لعزه وتعطف	فعسى برحم العزيز الذليلاً
وتلطف عسى يمن بوعده	إنه كان وعده مفعولاً
وأمل شجوي على الحمام وطارح	بلبل الدوح واتخذ وسيلاً

قال ابن الخلف القسنطيني: وكانت له علاقات طيبة بالسلطان الحفصي أبي عمرو عثمان².
لم يكن ابن الخلف مداح ملوك ولم يرد ذلك؛ لأنه تخصص في مدحه للرسول - ﷺ -
وحده، ولم يرد أن يشوّه بمدح الملوك، ولما أعوزته الحاجة لم يفرط، وقصر مدائحه على
أبي عمرو عثمان ووليّ عهده المسعود، ولم يزد عليهما. قال الشاعر طالب النوال، شاكياً
حاله إلى سلطانه³:

فَجَذُّ بِالرَّضَا لِابْنِ الْخَلُوفِ فَإِنَّمَا	أَيَّادِي رَجَاهُ نَحْوَ جُودِكَ مُدَّتْ /
وَلَا تَنْسَنِي مِنْ جُودِكَ الطَّمَّ بَعْدَمَا	أَمَرْتُ بِأَنْعَامٍ لِعَبْدِكَ بَلَّتْ
فَأَنْتَ مَلَاذِي، وَاعْتِمَادِي وَغَايَتِي	وَعِزِّي وَسُلْطَانِي وَأَمْنِي وَمُنْتَهَايَ
وَعَوْثِي وَفَخْرِي وَافْتِخَارِي وَعُدَّتِي	وَكَهْفِي وَمَطْلُوبِي وَكَنْزِي وَعُمْدَتِي

حقيقة إنما دافع المديح عند ابن الخلف الحاجة، غير أنه في المقابل "كان يحس في
قرارة ذاته، أنه بهذا الوابل من المديح لممدوحيه كان يؤدي ديناً عليه، متمثلاً في روح
المواطنة اللاشعورية"⁴. وفي مدحية أخرى يظهر ابن الخلف مهندساً للفضائل التي حلي
بها السلطان؛ فعمل العقل، والترتيب المنطقي، وحسن الاختيار، ظاهر جلي. وفي هذا دلالة

¹ - ابن الخلف القسنطيني، ديوان جنى الجنيتين في مدح خير الفرقتين - ديوان الإسلام - تحقيق العربي دحو، اتحاد
الكتاب الجزائريين، الجزائر، دط، 2004م، ص119.

² - أبو عمرو الحفصي (821 - 893 هـ = 1418 - 1488م) عثمان بن محمد بن عزوز (عبد العزيز) بن أحمد
الهنتاتي الحفصي، أبو عمرو: من ملوك الدولة الحفصية بتونس.

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج4، ص213.

³ - أحمد بن عبد الرحمن ابن الخلف القسطيني، الديوان، الدار العربية للكتاب، جمع وتحقيق هشام بوقمرة، دط، دتط،
ص91-92.

⁴ - عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1986م، ص195.

على الروية في شعره، والابتعاد عن الارتجال، لأنه آمن لمن يتعامل مع الملوك. قال ابن الخلف¹:

سَاسَ الْخِلَافَةَ بِالْمَكَارِمِ وَالْحَجَى
تَعْلُو السَّمَاءَ ثَلَاثَةَ مِائَاتِ أَرْضِهِ
وَتَلَاثَةَ تَغَشَاكَ أَنْيَ زُرَّتُهُ
وَتَلَاثَةَ قَدْ جُنِبَتْ أَخْلَاقُهُ
وَتَلَاثَةَ فِي الْعِزِّ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَالْمَجْدُ وَهُوَ اثْنَانِ أَحْرَزَ وَاحِدًا
هَذِي الْمَآثِرُ لَيْسَ يُنْشِئُ مِثْلَهَا
تَتَحَيَّرُ الشُّعْرَاءُ فِيهَا إِذْ تَعْمُ

إِذْ لَمْ يَسُسْهَا قَبْلَهُ الْخُفَاءُ
أَفْضَلُ وَالْإِفْضَالُ وَالنَّعْمَاءُ
الْبِرُّ، وَالْإِرْفَادُ، وَالسَّرَاءُ
الْخُلْفُ، وَالْإِثْمَامُ وَالشُّخْنَاءُ/
الْتَفُضُّ وَالْإِبْرَامُ وَالْأَرَاءُ
أَعْمَامُهُ وَالْأَخْرَارُ الْإِبْرَاءُ
بَانَ وَلَمْ يَسْمُ بِهَا النَّظْرَاءُ
فِي بَحْرِهَا الْكِبْرَاءُ الْعُظْمَاءُ

6- الأدب الجزائري خلال العهد الحفصي خصائصه، تطوره، وأثره:

- ✓ إن كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لمؤلفه أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني يعتبر خير شاهد على إنجازات الجزائر الحفصية وكذا الموحدية من الناحية الأدبية. وقد تضمن الكتاب تراجم لجزائريين ومغاربة وأندلسيين..
- ✓ كان الحفصيون يقلدون نظام الموحدين، ولا شك أن نظاما يستمد أصوله من النظام الموحي لا يستغرب فيه أن يولي اهتماما عظيما إلى الثقافة.
- ✓ يلاحظ أن التعليم يومئذ كان منتشرا بالكتاتيب والمساجد التي هي معاهد الإسلام التعليمية.
- ✓ إن الأمراء والعمال في قسنطينة وعناية وبجاية والجزائر كانوا يحبون العلم ويقربون أهله ويشجعونهم.
- ✓ زحرت المساجد بالعلماء ونبغوا في شتى العلماء.
- ✓ أحدث تمازج العلماء الأندلسيين والعرب والبربر جوا علميا مميزا.
- ✓ قال أبو علي المسيلي: "أدركت بجاية ما ينيف على تسعين مفتيا" فما ظنك بالأدباء والنحاة والمحدثين وغيرهم.
- ✓ خير ممثل للأدب الجزائري في العهد الحفصي ابن الخلف القسنطيني، وقد اشتهر بجودة الشعر والكتابة فكان يعرف بين أدباء عصره بذي الصناعتين.

¹ - ابن الخلف القسنطيني، الديوان، ص75-76.

«المحاضرة - 11 - الحادية عشرة» الأدب الجزائري في عهد الدولة الزيانية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة الزيانية
- 2- النشاط العلمي في الدولة الزيانية
- 3- الأدب والأدباء في العهد الزياني
- 4- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الزيانية، ومختارات من أدبهم
- 5- الأدب الجزائري خلال العهد الزياني (خصائصه، تطوره، وأثره)

1- تاريخ الدولة الزيانية:

ظهرت دولة بني عبد الواد في نهاية الثلث الأول من القرن السابع الهجري، واتخذت من تلمسان حاضرة لها. وأول من استقل بها أبو يحيى يغمراسن بن زيان، الذي بويع بعد مقتل أخيه زيان سنة 633هـ. وكانت الدعوة في تلمسان للموحدين، وقد ضعف أمرهم وثار عليهم صاحب إفريقية أبو زكرياء الحفصي ووصل بجيشه تلمسان، فخرج منها أبو يحيى يغمراسن ثم انتهى الأمر بينهما بالصلح. وأقبل بعد ذلك السعيد المؤمني من مراكش سنة 646هـ، 1248م يريد حرب الحفصي بإفريقية، فقاتل أبا يحيى يغمراسن لكن النصر كان لهذا الأخير، فقتل السعيد وغنم ما كان معه من ذخائر الدولة الموحدية وما كان لجيشه من متاع ومال. وكان ذلك بدء استقلال بني عبد الواد في تلمسان وما حولها من وسط غربي المغرب الأوسط. وكان يغمراسن أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك في تلك الدولة، فكان محباً للعلم ومجالسة العلماء، وقد استمرت إمارته أكثر من أربع وأربعين سنة (ت سنة 681هـ، 1283م. وبلغت الدولة عصرها الذهبي في عهد أبي حمو موسى الزياني في جميع النواحي؛ وسقطت في يد العثمانيين بصفة نهائية سنة (962هـ = 1555م)¹.

2- النشاط العلمي في الدولة الزيانية:

ظهرت حركة علمية نشطة داخل تلمسان في العهد الزياني، ويتضح ذلك من خلال ظواهر علمية متعددة منها: انتشار معاهد التدريس من مساجد ومدارس، ظهور عدد كبير من العلماء داخل المدينة على مدى ثلاثة قرون عملوا خلالها على نشر علونهم داخل المدينة ومدن الغرب والأندلس ومدن المشرق، ظهور عدد من المؤلفات لعلماء المدينة، تنوع العلوم المتداولة داخل المدينة من علوم عقلية وعلوم نقلية شملت بمحتواها جميع العلوم المعروفة بتلك الفترة، انتشار المكتبات العامة والخاصة، ظهور فتاوى من علماء تلمسان أخذت صفة التعميم على مستوى المغرب والأندلس.

3- الأدب والأدباء في العهد الزياني: "عرف الأدب الجزائري في هذه الفترة ازدهارا كبيرا، فتطور تطورا محسوسا من حيث الكم ومن حيث الكيف، ولقد تهيأت لذلك عدة عوامل من شأنها أن تدفع به، فقد قيض الله للبلاد أن قامت فيها دولة كان ملوكها من العلماء والأدباء والشعراء، فمن البديهي أن يسعوا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية، فغلبوا اليهم أهل العلم والأدب، وأغدقوا عليهم، وحاطوهم برعايتهم وعنايتهم، فأصبح البلاط الزياني

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة الزيانية.

زاخرا بالأدباء، فكانوا الكتاب الخبراء، والشعراء السياسيين للدولة، ينطقون بمجدها ويمدحون ملوكها.

وقد وجد الشعراء الأرض خصبة لمواهبهم، فطبيعة تلمسان وضواحيها فتانة من شأنها أن تؤثر في إحساسهم. أضف إلى ذلك تلك الأحداث التي ألمت بهذه الفترة، فما أشد ما كانت وطأتها على قلوب الناس، وما أقوى ما كان تأثيرها في نفوس الشعراء، فهذه العوامل كلها شحذت قرائح أهل القريضة، فجاءوا بشعر كثير جيد في معظمه، نلمس فيه حبا للوطن، وافتتانا بطبيعته الساحرة.

وأما الكتاب فقد نهضوا بالنثر نهضة فنية. حلوه بخيال فسيح يلائم ذلك الجمال الإقليمي البديع وزينوه بالتشبيهات والاستعارات والعبارة الأنيقة وأفرغوه كالمشاركة والأندلسيين، في سجع يتضمن أحيانا الآيات القرآنية والأحاديث والأشعار والأمثال، واشتمل على كل مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية. وبجانب هذا النثر الفني كان نثر مرسل، نلمسه في الأسلوب العلمي والكتابة التاريخية.

وأعجب الجزائريون بالموشحات الأندلسية منذ أواخر عهد الحماديين، ونسجوا على منوالها ولكنها لم تنضج إلا في هذا العصر، الذي تسرب فيه التصوف إلى الأدب الجزائري ونشأت المدائح ثم المولديات، فَحَلَّ الأدب بمملكة تلمسان كان خصبا، وسوقه رائجة. وعندما حلَّ بها المهاجرون الأندلسيون زاد هذا الحقل خصبا وهذه السوق رواجاً. فكان منهم الشعراء والكتاب، وسجل التاريخ قصائد قالوها في مناسبات عديدة ورسائل أنشأوها لملوك بني زيان. والجدير بالذكر أن الأدب تأثر في هذه الفترة بأدب المشرق وأدب الأندلس دون أن يفقد شخصيته الجزائرية وما لها من مميزات¹.

4- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الزيانية، ومختارات من أدبهم:

● **يغمراسن بن زيان²:** (681 – 603 هـ = 1206 - 1283 م) يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أمير المسلمين، أبو يحيى: أول من استقل بتلمسان من سلاطين " بني عبد الواد ". بويغ يوم مقتل أخيه (زيدان بن زيان) سنة 633 هـ وكانت الدعوة في تلمسان لبني عبد المؤمن، وقد ضعف أمرهم وثار عليهم صاحب إفريقية " أبو زكريا الحفصي " ووصل بجيشه إلى تلمسان، فخرج منها يغمراسن بأهله وماله إلى الصحراء، وأرسل إليه الحفصي يدعوه، فلم يجب. وانتهى الأمر بينهما بالصلح. وعاد الحفصي إلى إفريقية، ويغمراسن إلى تلمسان. وأقبل " السعيد المؤمني " من مراكش (سنة 646) يريد حرب الحفصي بإفريقية فلما اقترب من تلمسان أفرج له يغمراسن عنها، منحازا إلى جبل قريب منها، رغبة في السلم، فقصده السعيد، فاقتتلا فقتل السعيد، وظفر يغمراسن بما معه من ذخائر الدولة المؤمنية " كالمصحف العثماني " و " العقد اليتيم " وما كان لجيشه من متاع ومال. وكان ذلك بدء استقلال بني عبد الواد في تلمسان وأغادير وتلك الأنحاء. وهو أول من خلط زيّ البداوة بأبهة الملك، في تلك الدولة. وكان شجاعا فاضلا حلما متواضعا، يكثر من مجالسة العلماء والصالحين. وصاهر بني حفص أصحاب تونس فزوج ابنه " عثمان " بابنة إبراهيم ابن عبد الواحد الحفصي، وخرج للقاءها بمليانة

¹ - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص221-222.

² - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص206-207.

(Milyana) وبينما هو عائد أدركته الوفاة في وادي شلف (Oued Chelif) وحمل إلى تلمسان فدفن فيها. ومدة إمارته 44 سنة وخمسة أشهر و 12 يوماً.

مقولة ليغمراسن في النسب الشريف الذي قيل فيهم: كان أسلافه يدعون النسب الشريف إلى بيت النبوة. فقال: " إِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا، فَيَنْفَعُنَا عِنْدَ اللَّهِ، أَمَّا الدُّنْيَا فَإِنَّمَا بِلُئْلَاهَا بِسُيُوفِنَا"¹.

ابن خميس التلمساني²: [645 - 708 هـ = 1247 - 1309 م] محمد عمر بن محمد بن عمر الحجري الرعيني، أبو عبد الله الشهير بابن خميس : شاعر فحل، عالم بالعربية، ولد بتلمسان، وبها نشأ وأخذ عن مشيختها. ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء، وأمانة سره . ثم رحل إلى سبتة فأقام بها مدة، ومدح رؤساءها من بني العزفي . وفي أواخر سنة 703 هـ دخل الأندلس وسكن غرناطة وتصدر للإقراء، فذاع صيته، فضمه الوزير أبو عبد الله بن الحكيم إلى مجلسه، وله فيه مدائح كثيرة . وكانت وفاته في حادثة نكبة الوزير ابن الحكيم، قتله بعض مهاجمي قصر الوزير دون جريرة، ضحوة يوم الفطر، مستهل شوال، وله نيف وستون سنة³.

من شعر ابن خميس: في رثاء تلمسان بعد سقوطها في يد المرينيين³.

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو وداري بها الأولى التي حيل دونها وعهدي بها والعمر في عنفوانه قرارة تهيام، ومغنى صبابه إذا الدهر مثني العنان منهنه ليالي لا أصغي إلى عذل عاذل معاهد أنس عطلت فكأنها وأربع آلاف عفا بعض أيها فمن يك سكران من الوجد مرة ومن يقتدح زناداً لموقد جذوة أنسى وقوفي لاهياً في عراصها وإلا اختيالي ماشياً في سماطها وإلا فعدي مثلاً ينفّر الطلا كأنني فيها أردشير ابن بابك وإخوان صدق من لاتي كأنهم وعاة لما يلقي إليهم من الهدى هم القوم كل القوم سيان في العلا مضوا ومضى ذاك الزمان وأنسه كأن لم يكن يوماً لأقلامهم بها ولم يك في أرواحها من ثنائهم	منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ مثار الأسى لو أمكن الحنق اللبخ وماء شبابي لا أجين ولا مضخ ومعهد أنس لا يلذ به لطخ ولا ردع يثني من عناني ولا رده كأن وقوع العذل في أذني صمخ ظواهر ألفاظ تعمدتها النسخ كما كان يعرفو بعض ألواحنا اللطخ فإني منه طول دهري لملتخ فرند اشتياقي لا عفار ولا مرخ ولا شاغل إلا التودع والسبخ رخياً كما يمشي بطرته الرخ وليداً، وحجلي مثلاً ينهض الفرخ ولا ملك لي إلا الشبيبة والشرخ جأذر رمل لا عجاف ولا بزخ وعن كل فحشاء ومنكرة صلخ شبابهم الفرعان والشبيخة السلخ ومر الصبا والمال والأهل والبذخ صرير، ولم يسمع لأعجبهم جبخ شميم ولا في القضب من لينهم ملخ
---	--

¹ - عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال، بيروت، لبنان، دط، 1979، ج7، ص72.

² - عادل نويهض، - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص135.

³ - أحمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص370.

ولا في محيا الشمس من هديهم سناً
 سعيتم بني عمور في شت شملنا
 دعيتم إلى ما يرتجى من صلاحكم
 تعاليتم عجباً فطم عليكم
 وأوغلتم في العجب حتى هلكتم
 كفاكم بها سجن طويل وإن يكن
 فكم فئة منا ظفرتم بنيلها
 كأنكم من خلفها وأمامها
 فللسوق منها القيد إن هي أغربت
 كأن تحتها من شدة القلق القطا
 وأقرب ما تهذي به الهلك والتي
 فماذا عسى نرجوه من لم شعثها
 زعانف أنكاد لئام عناكل
 ولما استقلوا من مهاوي ضلالهم
 دعاهم أبو يعقوب للشرف الذي
 فلم يستجيبوه فذاقوا وبالهم
 وما زلت أدعو للخروج عليهم
 وأبذل في استئصالهم جهد طاقتي
 تركت لمينا سببة كل نجعة
 وآليت أن لا أرتوي غير مائها
 وأن لا أحط الدهر إلا بعقرها
 فكم نقعت من غلة تلکم الأضا
 وحسبي منها عدلها واعتدالها
 وأملكها الصيد المقولة الألى
 كواكب هدي في سماء رياسة
 ثواقب أنوار تري كل غامض
 وروضات آداب إذا ما تأرجت
 مجامر ند في حدائق نرجس
 وأبحر علم لا حياض رواية
 بنوا العزفيين الألى من صدورهم
 إذا ما فتى منهم تصدى لغاية
 رياسة أخيار وملك أفاضل
 إذا ما بدا منا جفاء تعطفوا
 نزورهم حذاً نحافاً فننتهي
 يربوننا بالعلم والحلم والنهي
 وما الزهد في أملاك لخم ولا التقى
 وإلا ففي رب الخورنق غنية

ولا في جبين البدن طيبهم ضمخ
 فما تجرکم ربح ولا عيشنا ربح
 فردكم عنه التعجرف والجمخ
 عباب له في رأس عليائكم جلخ
 جماح غواة ما ينهنهم قفخ
 هلاك لكم فيها فهي لكم فخ
 بأبشارها من حجم أظفاركم برخ
 أسود غياض وهي ما بينكم أرخ
 وللهم إن لم تعط ما رعت النخ
 ومن فوقها من شدة الحذر الفتخ
 وأيسر ما تشكو به الذل والفنخ
 وقد حز منها الفرع واقتلع الشلخ
 متى قبضوا كفاً على إثره طخوا
 وأوموا إلى أعلام رشدهم زخوا
 يذل له رضوى ويعنوا له دمخ
 وما لامرئ عن أمر خالقه نخ
 وقد يسمع الصم الدعاء إذا أصخوا
 وما لظنايب ابن سابعة قفخ
 كما تركت للعز أهضامها شمش
 ولو حل بي في غيره المن والمذخ
 ولو بوأنتي دار أمرتها بلخ
 وكم أبرئت من علة تلکم اللبخ
 وأبحرها العظمى وأريافها النفخ
 لعزهم تعنوا الطراخمة البلبخ
 تضییء فما يدجو ضلال ولا يضخو
 إذا الناس في طخياء غيهم التخوا
 تضاءل في أفياء أفنانها الرمش
 تنم ولا لفح يصيب ولا دخ
 فيكبر منها النضح أو يعظم النضخ
 وأيديهم تملا القراطيس والطرخ
 تأخر من ينحو وأقصر من ينخو
 كرام لهم في كل صالحة رضخ
 عايناء، وإن حلت بنا شدة رخوا
 وأجمالنا دلح وأبداننا دلخ
 فما خرجنا بز ولا حدنا برخ
 ببدع، وللدنيا لزوق بمن يرخو
 فما يومه سر ولا صيته رضخ

وقد نال منه العجب ما شاء والجفخ
بحجة صدق لا عيام ولا وشخ
وقد كان يؤذي بطن أخصه النخ
دواء، ولكن ما لأدوائنا نتخ
يرى أنها في ثوب نخوته لتخ
فلم يثنه عنها اجتذاب ولا مصخ
وكان لها من كفه الطرح والطخ
كمن في يديه من معاناتها نبخ
كمن حظه منها التمجع والنخ
ونصلج حتى ما لأذائنا صمخ
ولا لقضاء الله نقض ولا فسخ
يساد بها إلا وأنت بها سنخ
لدرتها في كل سامعة شخ
فما لهم كسب سواها ولا نخ
دماء، وفي أعماق أعظمهم مخ
ومرعاهم وزخ ومرعيهم ولخ
فما دون ما تبغون وحل ولا زلخ
فما غربكم جف ولا غرفكم وضخ
وتيهوا على من رام شأوكم وانخوا
ففي رأسها من وطء أسلافكم شخ
إذا جليت خائيتي الغض والفضخ
ففي نفسها من مدح أملاكها مدخ
وقد جد فيها الزهو واستحكم الزمخ

تطلع يوماً والسدير أمامه
وعن له من شبيعة الحق قائم
فأصبح يجتاب المسوح زهاده
وفي واحد الدنيا أبي حاتم لنا
تخلي عن الدنيا تخلي عارف
وأعرض عنها مستهيناً لقدرها
فكان له من قلبها الحب والهوى
وما معض عنها وهي في طلابه
ولا مدرك ما شاء من شهواتها
ولكننا نعمى مراراً عن الهدى
وما لامرئ عما قضى الله مزحل
أبا طالب لم تبق شيمة سودد
لسوخت أبناء الزمان أياديها
وأجريتها فيهم عوائد سودد
غذتهم غواذيتها فهي في عروقهم
وعمتهم حزنناً وسهلاً فأصبحوا
بنبي العزفيين ابلغوا ما أردتم
ولا تقعدوا عم من أراد سجالكم
وخلوا وراء كل طالب غاية
ولا تذروا الجوزاء تعلو عليكم
لأفواه أعدائي وأعين حسدي
دعوها تهادي في ملاءة حسنها
يمانيّة زارت يمانين فانثنت

ومما أنشده ابن خميس في حنينه إلى تلمسان¹:

فعد صباها من تلمسان أنباء
إليك بما تنمي إليها وإيماء
ولأذن إصغاء وللعين إكلاء
وللنجم مهما كان للنجم إصباء
وفي رد إهداء التحية إهداء
قتاد كما شاءت نواها وسلاء
ففي مره بي من جوى الشوق إبراء
عيون لها في كل طالعة راء
ببعض اشتياقي لو تمكن إنباء
وقد أخلقت منها ملاء وأملاء

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء
وفي خفقان البرق منها إشارة
تمر الليالي ليلة بعد ليلة
وإني لأصبو للصبأ كلما سرت
وأهدي إليها كل يوم تحية
وأستجلب النوم الغرار ومضجعي
لعل خيالاً من لدنها يمر بي
وكيف خلوص الطيف منها ودونها
وإني لمشقاتك إليها ومنبئ
وكم قائل تفنى غراماً بحبها

¹ - أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص370-376.

لعشرة أعوام عليها تجرمت إذا ما مضى قيظ بها جاء إهراء

• **أبو حمو موسى الزياني الثاني:** هو من سلالة مؤسس الدولة العبد الوادية (يغمراسن) "موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، أبو حمو: مجدد الدولة الزيانية العبد الوادية في تلمسان، وثالث ملوكها في دورها الثاني. ولد في غرناطة بالأندلس، وكان أبوه مبعدا إليها منذ : 718 هـ / 1318م. وانتقل إلى تلمسان، في سنة ولادته، مع أبيه، فنشأ بها ودرس على أشهر علمائها مبادئ العربية والعلوم الدينية. وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، استولى بنو مرين على تلمسان سنة 737 هـ فشهد زوال دولة أبائه الأولى في عهد أبي تاشفين. وخرج مع أبيه وكثير من أبناء قبيلته إلى فاس، وفيها واصل دراسته. وعاد مع أبيه إلى تلمسان سنة 750 هـ، ثم استقر معه بندرومة. = وتزوج بندرومة وولد له أبو تاشفين، وفي سنة 753 هـ انتقل إلى تونس، وبقي في ضيافة الحاجب محمد بن تافراكين (753/758 هـ)، اتصل بعدها بقبيلة الداوودة، وأغار معهم على عدة ثغور حتى اكتسب ثقتهم، ولعله وعدهم بشيء إن ساعدوه على فتح تلمسان. فلما مات أبو عنان سلطان بني مرين، رأى الفرصة مناسبة وتحرك إلى تلمسان ففتحها في صفر 760 هـ، ومازال بها سلطانا عادلا، شاعرا، أدبيا، حتى تمرد عليه ولده أبو تاشفين الثاني سنة 791 هـ، وتحالف مع بني مرين ضده = من آثاره : واسطة السلوك، وقد اعتنى بجمع آثاره عبد الحميد حاجيات في كتابه الموسوم بـ : "أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره"¹

ومن نصائحه لولي عهده: "فإنه لما كانت الأولاد قطع الأكباد، وعماد الظهور، وشفاء الصدور، وثمار القلوب، وجلاء الكروب، وأفضل بغية، وأجمل مطلوب، وأخلص محب، وأحسن محبوب، ودرة كل زين وقرة كل عين، ووصلة للأنساب، وسلسلة التناسب والاعتقاب، وورثة الآباء، ومنشأ الأبناء، وسر الحياة، وحياة العظام الرفات، يرغب فيهم الأنبياء، ويعتد بهم الأولياء، (..) وجب أن تكون لهم الآباء مثل السماء الظليلة، والشمس المنيرة، والسحب المنيلة، يتحفونهم بكل أدب وفضيلة، ويمنحونهم كل فائدة جليلة، وخير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة للتفريط في الحقوق، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق، (..) فرأينا أولى ما نتحف به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة - إن شاء الله- من بعدنا، وصايا حكمية، وسياسة عملية علمية، مما تختص به الملوك، وتنظم به أمورهم انتظام السلوك"⁽²⁾

في علاقة السلطان الزياني بالخارج المرينيين: قبيل الجلاء واستيلاء العدو على تلمسان، صور الشاعر الأيام والليالي الجميلة التي قضاها في تلمسان؛ على حائط قصر الإمارة ما نصه³:

سَكَنَّاهَا لَيَالِيَّ أَمْنِيْنَ وَأَيَّامًا تَسُورُ النَّاطِرِيْنَ
بَنَاهَا جَدُّنَا شَيْخُ الْمَعَالِي وَكُنَّا نَحْنُ بَعْضَ الْوَارِثِيْنَ

1 - عادل نويهض، - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص125.

2 - أبو حمو موسى الزياني الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، د ط، 1862، ص3.

3 - الأغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر ق 19، تحقيق يحيى بوعزيز، دهر الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ج1، ص186.

فَلَمَّا أَنْ جَلَّانَا الدَّهْرُ عَنْهَا تَرَكْنَاهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَ
إن هذه الرسالة الجدارية التي تتحدى ظاهرة الخوف، وتصور لحظة الانقلاب من حالة الأمن إلى اللا أمن، سرعان ما فهمها العدو ورد عليها ردا يسحر الأبواب، حيث بدلوا النص وشوهوه، فأصبح ذا دلالة هجائية. وقد قالوا في تغييره:

سَكَنَّاهَا لِيَالِيَا خَائِفِينَ وَأَيَّامًا تَسُوءُ النَّاظِرِينَ
بَنَاهَا جَدُّنَا شَيْخُ الْمَعَاصِي وَكُنَّا نَحْنُ شَرُّ الْوَارِثِينَ
فَلَمَّا أَنْ جَلَّانَا السَّيْفُ عَنْهَا تَرَكْنَاهَا لِقَوْمٍ غَالِبِينَ

● **الثغري محمد بن يوسف¹:** (أواخر القرن الثامن الهجري / أوائل القرن 15 ميلادي؛ محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري، أبو عبد الله: شاعر أديب، كاتب، من أهل تلمسان، ومن أشهر شعرائها وبلغائها المقدمين لدى سلاطينها. وصفه المازوني: بالإمام العلامة الأديب الأريب الكاتب، ووصفه المقرئ: "بالعلامة الناظم النائر" كان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني، له قصائد كثيرة نقل بعضها يحيى بن خلدون في "بغية الرواد" والمقرئ في "أزهار الرياض" وابن عمار في رحلته "نحلة الحبيب".
ومن شعره في مدح تلمسان وسلطانها²:

أَيُّهَا الْحَافِظُونَ عَهْدَ الْوُدَادِ جَدُّدُوا أَنْسَنَا بِيَابَ الْجِيَادِ
وَصَلُّوْهَا أَصْـلًا بَلِيَّالٍ كَلَّالَ نَظْمِنَ فِي الْأَجِيَادِ
فِي رِيَاضٍ مَنْضِدَاتِ الْمَجَانِي بَيْنَ تِلْكَ الرِّبَا وَتِلْكَ الْوَهَادِ
وَبُـورِجٍ مَشِيدَاتِ الْمَبَانِي بَادِيَاتِ السَّنَى كَمَشْهَبِ الْوَادِي
رَقَ فِيهَا النَّسِيمُ مِثْلَ نَسِيمِي وَصَفَا النُّهْرُ مِثْلَ صَفْوِ الْوَادِي
وَرَهَا الزَّهْرُ وَالْغُصُونُ ثَنَّتْ وَتَغَنَّتْ عَلَيْهِ وَرَقَ شَوَادِي
وَانْبَرَى كُلُّ جَدُولٍ كَحْسَامٍ عَارِي الْغَمْدِ سِنْدَسِي النُّجَادِ
وِظْلَالُ الْغُصُونِ تَكْتَبُ فِيهِ أَحْرَفَا سَطَرَتْ بَعِيرَ مَدَادِ
تَذَكُرُ الْوَشْمَ فِي مَعَاصِمِ خُودِ قَضَبِ فَوْقَهُ ذَوَاتِ امْتَدَادِ
وَكُنُوسِ الْمَنَى تَدَارُ عَلَيْنَا بَجْنَى عَفَا وَنَقْلَ اعْتِقَادِ
وَاصْفَرَارِ الْأَصِيلِ فِيهَا مَدَامِ وَصَفِيرِ الطِّيُورِ نَغْمَةُ شَادِي
كَانَ غَدُونًا بِهَا لَانَسُ رُوحَنَا جَادَهَا رَائِحَ مِنَ الْمَزْنِ غَادِي
وَلَكُمُ رُوحَةٌ عَلَى الدُّوْحِ كَادَتْ أَنْ تَرْبِحَ الصَّبَا لَنَا وَهُوَ غَادِي
وَرَقَّتْ الشَّمْسُ فِي عَشَايَا حَتَّى أَحْدَثَتْ مِنْهُ رَقَّةً فِي الْجَمَادِ
جَدَّدَتْ بِالْغُرُوبِ شَجْوَ غَرِيبِ هَاجِهِ الشُّوقِ بَعْدَ طَوْلِ الْبِعَادِ
يَا حَيَا الْمَزْنَ حَيْهَا مِنْ بِلَادِ غَرَسَ الْحَبَّ غَرَسَهَا فِي فَوَادِي
وَتَعَاهَدَ مَعَاهِدَ الْأَنْسِ مِنْهَا غَرَسَ الصَّبَا بِصُوبِ الْعَهَادِ
حَيْثُ مَغْنَى الْهَوَى وَمَلْهُى الْغَوَانِي وَمَرَادَ الْمَنَى وَنِيلَ الْمَرَادِ
وَمَقَرَّ الْعَلَا وَمَرْقَى الْأَمَانِي وَمَجْرَى الْقَنَى وَمَجْرَى الْجِيَادِ

¹ - عادل نويهض، - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص92.

² - أحمد بن محمد المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، المغرب، دط، 1978، ج2، ص328 - 332.

وخصوصا على ربا العباد
كهف ضحاكها على كل نادي
وسطا على كل وادي
حسنها أن تلك دعوى زياد
من حلاها فهمت من كل وادي
زينة الحلي عاطل الأجياد
وحماها من كل باغ وعادي
فالنهيات عنده كالمبادي
مظهر للعلا رفيع العماد
بغرار الظبا وغر الأيادي
راجتاه عن السحاب الغوادي
عائدات على العفاة بوادي
أبحرت عذبة على الورد
فتلافى به تلاف العباد
كالحياء ضامنا حيا البلاد
بأهات من طارف وتلاد
يشيد المحدد أنها كالشهاد
وغمام الندى وبدر النوادي
ليس معناها للعقول ببادي
كان فيها من ينتمي للعباد
فانثنى بالإذعان حلف انقياد
إن آراءكم صلاح البلاد
كحنين السقيم للعواد
مثل شكر العفاة للأجواد
طاعة أرغمت أنوف الأعادي
وأقروا السيوف في الأغمار
قائم السعد دائم الإسعاد
حكما سهلت ليلان المقاد
عطر الأفق بالثناء المشاد
وانتظام كسلك در مجاد

كل حسن على تلمستان وقف
ضحك النور في رباها وأربى
وسما تاجها على كل تاج
يبدع غيرها الجمال فيقضي
وبشعري فهمت معنى علاها
حضرة زانها الخليفة موسى
وحبها بكل عدل وعدل
ملك جاوز المدى في المعالي
معقل للهدى منيع النواحي
قاتل المحل والأعادي جميعا
كلما ضنت السحاب أغنت
كم هبات له وكم صدقات
فأيادي خليفة الله موسى
ركب الجود في بسيط يديه
جل باريه ملجأ للبرايا
جل من خصه بتلك المزايا
شيم حلاوة الجنى وسجايا
يا إمام الهدى وشمس المعالي
لك بين الملوك سر خفي
فكان البلاد كفك مهما
قبض كفك البنان عليه
وبكم تصلح البلاد جميعا
لم نزل دائما تحن إليكم
لو أعينتم بمنطق شطرتكم
قد أطاعتكم البلاد جميعا
فأريحوا الجياد أتعبتموها
واهتئوا خالدين في عز ملك
وإليك من مذهبات القوافي
كل بيت من النظام مشيد
ذو ابتسام كزهرة روض مجود

• **التنسي (... - 899هـ / ... - 1494م):** محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، أبو عبد الله التنسي: مؤرخ، أديب، شاعر، من أكابر علماء تلمسان، ورها نشأ وتعلم. وأصله من تنس. له "نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان" طبع. و "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الامداح"، و "فهرست "

بأسماء مشايخه، و "الطراز" في الضبط، أي في رسم الخراز، و "فتاوى" حول مسألة يهود توات وغيرها¹.

قال التنسي في خصائص السلطان المتوكل: "فقد خص أعلى الله مناره بأمر لم تكن في غيره، منها حصول الشرف له من أبويه جميعا، فإن والده المولى محمد بن ثابت، بن أبي تاشفين، بن أبي حمو، بن أبي يعقوب، بن أبي زيد، بن أبي زكرياء، بن أبي يحيى يغمراس، بن أبي زيان. وأمه المولاة أمة العزيز، بنت محمد، بن أبي الحسن، بن أبي تاشفين، بن أبي حمو، بن أبي سعيد، بن أبي يحيى بن يغمراس بن زيان. وهذا المعنى في الخلفاء عزيز، فقد ذكر جماعة من المؤرخين أنه لم يلّ الخلافة من أبواه هاشميان إلا علي بن أبي طالب، والأمين بن الرشيد، فمولانا المتوكل ثالثهما في هذه الخاصية الشريفة"².

5- الأدب الجزائري خلال العهد الزياني خصائصه، تطوره، وأثره:

- ✓ ظهرت تلمسان في العهد الزياني كمدينة تعني الوطن الأم، يتفاخر بها أهلها وينافسون بها المدن الأخرى في المغرب والأندلس والمشرق.
- ✓ عاشت المدينة في العهد الزياني تحت حكم أهلها آل زيان. وكان عصرها الذهبي في العهد الزياني على عهد أبي حمو الزياني موسى الثاني.
- ✓ كانت صورة تلمسان في العهد الزياني أقرب إلى صور المدن الأندلسية.
- ✓ جذبت تلمسان في عهدها الزياني شعراء كثيرين، من أهلها: (ابن خميس، الثغري، التلايسي..). ومن غير أهلها: (ابن الخطيب، يحيى بن خلدون..)، وذلك بفضل وضعها العام، وكرم سلطانها.
- ✓ تأثر الشاعر التلمساني في العهد الزياني بشعراء المشرق العربي والأندلس، ونهل من كليهما، فجاء شعره خليطا بين الصحة والركة.
- ✓ كانت علاقة الشاعر التلمساني بالحاكم في العهد الزياني علاقة إيجابية، شجعت على مدح الحاكم، ومدح المدينة، وعلى الإبداع في صناعة الشعر، والتفنن في أغراضه.
- ✓ كانت درجة التعصب للمدينة في العهد الزياني أشد؛ بسبب تنافس تلمسان مع بني حفص وبني مرين، وانعكس ذلك على الشعر وصناعته، جودة وكثرة.
- ✓ كان الشاعر التلمساني أطول نفسا في القول خلال العهد الزياني.
- ✓ بقيت الأغراض الشعرية التي ظهرت من قبل قائمة، وظهرت أخرى جديدة وهي شعر المولديات، والشعر الصوفي، والموشحات والأزجال، والشعر التعليمي.
- ✓ جادت قرائح الأدباء في هذا العصر برقة في الأسلوب، وجودة في المعاني.
- ✓ نشط غرض الوصف والمدح السلطاني والمدح النبوي والشعر الديني أكثر من الأغراض الأخرى؛ ولعل مرجع ذلك لجمالية المكان في تلمسان، وكرم السلطان، والتزام الدين من السلطان والرعية معا.
- ✓ اشتهر من الشعر ابن خميس التلمساني، وأبو حمو موسى الثاني، والثغري، والتلايسي، ومن أهل النثر يحيى بن خلدون، والحافظ التنسي، وابن مرزوق الحفيد..
- ✓ شكل حنين ابن خميس في العهد الزياني ظاهرة حقيقية في الشعر الجزائري القديم.

¹ - عادل نويهض، - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص85.

² - التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان - مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان تحقيق محمود بوعباد، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1985، ص256.

- ✓ تضمنت المدائح مدح السلطان، ومدح المدن التي كانت بمثابة أوطان آنذاك، والمدائح النبوية.
- ✓ أما الرثاء فشمل الآباء والأبناء والعلماء خاصة والمدن كذلك، على غرار رثاء الأندلسيين لمدنهم.
- ✓ وسجل الهجاء حضوره في هذا العهد، وقد غدّته الحروب والفتن بين دويلات المغرب خاصة..
- ✓ امتازت اللغة الشعرية الزيانية بأنها موحية فصيحة، بل إنها مالت إلى الغرابة حتى شكلت ظاهرة لغوية في شعر ابن خميس.
- ✓ جاء إيقاع النص الزياني في أغلبه ابتهاجيا فرحيا مقبلا على الحياة متغنيا بها.
- ✓ أصبح الأدباء الجزائريون في العهد الزياني أكثر ارتباطا بوطنهم أكثر من كل العصور؛ ولا أحسب سبب ذلك إلا لنمو روح بالمواطنة عندهم. ولتعودهم على عيش الحضارة والمدن، وهجرة عيش البداوة.
- ✓ كان الأدب الزياني بشعره ونثره سجلا مهما خلد آثار الدولة وأخبارها. ومن ذلك ديوان ابن خميس التلمساني، وديوان الثغري، وكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني، وكتاب زهر البستان لمجهول..
- ✓ لم يكن أثر الأدب الجزائري الزياني مقصورا على الداخل فقط، بل صدرت الجزائر آنذاك العلماء والرحالة والأدباء إلى البلدان المجاورة في تونس والمغرب والأندلس وحتى المشرق معلمين وعلماء دين، وقضاة، ومستشارين.

﴿المحاضرة - 12 - الثانية عشرة﴾ الأدب الجزائري في عهد الدولة المرينية

عناصر الدرس

- 1- تاريخ الدولة المرينية
- 2- المرينيون في الجزائر
- 3- علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيانية
- 4- الحركة الثقافية في الدولة المرينية
- 5- الحياة الأدبية في الدولة المرينية
- 6- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة المرينية ، ومختارات من أدبهم
- 7- الأدب الجزائري خلال العهد المريني (خصائصه، تطوره، وأثره)

1- تاريخ الدولة المرينية:

ينتمي بنو مرين إلى قبيلة زناتة (668-869هـ، 1269-1465م) ، وقد بدأ أمرهم بالظهور في جنوب المغرب الأقصى بقيادة أبي محمد عبد الحق بن محيو، الذي هزم جيش الموحيدين سنة 613هـ، 1216م. لكن دولة بني مرين لم تتشكل فعلياً إلا مع أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المعروف بالسلطان المنصور، الذي استولى على مراكش سنة 668هـ، 1269م، وانقرضت على يديه دولة الموحيدين سنة 674هـ، 1275 - 1276م. حاولت الدولة المرينية أن تبسط نفوذها على كامل بلاد المغرب، وتؤسس دولة كبيرة على نمط الموحيدين. لكنها لم تفلح في ذلك إلا لفترات قصيرة، وسرعان ما عادت دولة إقليمية محدودة.

فقد جهز أبو الحسن المريني سنة 1347م حملة على مدينة تونس، ومنى من قبل الحفصيين بهزيمة منكرة كادت أن تطيح بأسرة بني مرين في مراكش ذاتها. كما ورثت الدولة المرينية، بحكم موقعها الجغرافي، تقاليد سياسة الموحيدين في الأندلس وتقديم المساعدات لمسلميها. لكن الخلافات التي دبت بينها وبين دولة بني الأحمر، في غرناطة، حول تملك بعض المواني الأندلسية، أضعفت قدرة المسلمين على المقاومة، وعرض المغرب الأقصى نفسه لغزو الدول النصرانية الناشئة، منذ بداية القرن التاسع الهجري (بداية القرن الخامس عشر الميلادي)، حتى سقطت سبتة في أيدي البرتغاليين سنة 1415م. فضعف أمر المرينيين، وزاد وضع دولتهم سوءاً بتفشي المنافسات الداخلية بعد مقتل السلطان أبي سعيد سنة 1420م، وتدخل دولتي بني الأحمر وبني عبد الواد في تلك المنافسات لتأييد هذا أو ذاك من المدعين العرش، حتى انتقل الحكم إلى أيدي الوطاسيين في منتصف القرن التاسع الهجري، وأسلاف الوطاسيين فرع من بني مرين سيطروا على فاس سنة 875هـ، 1471م، ولم يبق للمرينيين سلطان بعد ذلك تقريباً إلا بمدينة مراكش. لكن الصراع استمر بين الأسرتين الحاكميتين، واستعان المرينيون على الوطاسيين بالغزاة البرتغاليين، فاستولى هؤلاء سنة 956هـ، 1550م، على ساحل البريجة، حيث بنوا مدينة الجديدة، ثم على ساحل السوس، حيث بنوا حصن فونتي قريباً من مدينة أغادير الحالية. ولم ينفذ البلاد من الخطر البرتغالي إلا ظهور الأسرة السعدية¹.

¹ - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة المرينية.

2- المرينيون في الجزائر¹: "إن الحدود الجزائرية في ذلك العصر هي عينها المعروفة اليوم بحدودها الثلاثة: الشمالية والغربيو؛ إلا أن الحد الشرقي منها فإنه كان تارة يمتد إلى تونس وتارة لا يتعدى حدود أعمال قسنطينة وبجاية. وكذلك الحد الغربي فإنه كان ينتهي بتاوريرت كما ذكره ابن خلدون، وهي اليوم داخل المغرب الأقصى"

3 - علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيانية:

الضغائن بين مرين وعبد الواد قديمة، ناشئة عن الجوار في الوطن ثم في الملك وعن المنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة، فكثرت الحروب بينهما، وكان ملك مرين أعظم، فكان الفوز لهم غالباً، فلما احتضر يغمراسن أوصى خلفه بمسالمة مرين والتوسع في مملكة الحفصيين، لكن مرين التي لا يرضيها مقاسمة عبد الواد لها رئاسة زناتة كانت تتجنى عليهم تارة بانهم آووا ثائراً عليها، ولم يكن يومئذ تسليم المجرمين السياسيين من الحقوق المقررة بين الدول، وأخرى بأنهم ردوا شفاعتها في مجرم سياسي من رعاياهم أو في تخلية سبيل الممالك²..

4- الحركة الثقافية في الدولة المرينية:

عُرف عصر بني مرين بعصر العلم، وهو بحق كذلك خاصة في الفترة الأولى من عمر الدولة، في عهد يوسف وأبي سعيد وأبي الحسن. حيث بلغت الحركة الفكرية من القوة والازدهار أعلى مراتب التقدم؛ وقد ساعد على ذلك الازدهار جملة من العوامل منها: هجرة العلماء الأندلسيين بكثرة إلى المغرب بعدما بدأت مدنها تسقط الواحدة تلو الأخرى. والتشجيع المادي والأدبي الذي كان سلاطين المغرب يخصصون به العلماء والأدباء وما ذلك إلا لأدبية متأصلة فيهم ولحبهم للأدب. ومنها العناية ببناء المدارس وخزائن الكتب المجاورة وحبسها، ولا أدل على ذلك مدرسة العطارين والمدرسة العنانية في فاس³.

ومما ساعد أيضاً على تنشيط الحركة العلمية استتباب الأمن وزيادة المال، وانتشار دور العلم من الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا. وقد ورث المرينيون الكثير من تلك المرافق التعليمية من الدويلات السابقة لها، والتي تأسست على أرض المغرب: الدولة الإدريسية والمرابطية والموحدية، وهم بدورهم أضافوا عليها. وقد كان الطالب يتعلم مبادئ العربية وتهجي حروفها وكتابتها وحفظ القرآن في الكتاتيب، ثم ينتقل إلى المسجد ليستمع إلى الدروس الفقهية والصوفية وغيرها، ومنها إلى المدارس التي هي في الأصل من إنشاء الدولة. ثم إلى العصامية بالاستفادة من المكتبات التي كانت في كل مسجد⁴.

5- الحياة الأدبية في الدولة المرينية:

كان هذا العصر هو العصر الذهبي للعلوم الأدبية في المغرب، وعليه فيكون هو أزهى عصور الإنتاج الأدبي فيه، ولم يبلغ الوسط الأدبي في المغرب من الرقي ما بلغه في هذا العصر، فقد اشترك في تكوينه جميع الطبقات من الملوك فمن دونهم من السوق، الذين أثرت فيهم نهضة علوم اللسان العربي ومكنت لهم من تذوق أسرار اللغة وتفهم أغراض

¹ - عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص76.

² - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص422.

³ - ينظر: محمد الأمين محمد وآخر، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دط، دتط، ص202-205.

⁴ - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 10 عصر الدول الإمارات، ص330-336.

الأدب. كما ظهر في هذا العصر الشعر العامي، الذي يتأكد لنا من خلاله تمكن البربر من العربية وإلا ما استطاعوا النظم بها وبالأسلوب العربي. وقد أغرى هذا الوسط كثيرا من الشخصيات الأدبية الكبيرة على الهجرة من الجزائر والأندلس إلى فاس عاصمة المرينيين.

ويرى عبد الله كنون أن الأدب بلغ في هذا العصر كماله وشق لنفسه طريقا تمثلت فيه عواطف أهله وسجايهم، فبلغ الغاية بل زاد وتفنن وأبدع خاصة في الشعر. ليجد الباحث الحقيقة تسبق الخيال، والطبع يغلب الصنع، والقصد إلى الوضوح أكثر من التعمق والرقعة، والجزالة والسهولة في غير ضعف ولا غرابة¹. ومما تنبغي الإشارة إليه أن أغراضا شعرية ظهرت إلى جانب الأغراض التقليدية المعروفة، وهي الموشحات والأزجال، التي اكتسبها المرينيون نتيجة احتكاكهم بإخوانهم الأندلسيين.

6- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة المرينية، ومختارات من أدبهم: شارك في الحياة الثقافية المرينية كثير من الجزائريين، وعلى الأخص منها الحياة الأدبية، ولقد لمع نجم ثلاثة منهم ممن ثبتت لدينا نصوص لهم، وهم: ابن مرزوق الخطيب علي الخزاعي. وكان لابن مرزوق خاصة باع في الأدب والسياسة والمجتمع، كيف لا وهو أستاذ لسان الدين بن الخطيب.

• **ابن مرزوق الخطيب²:** له كتاب سماه: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن³، هذا الذي خصه بالكتاب وصوره فيه تصويرا وافيا بعد وفاته وأهداه لبنيه.

قال ابن مرزوق⁴ - مزكيا السلطان أبا الحسن المريني في باب الجهاد: "اعلم أن إمامنا كان أشد ملوك الأرض قياما بهذا الفرض، بنفسه الكريمة وماله، ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه. أما جهده بنفسه فقد علم مباشرته لذلك - رضي الله عنه - نفسه وإجازته البحر لذلك وحرصه على مباراة ذلك بنفسه نفعه الله به وإما إقامته حال المجاهدين فلم يزل ذلك دأبه رضي الله عنه فلا يزال طول دهره معمور الفكر مشغول الظاهر بالجهاد فلا تمر سنة إلا وله فيها تجهيز أسطول وتجهيز غزاة رجالا وركبانا في كل وجهة في أيام الحرب/ عملا وفي أيام السلم استعدادا"

وقال ابن مرزوق⁵: "كان - رضي الله عنه - لين الجانب، قليل العتاب، أسرع الناس قبولا للمعاذير، وإقامة الحجة، وقد قدمنا ما كان عليه من الحياء رضي الله عنه، والحياء هو الذي يبعث على قبول المعذرة، وكثرة الحشمة يمنع من الاستقصاء في البحث عن العثرة".
ويقول ابن مرزوق¹: - في تزكية النسب الشريف لبني مرين- "لا نزاع في أنهم أشرف قبائل المغرب، وفاقا بين المؤرخين، وأنهم وارثوا ملك المغرب الأقصى، وقد ورثوا

1 - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص222-225.

2 - سبقت الترجمة له في محاضرة الأدب الجزائري في عهد الدولة الحفصية، ص؟.

3 - المنصور المريني 697 - 752 هـ = 1297 - 1351 م علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن، المنصور بالله: من كبار بني مرين، ملوك المغرب. كان يعرف عند العامة بالسلطان الأكل، لسمره لونه، وأمه حبشية. بويغ بفاس بعد وفاة أبيه سنة 731 هـ بعهد منه. وكان مع بطولته له اشتغال بالأدب، يقول الشعر ويجيد الإنشاء - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص311.

4 - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص388 - 389.

5 - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص319.

ملك المغرب الأوسط،/ فبنوا مريـن - أعزهم الله- أعلام زناتة، ورؤساؤها وكبار قبائلها، وعظماؤها.. / وحدثني مولانا أمير المسلمين.. رفع نسبهم للدوحة النبوية والنبعة الحسنية".
ابن مرزوق يصور حاة السلطان مع والدته: "لم ير الراؤون في عصرهم أبر منه - رضي الله عنه- بأمه؛ اتفق جميع من عرفها وخدمها على أنه - رضي الله- ما خرج قط غدوا إلا بعد أن يقبل قدميها، ولا دخل قط عشاء إلا وفعل مثل ذلك؛ وهذا مما وقع الاجتماع عليه مشاهدة وسماعاً"².

وقال ابن مرزوق الخطيب مرحبا بابن الخطيب الوافد على السلطان المريني بما نصه³:

أبشر بما تلقاه من أفراح تتل المنى وتفز بكل سماح تظفر ببحر بالندى طفاح بسواه قاس البحر بالضحاح قبل السؤال وقبل بسطه راح ذكر محاه عن نداء ماح من أرحي للندى مرتاح قد ألحفوا منه بظل جناح حتى حكى سح الغمام الساح فاقت وأعيت ألسن المداح	يا قادمًا وافي بكل نجاح هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها مغنى الإمام أبي عنان ييمن من قاس جود أبي عنان في الندى ملك يفيض على العفاة نواله فلجود كعب وابن سعد في الندى ما أن سمعت ولا رأيت بمثله بسطة الأمان على الأنام فأصبحوا وهمي على العافين سيـب نواله فنواله وجلاله وفعاله
--	--

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، وبين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة وستين وسبع مائة بمدينة فاس المحروسة⁴: [مجزوء الرجز]

بـالله بـأفـغ خـبـري جـررت فضـل المئـزر عـزم لهما مـن وتر لـت لـحـفـي البـشـر قـرب ونيـل الـوطـر فـر نـجـاح الـسـفر بـالحـج أو معتمـر هـ الخـلق بـاري الصـور ت الله ذات الأثـر مـأمن عـند الـذـعر ف القـدام المبتـدر عـي اسـتلام الحـجر	أيا نسـيم السـحر إن أنـت يومـا بـالحـمى قسـي سـير مـا سـوى الـ حـتى إذا الأعـلام حـل واستبـشـر النـازح بـالـ وعـيـن الميـقات للـسـ والنـاس بـيـن محـرم لـيـك لـيـك إل ولاحـت الكعبـة بـي مقـام إبـراهم والـ واغتـنم القـوم طـوا وأعقبـوا ركعتي الـسـ
--	---

1 - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص 107-109.

2 - ابن مرزوق محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص 240.

3 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1951، ج3، ص 192-193.

4 - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، ج3، ص 80-86.

ت كلّ عرف أذفر
يا في غد للمشعر
قبل الصباح المسفر
وأيقنوا بالظفر
ت كان خلق الشّعر
لله وذاك النّفـر
يا ربحه من متجر
ع وطفواف الصّدر
أو جلد لم يغدر
وسلوة لم تهجر
ب الوالـه المسـر
ل الله سير الضّمـر
لألاء نور نيّـر
تشفعوا بلـثم الجـدر
وعرّجوا في الأثر
بكر الرّضا وعمـر
ع جنة في المحشـر
ء قاصد لم يزـر
أي بـه والسّـور
هادي الزّكيّ العنصر
ين روضة ومنبر
تار الـورى من مضر
ملايس الخلق عـري
من زحل أو مشـتري
ثال النجوم الزّهر
منها انشقاق القمر
نطق الحصـى والشّجر
ع في صـحـيح الخـبر
ء الرّاحة المنهمـر
فاتت منال الفكـر
رائـح والمبتكـر
لـه وخـير البشـر
مرتقـب فشـمـري
في قلعة أو سـفر
م حجّة المعتـذر
تسرق طيب العمـر
أو رجعة أو صـدر

وعرّفوا في عرفـا
ثم أفاض النّاس سـع
فوقفوا وكبّـروا
وفي منى نالوا المنى
وبعد رمي الجمـرا
أكـرم بـذاك الصّـحب وال
يا فوزه من موقف
حتّى إذا كان الـودا
فأيّ صبر لم يخـن
وأيّ وجد لم يصل
ما أفجع البين لقل
ثم ثنّوا نحو رسـو
فعـاينوا في طيـبة
زاروا رسول الله واس
نالوا به ما أمـلوا
على الضّـجـيعين أبـي
زيارة الهادي الشّـفي
فأحسـن الله عزـزا
ربـع تـرى مسـتـنـزل ال
وملتقى جبريل بـال
وروضة الجنّة ب
منتخب الله ومـمـخ
والمنتقى والكـون مـن
إذ لم يكن في أفـق
ذو المعجـزات الغـرّ أم
يشهد بالصّدق لـه
والضّـبّ والطّـبيـ إلى
من أطعم الألف بصـا
والجـيش روّاه بمـا
يا نكتة الكـون التـي
يا حجّة الله على ال
يا أكـرم الرّسـل على ال
ما بعد شـيب الفـود من
أنـت وإن طـال المـدى
وليس من عذر يقـي
يا ليت شعري والمنى
هل أرجي من عـودة

فأبرّد الغلّة من
مقتديا بمن مضى
نألوا جوار الله وه
أرجو بإبراهيم مو
فوعده لا يمتري
فهو الإمام المرتضى
أكرم من نال المنى
ممهد الملك وسي
خليفة الله الذي
وكان منه الخبر في ال
فصدّق التّصديق من
ومسّ عين الله في
فأق الملك الصّيدا بال
فأصاحت ألقابهم
وحاز منهم أوحد
برأيه المأمون أو
بسيفه السّافح أو
بالعلم المنصور أو
بأبن الإمام الطّ
مدحك قد علّم نظ
جهد المقلّ اليوم من
فإن يقصّر ظاهري

ذاك الزّلال الخصر
من سلف ومعشر
والفخر للمفتخر
لأننا بلوغ الوطر
في الصّدق منه الممتري
والخيّر ابن الخيّر
بالمرهفات البتّر
فالحقّ والليث الجري
فأق بحسن السّير
علياء وفق الخبر
مراه للتّصوّر
ورد لله وصدر
مجد الرّفيّع الخطر
منسيّة لم تذكر
وصف العديّد الأكثّر
عسّكره المظفّر
بعزمه المقتدر
بالذّابل المستصّر
أهر البرّ الزّكي السّير
م الشّعر من لم يشعر
مثلي كوسع المكثّر
فلم يقصّر مضمر

- ابن أبي حجلة¹: (725-776هـ = 1325-1375م) أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجل، شهاب الدين، أبو العباس: شاعر، أديب، ناثر، وولد بتلمسان يزاوله جده الشيخ أبي حجلة عبد الواحد، ورحل مع أبيه وإخوته فزار الحجاز ودخل دمشق فأقام فيها مدة، ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل بالأدب، وولع به حتى مهر، ثم ولي مشيخة الصوفية بصهرج منجك بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون. كان حنفيا يميل إلى مذهب الحنابلة، ويكثر من الحط على أهل (الوحدة) وخصوصا ابن الفارض، وقد امتحن بسببه على يد السراج الهندي قاضي الحنفية (..) له أكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والأدب، منها ديوان الصبابة وهو أشهرها.. وعاش في الهد المملوكي بمصر.

- ابن أبي حجلة التلمساني من مصر مادحا أبا عنان هو الآخر، ردّا على رسالته الموسومة بالدرة السنية والوسيلة النبوية. وهي في مدح الرسول ﷺ ولربما أرسلها إلى

¹ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص364-365.

السلطان المملوكي الناصر حسن بن قلاوون بمناسبة المولد النبوي الشريف؛ فرد عليه ابن أبي حجلة بما نصه¹:

عريق له في الملك مجد مؤثـل
وآبـؤه ممن حوى المـك قبله
فأمسوا به كالسبعة الشهب في السما
ولله ما أنشأته من رسالة
مدحت بها أعلى النبيين رتبة
نبي علا السبع الطباق بنفسه
لئن كنت في الزلفى برؤياه طامعا
عليه من البر السلام تحية
وصلى عليه الله ما ذكر اسمه

وبيت قديم في الفخار قداس
لهم أول عالي المحل وسادس
وخدامهم فيها الجوار الكوانس
بدرتها العقـد النفيس تنافس
إذا ارتفعت يوم المعاد المجالس
وما للعلا إلا النفوس النفائس
فما أنا من نيل الشفاعة آيس
تضوع وأنف الكفر بالرغم عاطس
ولاح بوجه الأرض رطب ويابس

إن النص يكشف لنا صورة السلطان المريني الشاعر الذي يتعاطى الشعر سماعا وقولا؛ بل "إن أكثر سلاطين بني مرين كانوا من أهل العلم والمعرفة والمشاركة في فنون الأدب، وبالطبع فإن وزراءهم وحجابهم وقوادهم فضلا عن كتابهم كانوا كذلك"².

• **علي الخزاعي³:** (710 - 789 هـ = 1310 - 1387 م) علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين، الخزاعي: بحاثة مؤرخ أديب، أندلسي الأصل. مولده بتلمسان، ووفاته بفاس. استكتبه السلطان إبراهيم المريني. ثم كتب في ديوان بني زيان بتلمسان. واستقر أخيرا في بلاط بني مرين. وصنف للسلطان المتوكل على الله أبي فارس المريني سنة 786 هـ كتابه "تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية - خ" اطلع عبد الحي الكتاني على نسخة منه غير تامة، فأضاف إليها زيادات كثيرة ونسب الكتاب كله إليه، وسماه "التراتب الإدارية - ط" في مجلدين، وعلمت/ أن ما فات الكتاني من كتاب الخزاعي هو نحو رבעه ثم رأيت هذا الربع في إحدى خزائن تطوان الخاصة ونقلت عنه خزانة الرباط نسخة بالتصوير الشمسي"

قال علي الخزاعي التلمساني⁴: حين كبا بموسى بن السلطان أبي عنان المريني فرسه، بحي الشماعين بفاس إثر صلاة الجمعة؛ حيث أنشأ الشاعر هذه الأبيات رافعا الحرج عن الأمير:

مولاي لا ذنب للشقراء إن عثرت
وهالها ما اعتراها من مهابتكم
ولم تزل عادة الفرسان مذكبوا
وفي النبي رسول الله أسوتنا
كبا به فرس أبقي بسقطته
حتى لصلى صلاة جالسا ثبتت

ومن يلها - لعمرى - فهو ظالمها
من أجل ذلك لم تثبت قوائمها
تكبو الجياد ولم تنب عزائمها
أعلى النبيين مقادارا وخاتمها
في جنبه خدشة تبدو مراسمها
لنا بها سنة لاحت معالمها

¹ - ابن أبي حجلة التلمساني أحمد بن يحيى، سكردان السلطان، تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 2001م، ص12.

² - عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، ص222.

³ - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص6-7.

⁴ - محمد بن رمضان شاوش، إرشاد الحاشر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص284.

صلى عليه الإله دائما أبدا أذكى صلاة تحييها نواسمها

7- الأدب الجزائري خلال العهد المريني (خصائصه، تطوره، وأثره):

✓ ازدهر الأدب شعره ونثره، وعجت حضرة فاس بالعلماء والأدباء والناس، وقد زاد من تطوره ذلك التنافس بين الدويلات المتزامنة بنو زيان وبنو حفص وبنو مرين. وكان للجزائريين في دولة مرين أثر غير منكور على السياسة والأدب والمجتمع؛ وهذه شهادة لسان الدين بن الخطيب في أستاذه ابن مرزوق الخطيب، وفيها من الأدلة ما يغني عن مكانة الأدب والأديب الجزائري في ذلك العهد. قال لسان الدين بن الخطيب¹: " محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي » من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين. حاله: هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة، مليح التوسل، حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نطيف البزة، لطيف التآني «3» ، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف، متفاض لإيثار السلاطين والأمراء، يسحرهم بخلاصة لفظه، ويفتلهم في الذروة والغارب بتنزله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينية بحذقه، ويصنع غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالنسك، والحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل ودّه، والتعصب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأتباع والعلق، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاص المنزل بالطلبة، منقاد الدعوة، بارع الخط أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر، غير جزوع ولا هيابة. رحل إلى المشرق في كنف حشمة من جناب والده، رحمه الله، فحجّ وجاور، ولقي الجلّة، ثم فارقه، وقد عرف بالمشرق حقّه، وصرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا خلطه بنفسه، وجعله مفضى سرّه، وإمام جمعته، وخطيب منبره، وأمين رسالته، فقدم في غرضها على الأندلس في أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمئة، فاجتذبه سلطانها، رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعمئة، وأقعه للإقراء بالمدرسة من حضرته. وفي أخريات عام أربعة.. "

¹ - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص65.

«المحاضرة - 13 - الثالثة عشرة» الأدب الجزائري في عهد الدولة العثمانية

عناصر الدرس

أولاً؛ تاريخ الدولة العثمانية في الجزائر
ثانياً؛ المراكز الثقافية في العهد العثماني بالجزائر
ثالثاً؛ ظواهر بارزة في الأدب الجزائري خلال العهد العثماني
رابعاً؛ أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة العثمانية، ومختارات من أدبهم
خامساً؛ الأدب الجزائري خلال العهد العثماني خصائصه تطوره وأثره

أولاً؛ تاريخ الدولة العثمانية في الجزائر:

أصبحت الجزائر عاصمة للولايات العثمانية في شمالي إفريقيا، بعد انضواء كل من تونس وطرابلس الغرب تحت لواء السلطنة العثمانية. فكان ممثل الدولة فيها يحمل لقب بيلرباي (أي رئيس البايات)، لكن هذا الإشراف لم يدم طويلاً. على أن تبعية ولاية الجزائر وغيرها من ولايات لم يقف عند حد الإدارة المحلية، بل تجاوز ذلك إلى التحكم في اختيار الولاة. فقد شهدت الجزائر تغيرات عدة في نظام الحكم، بحيث يمكن تمييز أربع مراحل هي: عهد النيابة (922 977هـ، 1516 1588م) حكم فيه البيلربايات فسيطروا على جند الانكشارية والبحرية، عهد الباشوات (997 1070هـ، 1588 1659م) أصبحت فيه الجزائر ولاية عادية، وفقد الباشوات السيطرة على الانكشارية، فانتقلت السلطة الفعلية إليهم في عهد حكم الأوجاق وهو المجلس الأعلى للجند (1070 1082 هـ، 1659 1672م)، وقد انتشرت الفوضى مما جعل رؤساء البحر يضعون حداً لسيطرة الانكشارية فبدأ عهد الدايات (1082 1246هـ، 1672 1830م). وقد كانت الخلافة العثمانية تصادق على جميع هذه التغييرات، وظلت مستمرة على إرسال الباشوات الذين يمثلونها في الجزائر، حتى قرر علي داي سنة 1122هـ، 1710م إخراج الباشا من البلاد، ومنذ ذلك الوقت حمل الدايات لقب الباشا مع لقب الداى¹.

ثانياً؛ المراكز الثقافية في العهد العثماني بالجزائر:

1- الكتاب: هو أكثر مراكز التعليم انتشاراً في ذلك العهد، "إذ أقبل عليه الناس في مختلف البلدان التي خضعت للحكم العثماني، وقد وصف بأنه عبارة عن حجرة مفروشة بحصر بالية"². وتقدم فيه للصغار مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم كله أو جزء منه. إضافة إلى بعض مبادئ الفقه، "فإذا ختم الطالب القرآن أقام له ذووه احتفالاً، يحضره شيخ الكتاب الذي يتلقى ما تيسر له من مال أو هدايا"³.

2- المدرسة: كان إنشاء المدارس على أيدي المحسنين، وكانت المدارس المختلفة تمول بالأوقاف المختلفة التي يحبسها أصحاب النفوس الخيرة، وتسعى إلى وهب ربع عقاراتها

¹ - قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق مادة: الدولة العثمانية في الجزائر.

² - سامي يوسف أبو زيد، الأدب العثماني، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص57.

³ - نفسه، ص57.

لبناء المدارس، وغيرها من المشاريع التي تدعم التعليم بشتى أنواعه، ولم يكن للدولة شأن بها سوى تخصيص بعض مناصب لنفر من العلماء¹.

3- المساجد والزوايا: كانت تخصص بعض أموال الأوقاف لبناء المساجد والزوايا، والتي لم تكن مخصصة لأداء الشعائر الدينية فقط، بل وظفت لتعليم القرآن. ومن أهم المظاهر التي كانت تميز هذه الفترة هي تحرير التعليم من سيطرة الدولة، وسيطرة الحاكم العثماني، ولا يمكن تجاهله هو أن "الترك لم يتحضرُوا في أو أمرهم، ولم تكن لهم الثقافة التي اكتسبتها الجزائر من قبلها. ذلك أن خير الدين قد وجدها في أرقى عصورها.

ثالثاً؛ ظواهر بارزة في الأدب الجزائري خلال العهد العثماني²:

1- كثرة العوائق: إن معرقلات نمو اللغة وانتشار الأدب كانت أقوى من المشجعات، فالولاة كانوا لا يفقهون اللغة العربية ولا يتذوقون أدبها، يضاف على ذلك أن الفئة المثقفة قد انحسر نشاطها في بعض الوظائف التي لا علاقة لها باللغة والأدب، وقد أدى موقف الولاة، ومنافسة اللغات واللهجات، وشيوع الجهل، وضعف المستوى الثقافي، وجمود الوظيفة، وهجرة أصحاب المواهب إلى شيوع اللحن على ألسنة الكتاب والمدرسين، حتى من الذين لا يتوقع منهم لكثرة تأليفهم، أمثال أبي راس الناصر، وقد تحدث هو عن هذه الظاهرة في الإنتاج، كما تحدث عنها أحمد سحنون الراشدي الورتلاني.

2- شيوع اللحن: وشاع الخطأ خصوصاً في الشعر، حيث كثر ما يسمى بالشعر الملحون، والشعر الفصيح المكسور، وكان اللجوء أحياناً إلى الشعر الملحون أو الشعبي ببرره التلغيز الذي قصده الشاعر ليغطي هجومه على الأوضاع السياسية والأخلاقية، وكان بعض الشعراء يتبسطون لكي يسهل على العامة فهم مرادهم، وقد احتج أبو راس في شرح العقيدة بأن محمد الهواري كان يلحن في كتاباته، وأن المنداسي قد كتب بالملحون، ولم يكن عاجزاً عن الإعراب، وإنما نظم العقيدة بالشعر الملحون لتسهيل للعوام كما تسهل للخواص³.

3- الشروح الأدبية: وهي أن الأدباء بدل أن يخترعوا القصص والروايات، أو يؤلفوا في الظواهر الثقافية والنقد، عمدوا على الأعمال الجاهزة بشرحها، وذلك الشرح قد يكون على قصيدة نظمها الشاعر نفسه، وقد يكون على قصيدة أو عمل آخر لغيره، وقد حفل الإنتاج الأدبي بالنوعين كليهما. من أمثلة ذلك قصيدة العقيدة لسعيد المنداسي التي شرحها أبو راس الناصر وأحمد بن سحنون الراشدي. وشرح لامية العجم لمحمد بن أحمد بن قاسم البوني. وشروح المواعظ والحكم والحلل الحريرية لأبي راس الناصر. وشرح شواهد ابن يعلى النحوية لعبد الكريم الفكون. وقد برزت في تلك الشروح نية خدمة الأدب واللغة، وإظهار البراعة والحفظ والذوق الفني.

¹ - سامي يوسف أبو زيد، الأدب العثماني، ص 57.

² - ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (20/16 م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ج 2، ص 237 - 298.

³ - نفسه، ج 2، ص 171.

4- التقاريط¹: والإجازات والعقود: هي من أشكال النثر الجزائري القديم، التي يجمع فيها بين النثر والشعر. ففي التقاريط تسيطر الروح الإخوانية على الأسلوب، وتبرز ثقافة المقرظ اللغوية والأدبية، ومثالها: تقريظ أحمد بن عمار على كتاب الدرر على المختصر لصاحبه عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري. أما الإجازات فهي بمثابة شهادة علمية في زماننا، غير أنها طويلة جداً، وفيها يتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، وأسلوب الإجازة أقرب إلى الأدبي، ومن أمثلتها إجازة المنجلاتي إلى تلميذه الرحالة ابن زاكور. وفي باب العقود، - خاصة عقود الزواج - فإنهم كانوا يتقنون في كتابتها، ويظهرون فيها براعتهم اللغوية والأدبية والأسلوبية، وقد كان بعض القضاة أنفسهم أدباء، ومن أمثلته: عقد الزواج الذي أنشأه محمد بن عبد المؤمن في خمس صفحات، وأورده في رحلته ابن حمادوش.

5- الرسائل: لا يكاد يخلو عصر من عصور الأدب من الرسائل بنوعها (الإخوانية والديوانية)، وكان منهم المق ومنهم الكثير في الرسائل، فعبد الكريم الفكون على سبيل المثال كان مكثراً، لأنه عالم معروف في الداخل والخارج، وله علاقات كثيرة بالعلماء والوجهاء.

6- الوصف: وهناك لون آخر من ألوان النثر، يتمثل في وصف الطبيعة والعمران والقوافل والحيوانات وحتى المشاعر الإنسانية، سواء أكان ذلك عند الإزماع على الحج، أو في الرحلة، أو في الغربة، أو عند النبات والمصائب. ومن أبرز من عالج هذا الموضوع أحمد بن حين أزمع على الحج سنة 1166 هـ؛ فقال: "لما دعيتني الأشواق، النافقة الأسواق، إلى مشاهدة الآثار، والآخر من الراحة بالثار، وأن أهجّر الأهل والوطن، واضرب في عراض البيد بعطن، وأن اخلع على السالين الساكنين الكرى، وأمتطي ظهر السهر والسرى، لبيت داعيها، وأعطيت كريم النفس ساعيها.."

7- الخطابة: عرف الجزائريون الخطابة يوم كان ساستهم يتحدثون لغة المواطنين ويحذقونها، وعندما كان علماءهم متمكنين من قواعد اللغة، ولكن مع مجيء العثمانيين، انحصرت الخطابة في ميدان واحد تقريباً، ألا وعم المسجد، ذلك أن الساسة غرباء عن البلاد وعن أهلها وعن لغتهم، ولغة التواصل بين الحاكم والرعية هما اثنان: الجندي بقسوته والمرابط بحكمته، وكلاهما له أسلوبه لخطاب الرعية، وإرجاعها إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه. واشتهر من الخطباء سعيد قدورة وسعيد المقرري وأحمد المقرري وعبد الكريم الفكون وأحمد بن عمار وأحمد بن مهنا القسنطيني.

8- القصص والمقامات: لم يعرف الجزائريون فن القصص الفصيحة المكتوبة، وقد أثر عنهم حكايات شعبية وحكيين، يروون ما توارثوه من حكايات شعبية في المجالس العائلية، وفي الأسواق.. أما المقامات فكان ظهورها في الجزائر على يد محمد بن ميمون في وصف

¹ - معنى قَرَّظَ في المعجم الوسيط القَرَّظَ قَرَّظاً جناه وجمعه. يقال: خرج يقرِّظ. و الجِلْدَ: دبغه بالقرظ. ويقال: قرظ السقاء ونحوه،(قَرِظَ) فَلَانٌ قَرَّظاً: ساد بعد هوان.(قَرَّظَ) فلاناً: مدحه وأثنى عليه. و الكتاب: وصف محاسنه ومزاياه. (تَقَارَظاً) المَدْحُ: مدح كل واحد منها صاحبه. يقال: هما يتقارضان: يتمادحان.(القَارَظُ): الذي يجمع القرظ. ومن أمثالهم: (لا يكون ذلك حتى يؤوب القارضان): أي لا يكون أبداً.(القَرَّازُ): بائع القَرَّظ.(القَرَّظُ): شجر عظام لها سَوْقٌ غِلَظٌ أمثال شجر الجوز، وهي من الفصيلة القرنية، وهي نوع من أنواع السَّنَطِ العربي، يستخرج منه صمغ مشهور. واحدته: قرظة.(القَرَّظَةُ): ثمرة قرنية مُتَخَصِّرة بين البذور ومنضغطة كثمرة السنط. (مج).(القَرَّظِي): أديم قَرَّظِيّ: مدبوغ بالقرظ.

سيرة محمد بكداش، وقد سماها (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية)، وقد قسمها إلى 16 مقامة، وجعل كل مقامة عبارة عن فصل من حياة الباشا محمد بكداش. ونذكر بعده مقامة لأحمد البوني هي أقرب إلى التقليدية (إعلام الأبحار بغرائب الأخبار)، وموضوعها علاقة العلماء بالسلطة، والاستجداء بصديقه مصطفى العنابي. وفي رحلة ابن حمادوش نجد ثلاث مقامات كتبها في المغرب هي أنضج من سابقتها.

9- الشعر الديني: وقد كان أهم الأغراض التي طرقها الشعراء، ولا سيما مدح الرسول ﷺ والنشوق إلى زيارة قبره، وإحياء مولده. ويشمل ذلك أيضا الشعر الصوفي، والتوجه إلى الله بالدعاء والتبتل، ومدح الأولياء والصالحين ورثاؤهم، ونحو ذلك. ومن أشهر ما قيل قصيدة في مدح المدينة المنورة قصيدة عبد الله بن عمر البسكري.

10- الشعر السياسي: ارتبط الشعر السياسي في مناسبات محدودة، تمثلت في شعر الجهاد ضد الإسبان، ومدح بعض الأمراء طمعا في التكسب. قاله الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن¹ محرضا الداوي بابا حسن الشريف (1681 - 1683م) على تحرير وهران، في مشهد يكشف صورة المدينة وهي محتلة²:

نَادَتْكَ وَهْرَانُ فَلَبَّ نِدَاهَا وَاحْلُلْ بِهَاتِيكَ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَى قَدْ طَالَمَا عَيْثَتْ بِهَا أَيْدِي الْعَدَا وَتَصَرَّفُوا فِي الْمُسْلِمِينَ بِمَا عَدَا أَضْحَى الصَّلِيبُ مُؤَيَّدًا وَالِدَيْنُ قَدْ جَعَلُوا بِهَا النَّافُوسَ فِي أَوْقَاتِهِمْ كَمْ مِنْ أَسِيرٍ حَوْلَهَا لَا يُفْتَدَى كَـ كَمْ مِنْ نِسَاءٍ مَعَ صَبِيَّةٍ أَسْرَى بِهَا	وَأَنْزَلَ بِهَا لَا تَقْصِدَنَّ سِوَاهَا وَاسْتَنْصِرْ رَحْنَ دَفِينَهَا الْأَوَاهَا حَتَّى اسْتَبَاحُوا أَرْضَهَا وَحِمَاهَا/ أَعْجُوبَةً لِمَنْ اغْتَدَى يَرْعَاهَا دُرِسَتْ مَعَالِمُهُ فَلَسْتُ تَرَاهَا بَدَلِ الْأَذَانِ وَغَيَّرُوا مَعْنَاهَا مِنْ فَقِيرٍ حَلَّ فِي مَثْوَاهَا/ أَسْرَى بِهِمْ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي اللَّهَ
--	---

11- الشعر الاجتماعي: من أغراض الشعر الاجتماعي في الأدب الجزائري خلال العهد العثماني الرسائل الأدبية وشعر الرثاء والمدح لغير الأمراء ورجال الدين. ومن أغراض الشعر الاجتماعي شعر المجون: وقد اشتهر به محمد بن راس العين، ومن ذلك قوله في الرد على من حرّم التبغ من الفقهاء:

اسقنيها تباغية تجالا شربها في الدجى مع الإخوان لا تعطل شرابها يا صاح شمعها يغني عن الصباح شربها ليس يفسد العقل	ففي حلى السبسي جالس الأنس فهني عندي حلال ففي ظلام الليال لذوي الحس
--	--

¹ - محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري (ت1101هـ = 1690م)

² - محمد ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص301 - 302.

كل من ذم شربها جلا فهو في بخس

12- غرض الغزل: فنادر لغياب المرأة من الحضور في الحياة العامة والأسواق، إلا لقضاء مصلحة برفقة محرم. ومن الشعراء من ضمنه مطالع قصائده المولدية، وكثيرا ما يتغزل بامرأة متخيلة، لا حقيقة لها في أرض الواقع، ولربما كانت زوجته..

13- غرض الإلغاز: كثيرا ما كان يتوارد الإلغاز بين الشعراء، للتخفيف من عبء الحياة، واختبارا للذكاء، وتنشيطا للذهن. فهذا ابن ميمون⁽¹⁾ يطلع ابن حمادوش⁽²⁾ على لغز نصه⁽³⁾:

يَا سَيِّدًا وَلَهُ فِي الْعِلْمِ مَنَزَلَةٌ
قَدْ جُنْتُ مُسْتَرْشِدًا فِي مَسْأَلَةٍ
مَا اسْمُ حُرُوفٍ ثَلَاثٍ هُنَّ جُمْلَتُهُ
فَإِنْ أَضَفْتَ لِمَصْدَرٍ مِنْهُ جُمْلَتُهُ
يَرْجِعَانِ مَعًا خَمْسًا إِلَى رُبْعٍ
فَإِنْ تَزَدَهُ ضَمِيرَ الْجَمْعِ فَاسْمُ أَبِي
وَإِنْ تَزَدَ حَرْفَ تَأْنِيثٍ عَلَى اسْمِ أَبِي
وَكُلُّهُمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرُوا
وَإِنْ تُصَحِّفَهُ أَغْنِي النَّجْلَ، مُنْفَرِدًا
وَإِنْ تُصَحِّفَهُ بَعْدَ الْقَلْبِ بَانَ لَنَا
فَخَذْ وَقَاكَ إِلَهُ الْعَرْشِ كُلُّ أَدَى

لَمْ يَحْزَ مَثَلَهَا فِي عَصْرِهِ أَحَدُ
فَأَمْنٌ بِهَا لَا انْتَنَى عَنْ قَصْدِكَ الرُّشْدُ
وَكُلُّ حَرْفٍ لَهُ فِي نَفْسِهِ عَدَدُ
سَاوَاهُ ثَانِيَةً فِي الْحَدِّ الَّذِي يَرُدُّ
مِنْ الْأَخِيرِ الَّذِي مَا بَعْدَهُ أَمَدُ
لَهُ وَفِي كُلِّ عَصْرٍ مُجْبِرًا يَلِدُ
أَتَى بِأَمِّ أَبِي يُعْزَى لَهَا الْوَلَدُ
عَلَى وُضُوحٍ مِنَ التَّصْرِيحِ قَدْ وَرَدُوا
مُدَّةً مِنَ الشَّكِّ فِي عَيْنِ الْيَقِينِ يَدُ
مِنْ إِسْمِهِ الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ يَتَّقِدُ
بِشَرْحِهِ أَنْتَ لِلْإِفْضَالِ مُسْتَتَدُّ

ومن الشعر الاجتماعي - أيضا - ذلك **المدح المتبادل بين الطلبة ومشايخهم**، ومن تلك النماذج ما أرسله القادري المغربي إلى أستاذه محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بالكماذ.

إلى العالم النحرير والحجة التي
ألست الذي إن عز في العلم مشكل
فأجابه شيخه الكماذ بقصيدة هذا مطلعها:
خليلي عج بالركب عن أم عامر
ومن الشعر الاجتماعي **تقريض الكتب**، ومن شواهد تقريض ابن عمار لكتاب حمدو بن عبد العزيز التونسي، الذي أجاب فيه عن أسئلة علماء قسنطينة، وفي تلك المناسبة قال ابن عمار في تقريضه:

1- "هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الجزائري؛ من العهد العثماني؛ عاصر الداوي محمد بكداش(ت1122ه)؛ أشهر آثاره: التحفة الرضية"

- ينظر: ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ص11-12.

2- "هو عبد الرزاق بن محمد، المعروف بابن حمادوش الجزائري؛ رحالة وكاتب وشاعر جزائري؛ ولد في مدينة الجزائر سنة (1107ه/1695م)؛ وتوفي بها حوالي تسعين سنة؛ من أشهر آثاره رحلته"

- عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1983، ص9.

3- نفسه، ص162-163.

شمس تجلت فما أسنى تجليها لاحت على غرة الدنيا تحليها
أبدت مطالعها أسنى طوالعها من أين للشمس تجلى في مجاليها

ويضاف إلى الشعر الاجتماعي غرض الرثاء، وهو أكثر ما يكون بين الطلبة ومشايخهم، ومن النادر أن نجد رثاء للحاكم إلا قليلا، ولعل ذلك يدل على العلاقة السيئة بين الحاكم والمحكوم. ومما يذكر في رثاء الطالب لشيخه، رثاء سعيد قدورة لشيخه محمد بن علي الذي قتل مطعوناً¹:

مصاب جسيم كاد يصمي مقاتلي ورزء عظيم قاطع للمفاصل
لمنزله كانت تشدد رحالنا فمن راكب يعى إليها وراجل
ونجد في الأدب الجزائري القديم في العهد العثماني كذلك شعر وصف المنشآت العمرانية، كالمساجد والمدارس خاصة. وهذا ابن ميمون يصف مدرسة بناها الباي محمد الكبير²:

انظر روعاك إليه الخلق واعتبر
لمسجد رائق قد لاح للبشر
متوج بالبهاء بالحسن مشتمل
بالظرف موزن باللفظ مشتهر
سماحة مزجت بالأصل وامتزجت
بالعلو والسفل والأركان والجدر
إن حلّه المرء حل الأنس مهجته
وصار في الحين للأذكار ذا بطر
لو أخبر الله أن الخلد يبدو لنا
حتى نشاهده في الأرض بالبصر
لقلبت ذي جنّة للخلد قد ظهرت
يحظى بها عالمو الخيرات بالأجر
وانظر لمنبره المسود تحسبه
ليلاً وفيه نجوم العجاج كالزهر
وانظر لمحرابه الأبهى وتشبيده
تري بعينك ما يكفيك عن خبر
وانظر لقبته العلياء تحسبها
عقيلة فوق كرسى من الحجر
أو هالة بدر بل أنوار بهجتها
تفوق بهجة حسن الشمس والقمر
كأنها جعلت تاجاً لمسجدها الب
أهـي الجميل العلي الأحسن النظر

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص280.

² - أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م، ص137.

لكي يزاد بها حسنا فزيد بها
كل الجمال مزيد العقد بالدرر

رابعاً؛ أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة العثمانية، ومختارات من أدبهم:

- عبد الله بن عمر البسكري: عبد الله بن عمران بن موسى البسكري المغربي قَالَ القطب الْحَلْبِي كَانَ رجلاً صَالِحاً متواضعاً مَقْصُودَ الزِّيَارَةِ وَلَهُ نظم وَكَلَام حسن مَاتَ فِي ثامن المَحْرَم سنة 713 بِالْمَدِينَةِ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَقَالَ الْكَمَالُ جَعْفَرُ كَانَ فَاضِلاً صُلَفاً لَهُ حَظٌّ مِنْ عِبَادَةٍ وَنظم وَكَانَتْ تَتَبَرَّكُ بِهِ وَلَهُ مدائح نبوية¹ مِنْهَا قصيدته المشهورة التالية. وقيل في ترجمته: " عبد الله بن عمران بن موسى البسكري المغربي، كان رجلاً صالحاً متواضعاً، مقصود الزيارة. له نظم حسن. كما اشتهر بالعبادة والزهادة. توفي عام 713 هـ/ 1313 م بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع"².
قال في تشوقه للمدينة المنورة ووصفها³:

دارُ الحبيبِ أحسُّ أن تهواها
وتجسُّ من طربِ إلي ذكراها
وعلى الجفونِ إذا هممتُ بزورةٍ
يا ابنَ الكرامِ عليك أن تغشاها
فلأنت أننتَ إذا حاللتِ بطيبةً
وظلللتِ ترتعُ في ظلالِ رباهها
مغنى الجمال من الخواطرِ والتّي
سلبتُ قلبَ العاشقين حلاها
لا تحسبِ المسكَّ الذكيَّ كثر بهها
هيهاتَ أين المسكُّ من رياها
طابت فإن تبغي لطيبِ يافتى
فأدم على الساعاتِ لثم ثراهها
وابشُر فففي الخبرِ الصحيحِ تقررا
إن الإلهَ بطيبةً سماها
واختصها بالطيبين لطيبها
واختارها ودعا إليها سناها
لا كالمدينة منزلٌ وكفى بها
شرفاً حلّول محمدٍ بفناهها
خُصت بهجرة خيرٍ من وطئ الثرى
وأجلهم قسماً وأعظم جاهها

¹ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط2، 1972م، ج3، ص59-60.

² - محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تقديم ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2003م، ص207.

³ - علي بن عبد الله السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، ج4، ص228-230.

كُلُّ الْبِلَادِ إِذَا ذُكِرْنَ كَأَحْرِفٍ
 فِي اسْمِ الْمَدِينَةِ لَا خَلَا مَعَهَا
 حَاشَا مُسَمًى الْقَدْسِ فَهِيَ قَرِيبَةٌ
 مِنْهَا وَمَكَّةُ إِنَّهَا إِيَّاهَا
 لَا فَرْقَ إِلَّا أَنْ تُثَمَّ لَطِيفَةٌ
 مَهْمَا بَدَتْ يَجْلُو الظُّلَامَ سَنَاهَا
 جَزَمَ الْجَمِيعُ بِأَنْ خَيْرَ الْأَرْضِ مَا
 قَدَّ حَازَ ذَاتَ الْمَصْرِ طَفًى وَحَوَاهَا
 وَنَعَمَ لَقَدْ صَدَقُوا بِسَيِّئَاتِهَا عُلْتُ
 كَالنَّفْسِ حِينَ زَكَّيْتُ زَكَا مَأْوَاهَا
 وَبِهَذِهِ ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ طَبِيعَةِ
 فَغَدَتْ وَكُلُّ الْفَضْلِ فِي مَعْنَاهَا
 حَتَّى لَقَدْ خُصَّتْ بِهَجَرَةٍ
 حَبَّهَا اللَّهُ شَرَّفَهَا بِهِ وَحَبَّاهَا
 مَا بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ وَمَنْبَرِ
 حَيَّهَا إِلَهِهُ رَسُولُهُ وَسَقَاهَا
 هَذِي مَحَاسِنُهَا فَهَلْ مِنْ عَاشِقٍ
 كَلِمَةٍ شَجِيٍّ نَاحِلٍ بَنَوَاهَا
 إِنِّي لِأَرْهَبُ مِنْ تَوَقُّعِ بَيْنِهَا
 فَيُظِلُّ قَلْبِي مُجْعَلاً أَوَاهَا
 وَلَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ حَالَهُ مَوْدَعٍ
 إِلَّا رَثَيْتُ نَفْسِي لَهُ وَشَاجَاهَا
 فَلَكُمُ أَرَكَكُمْ قَلِيلِينَ جَمَاعَةً
 فِي إِثْرِ أَخْرَى طَالِبِينَ سَوَاهَا
 قَسَمًا لَقَدْ أَكْسَى فَوَادِي بَيْنَكُمْ
 جَزَعًا وَفَجَّرَ مُقَاتِلِي مِيَاهَا
 إِنْ كَانَ يُزَعِّجُكُمْ طِلَابُ فَضِيلَةٍ
 فَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ لَدَى مَثَوَاهَا
 أَوْ خِفْتُمُوهُ زُرُّوا بِهِ فَتَأْمَلُوا
 بَرَكَاتِ بُقْعَتِهَا فَمَا أَزْكَاهَا
 أَفٍ لِمَنْ يَبْغِي الْكَثِيرَ لَشَهْوَةٍ
 وَرَفَاهَةٍ لِمَنْ يَدْرِمَا عِقَابَهَا
 فَالْعَيْشُ مَا يَكْفِي وَلَيْسَ الَّذِي
 يُطْغِي النَّفْسَ إِلَى خَسِيسِ مُنَاهَا
 يَا رَبَّ أَسْأَلُ مِنْكَ فَضْلَ قَنَاعَةٍ
 بِيَسِيرِهَا وَتَحَصُّلِهَا بِجَمَاهَا
 وَرِضَاكَ عَنِّي دَائِمًا وَلُزُومَهَا

حتّى تُنافي مُهجتي أُخراها
 فأنا الذي أعطيتُ نفسي سُؤلها
 فقبلي دعواها فينا بُشراها
 بجوار أوفى العالمين بذمة
 وأعز من بالقرب منه يُبها
 من جاء بالآيات والنور الذي
 داوى القلوب من العمى فشفاه
 أولى الأنعام بخطبة الشرف التي
 تدعى الوسيلة خير من يُعطاه
 إنسان عيين الكون شرف التي
 تدعى الوسيلة خير من يُعطاه
 إنسان عيين الكون شرف جود
 يس أكسب المأمير المحامد طاه
 حسبي فلسبتُ أفى ببعض صفاته
 لو أن لي عدد النور أفواهها
 كثرت محاسنه فأعجز حصرها
 فغدت وما تلقى لها أشباهها
 إنني اهتديت من الكتاب بآية
 فعلمت أن غلله ليس يُضاهي
 ورأيته فضل العالمين مُحسداً
 وفضائل المختار لا تتناهى
 كيف السبيل إلى تقضي مدح
 منقّل الإله له وحسبك جاهها
 إن الذين يباعدونك إنمّا
 هم مَن يُقال يبعون الله
 هذا الفخار فخل سمعت بمثله
 واهماً لنشأتها الكريمه واهماً
 صلوا عليه وسلموا فبذلكم
 تُهدى النفوس لرُشدّها وغناها
 صلى عليه الله غيّر مقيده
 وعليه من بركاته أنماها
 وعلى الأكابر إليه سُرج الهدى
 أكرم بعترته ومَن والاهها
 وكذا السلام عليه ثم علمهم
 وعلى صاحبته التي زكاهها
 أعني الكرام أولى النهي أصحابه
 فئدة التقي ومن اهتدى بهداها

والحمد لله الذي هدانا لهذا
نَجَزَتْ وَظَنَنِي أَنَّهُ يَرْضَاهَا

● **سعيد المنداسي**¹: أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي الأصل، التلمساني دارا ومنشأ، وقد عاش في تلمسان في القرن الحادي عشر الهجري، ودرس بها العلوم التي كان يدرسها أبناء عصره وهي اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعلوم الشرعية وعلم الكلام وغيرها. ونبغ في الشعر الفصيح والشعبي. وكانت السياسة التركية بتلمسان تقوم على الشدة والعنف، وقد شاهد المترجم مذبحة عنيفة هاجم فيها الأتراك على بعض الأعيان وقتلواهم، وهدموا ديارهم، (..) وتأثر الشاعر لهذه المذبحة (..)، وغادر تلمسان إلى المغرب على عهد عثمان باشا [1060 هـ]. والتحق الشاعر ببلاط العلويين بالمغرب وقد اتصل على ما يبدو ببلاط الرشيد العلوي، وعاش تحت كنفه بسجلماسة. وبالمغرب اشتغل بتعليم ولده مولاي إسماعيل مدة، وفي أثناء ذلك تقلب الشاعر بين فاس ومراكش. وقد نال حظوة لدى السلطان مولاي إسماعيل، بعد توليه الملك سنة 1082 هـ (..). وقد ذهب الأستاذان: علوش والرجراجي إلى أنه توفي سنة 1088 هـ - 1677م. "له ديوانان: في الملحون والفصيح، ومن أشهر قصائده العقيقة".
قال المنداسي في هجاء الأتراك ورثاء تلمسان²:

أَمِنْ قَادِرِ بِاللهِ يَحْمِي تِلْمَسَانَ
فَإِنَّ بِهَا مِنْ قَوْمٍ يَأْجُوجَ إِخْوَانَا
بَنَى السُّدَّ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِلنَّاسِ رَحْمَةً
فَيَا لَيْتَهُ مِنْ شَوْكَةِ التُّرْكِ هَنَانَا
وَلَكِنْ وَرَاءَ السُّدِّ عَمَّ فَسَادُهُمْ
وَهُمْ أَفْسَدُوا فِي الْعَرَبِ كُفْرًا تِلْمَسَانَا
سَمِعْنَا حَدِيثًا صَادِقَ النَّفْلِ رُبُّهُ
بِأَنَّ لِحَبْنَسِ التُّرْكِ فِي الْأَرْضِ إِخْوَانَا
لَقَدْ صَارَ الدَّهْرُ الْعَوِيصُ لِنَائِمَا
غَلَاظَ شَدَادَا فِي الْمَوَاطِنِ طَغْيَانَا
كَعَادِ وَأَهْلِ الرِّسِّ وَالْفُرْسِ مَا بَقُوا
وَلَا بَقِيَتْ فِي الْأَرْضِ قَوْمٌ ابْنِ كُنْعَانَا
وَإِخْوَانُ لُحُوطٍ وَالْعَمَالِقُ إِذْ عَتَوْا
وَتَبَّعُ وَالْأَخْزَابُ بِيضًا وَسُودَانَا
وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ قُرُونٍ كَثِيرَةٍ
وَأُودِيَ الزَّمَانُ قَبْلَ ذَلِكَ أَدْرَانَا

1 - المنداسي سعيد بن عبد الله، الديوان، تحقيق وتقديم راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1976، ص 5 - 7.

2 - الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د ط، د ت ط، ص 56.

فَمَا دَبَّ فَوْقَ الْأَرْضِ كَالْتَّارِكِ مُجْرِمٍ
وَلَا وَلَدَتْ حَاوَاءُ كَالْتَّارِكِ إِنْسَانَا
وَلَا طَارَ مِثْلَ التَّارِكِ لِلْسَّمْعِ طَارِقُ
وَلَا وَجَدَ الشَّيْطَانُ كَالْتَّارِكِ فَتَانَا
عَتَوْا وَاسْتَفْزَوْا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفَرَى
وَقَدْ عَبَدُوا حُمُرَ الْبَدَائِرِ أَوْثَانَا
كَأَنَّ الرِّبَا، مِنَ السَّفَاحِ تَنَاسَلُوا
فَلَا مَارِدٌ إِلَّا وَيَتَرُكُ شَيْطَانَا
لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِالتَّارِكِ قَادِرُ
وَأَسْرَعُ بَطْشًا مِنْكَ لَوْ كُنْتَ يَفْظَانَا
ومما قاله المنداسي في رثاء تلمسان وهجاء الأتراك أيضا¹:

وَأَكْبَرُ شَيْءٍ أَفْسَدَتْهُ أَكْفَهُمْ
تِلْمَسَانُ عَيْنُ الْعَرَبِ عِلْمًا وَإِيمَانًا
وَكَانَتْ لَهُمْ لَمَمًا أَرَادُوا فَسَادًا
أَرَادُوا مِنْهُ كَالْبَطِّ أَرِقِ أَعْوَانَا
فَمِنْهُمْ قَرِينُ السُّوءِ مُفْتِي بِلَادِهِمْ
تَوَدُّ الْعَبَادُ التَّارِكُ كَانُوا وَلَا كَانَا
فَقُلْ لِلْإِبْنِ زَاغُو لِلضَّالِّ أَيْمَّةُ
تَدَبَّرَ لَحَاكَ اللَّهُ مَا قَالَ مَوْلَانَا
وَلَا تَزْكُنُوا وَالرُّكْنُ مِنْكَ سَجِيَّةُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ مِنَ اللَّهِ قُرْآنَا
فَإِنَّ أَمِيرَ التَّارِكِ فِرْعَوْنُ قَانِمُ
وَأَنْتَ جَلِيسُ السُّوءِ فِي زِيِّ هَامَانَا
أَتَهْدِمُ دَارَ الْعِلْمِ فِي حَانِكَ الَّذِي
تَبِيدَتْ وَتَضْحِكُ فِيهِ وَيَحْكُ سَكْرَانَا
لَنْ فَعَلْتَ بِالْحَيَاتِ مِثْلَكَ سُوءَةً
لَقَدْ كُنْتَ حَبِيرًا بِالْمَدِينَةِ صَالِحًا
فَصَبَرْتَ بِهَا أَخَا الْقَرَامِطِ حَمْدَانَا
قَتَلْتَ فُحُولَ الْعِلْمِ صَبْرًا وَلَمْ تَزَلْ
عَلَى عَهْدِكَ الْمَعْلُومِ فِي الزَّيْغِ هَيْمَانَا
فَأَيْمَنْتَ بِالْفَتَوَى نِسَاءً كَرِيمَةً
وَأَيْتَمَّتَ بِالقَوْلِ الْمَمْلُوكِ وَلَدَانَا
وَشَيَّدْتَ لِلْإِسْلَامِ رُكْنًا مِنَ الْأَدَى

¹ - المنداسي سعيد بن عبد الله، الديوان، ص 87 - 91.

فَلَا تَمَرَّ الرَّحْمَنُ مِنْ ذَلِكَ بُنْيَانَا
 فَمَا اللَّهُ عَنْ سَفْكَ الدَّمَاءِ بِغَافِلٍ
 وَلَا يَتْرُكُ الرَّحْمَنُ حَاشَاهُ لِعِبَانَا
 وَأَشْهَدُ بِنَبِيِّ التَّوْحِيدِ كَيْفَ تَخَضَّعْتَ
 بِأَسْمَرَ كَالْبَلَسَامِ ظَلَمْنَا وَعُذُّوْنَا
 ورَأْسًا بِأَيْدِي الْجُنْدِ كَمْ بَاتَ سَاجِدًا
 وَكَمْ ظَلَّ فِي الْكِبَرِ يَرْكَبُ بُرْهَانَا
 وَعَبْدُ الْعَزِيزِ فِي الْقِيَامِ كَأَنَّهُ
 إِلَى النَّخْرِ يَرْفَعُ الطَّرْفَ حَيْرَانَا
 وَمَنْ مَعَهُ فِي رِبْقَةِ الْأَسْرِ لَمْ يَرَوْا
 حَمِيدًا سِوَى رَمَضَانَ
 ثُمَّ وَشَعْبَانَا فَمَا قَامَ شَعْبَانُ شَعْبَانُ لَيْلَةً
 وَلَا صَامَ فِي الْإِسْلَامِ رَمَضَانُ رَمَضَانَا
 عَلَى نَهَبِ أُمُودِ الْيَتَامَى تَنْظَاهِرُوا
 وَكَانَتْ لَهُمْ أَعْلَى الْمَدِينَةِ أَذَانَا
 فَجَرَّدَ مُقَتِّي الْجُورِ ثُمَّ حُسَامَهُ
 وَصَحَّحَ مِنْ نَذْلِ الضَّلَالَةِ بَطْلَانَا
 وَقَالَ اقْتُلُوا فَالْقَتْلُ يَرُدُّ غَيْرَهُمْ
 وَلَا رَقَّ ذَلِكَ الْقَلْبُ مِنْهُ وَلَا لَانَا
 إِذَا كَانَ مُقَتِّي السُّوءِ يَقْضِي بِرَأْيِهِ
 هُنَاكَ يَكُونُ الزَّرْعُ فِي الْأَرْضِ خُسْرَانَا
 فَأَنْتَ لِسَانُ الثَّرَكِ وَالسَّيْفُ لَا فِطْرَ
 تُسِيرُ وَيُمِضِي السَّيْفُ قَوْلَكَ إِعْلَانَا
 تَعَالَوْا ضَلِيلًا فِي زِيِّ نَاسِكَ
 يَطْوُلُ مِنْ ثُوبِ الْبَطَالَةِ أَرْدَانَا
 وَقَدْ قُدَّ ذَلِكَ الثُّوبُ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ
 وَمَرَّ بِأَبْصَارِ الْخَلَائِقِ عُرْيَانَا
 إِذَا شِيمَ مِنْهُ الْخَيْرُ فَالْبَرْقُ كَازِبٌ
 وَإِنْ صَلَّ مِنْهُ الرَّعْدُ يُهْلِكُ بُلْدَانَا
 أَيُّهَا آلَ دِينِ اللَّهِ مَالِي أَرَاكُمْ
 نِيَامًا وَكَانَ الطَّرْفُ مِنْ قَبْلِ يُقْطَانَا
 فَدَارُكُمْ الزَّهْرَاءُ بِالنَّارِ أَحْرَقَتْ
 وَبَانَ جَمِيلُ الصَّبْرِ لِلزَّيْفِ إِذْ بَانَا
 أَمَا تَذْكُرُونَ الْأَهْلَ وَالزَّمَنَ الَّذِي
 عَهِدْتُمْ فَذَلِكَ الْوَصْلُ قَدْ صَارَ هُجْرَانَا
 وَهَلَّا سَأَلْتُمْ عَنْ يَتَامَى تَفَرَّقَتْ
 أَيْدِي سَابَا أَنْتُمْ وَذَكَرَانَا

فَهَبْ أَنَّهُمْ لِلْجُورِ ضَلَّتْ عُقُولُهُمْ
 فَلَا يَتَرُكُ الْجِيرَانُ فِي الْعُسْرِ جِيرَانًا
 فَقُلْ لِابْنِ زَاغُو رَأْسِ كُلِّ خَطِيئَةٍ
 فَلَا تَحْسِبِ الْفَتَاكَ بِالْأَهْلِ سُلوَانًا
 وَلَكِنَّكَ الْوَدَّ لِلنَّاسِ فَنَنْتَه
 تَأَهَّبْ لِرُوحِ اللَّهِ فَالْحَيْنُ قَدْ حَانَ
 فَإِنْ أَضْحَكَكَ الْجُنْدُ بِالنَّاسِ سَاعَةً
 فَلَا تَغْتَرَّرْ فَاللَّهُ يَكْفِيكَ أَرْمَانًا

- **عبد الكريم الفكون القسنطيني:** "عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون (1073/988هـ - 1662/1580م) أديب نحوي، محدث، جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، من أهل قسنطينة. كان يلي إمارة ركب الجزائر في الحج. قال العياشي في رحلته: كان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق، ومجانبة علوم أهل الرسوم بعدما كان إماما يقتدى به فيها، وله غي كثير منها تأليف شهد له فيها بالتقدم أهل عصره، فألقي في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب والتزود إلى الحرمين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم: قرظاتها لله وتركها لله. توفي بقسنطينة بالطاعون. له: (..) ومنشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.."¹ وهو أهم مؤلفاته وأجلها.
- قال عبد الكريم الفكون في هجاء أعيان قسنطينة²

أَلَا فَاحْذَرِ أَنْاسًا قَدْ تَبَرَّأَ
 وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا
 هُمُ الْقَوْمُ الْأَرَاذِلُ قَدْ تَسَمَّوْا
 وَقَالُوا نَحْنُ أَحْضَارُ بِدَارٍ
 وَوَجُوهُهُمْ إِذَا مَا قَدْ تَبَدَّتْ
 وَقَلْبًا مِنْهُمْ لَا تَرْضَى مِنْهُ
 لَقَدْ جَبَلُوا عَلَى غِشِّ الْبَرَايَا
 وَسَيِّمَاهُمْ فُجُورٌ لَيْسَ يَبْدُو
 فَإِنْ لَمْ تَلْ جُهْدَكَ فِي وَدَادِهِمْ
 وَإِنْ رَاعَيْتَ حَالَهُمْ بِخَيْرٍ
 فَجَدُّهُمْ خَوُونٌ لِذَاكَ يُنْمِي
 طَرِيقَ الشَّرِّ قَدْ نَبَذُوا وَرَامُوا
 كَمَا لَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانُ عَنْهُمْ

إِلَهُ الْعَرْشِ مِنْهُمْ وَالْمَلَائِكُ
 وَأَصْلَاهُمْ جَحِيمًا ذَاتَ حَالِكِ
 بَجْنَسٍ فِي الْخَلِيقَةِ لَا يُشَارِكُ
 نَعَمْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي الْمَهَالِكِ
 فَمَا مِنْهَا إِلَيْكَ تَرَاهُ ضَاحِكِ
 بِمَا يُعْطِي اللِّسَانَ مِنَ الْمَنَاسِكِ
 كَمَا جَبَلْتَ يَهُودَ عَلَى الْأَفَائِكِ/
 مَدَى الْأَزْمَانِ إِلَّا مِنْ أَوْلَائِكَ
 فَلَا يَأْلُوا بِجُهْدٍ فِي عَنَابِكَ
 فَشَرُّ الشَّرِّ قَدْ رَاعَوْا لِحَالِكَ
 وَأَيْدِيَهُمْ تَرَدَّدُ فِي خَوَانِكَ
 أُمُورًا قَدْ تَبَدَّتْ مِنْ هُنَالِكَ
 سِوَى فُحْشٍ قَتِيلًا لِلْفَوَاتِكِ

¹ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص254.

² - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص222-224.

أَكْفَا لِلنَّوَالِ رِضًا بِذَلِكَ
وَبِالِ اللَّهِ لَا تَرْضَى بِهَالِكِ

شِرَارًا وَأَصْرَمَتْهُمْ مِنْ حِبَالِكَ
وَمَا شَنُّوْا كَلًّا تُلْقِي بِبَالِكَ
وَأَشْكُ اللَّهَ عَوْنًا مِنْ مَدَابِكَ /
وَعِنْدَ اللَّهِ تُلْقِي فِي ثَوَابِكَ

وَمَثْوَاهُمْ يَكُونُ بِدَارِ مَالِكَ
صَالِحًا وَأَعْمَسَتْهُمْ فِي بَلَائِكَ
وَأَحْلَلْ فِيهِ بَلَوَى مِنْ سَمَائِكَ
وَفِي الْعُقْبَى أَذْقُهُ مِنْ وَبَالِكَ
أَخْبَتْهُ الضُّلُوعُ، وَلَا تُبَارِكْ
بِمَالِكَ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ مَلَأِكَ
سَفِيرُ الرُّسُلِ طَرًّا مِنْ كَلَامِكَ

لَقَدْ فَتَكُوا بِدِينِهِمْ وَمَثُوا
لَعْمَرِي فَالْوَبَالُ لَهُمْ تَصَدَّى
ثم قال محذرا منهم من يجهلهم:

لِنَفْسِكَ صَاحِبِينَ مِنْهُمْ وَجَانِبَ
وَعَاشِرَ مَا بَقِيَتْ بِحُسْنِ صُنْعِ
وَاحْسَرَ فِي فِرَاقِهِمْ نَفِيسًا
وَكَلًّا لَأُمُورٍ إِلَيْهِ مِنْهُمْ
ثم دعا عليهم دعاء مظلوم:

وَقُلْ رَبِّي عَلَيَّ بِهِمْ وَخَذْهُمْ
وَدَارَهُمْ إِلَهِي فَازَوْ عَنْهَا
وَخَذْ مَنْ أَدَى وَتَعَدَّى حَقًّا
وَمِنْ كُلِّ الْمَكَارِهِ لَا تُصْنُهُ
وَيَا قَهَّارُ فَاقْهَرْ مِنْهُ كَيْدًا
لَهُ عُمَرَاءُ وَسُؤْلِي لَا تُخَيِّبْ
وَكُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا تَلْقَى

● عبد الرحمن الأخضرى¹: (920-954هـ = 1512-1545م) الشيخ عبد الرحمن

الأخضري، بن محمد الصغير، بن محمد، بن عامر، الأخضري البنطويوسي، البسكري، الجزائري المالكي، الأشعري، الجنيدي، كان عالماً عاملاً، وتقياً ورعاً، وعابداً متبتلاً، متين التدين، زاهداً عن الدنيا، تام العقل مهاب الهيئة، حسن العشرة، قنوع باليسير لا يخاف في الله لومة لائم وقد أعرض عن الفتيا حين اختلاف الكلمة، قضى معظم حياته في خدمة العلم وأهله، لقب بفارس المعقول والمنقول، وهو من أبرز علماء الجزائر في القرن العاشر الهجري، لقد أطبقت شهرته الآفاق وغدت تأليفه تدرس في شتى حواضر العلم والمعرفة، من بغداد، إلى الأزهر بالقاهرة، إلى الزيتونة بتونس، إلى جامع القرويين بفاس، إلى المدينة المنورة ..، آخر محطاته كانت منطقة قجال، تفرغ للتدريس بجامعة العتيق، الكائن في منطقة قجال التابعة لولاية سطيف الجزائرية، والتي تقع جنوب شرق مدينة سطيف، كانت له خلوة يتعبد بها في مقبرة قجال قرب ضريح، الشريف مسعود القجالي الحسني، توفي في منطقة قجال ونقل جثمانه الطاهر إلى منطقة بنطويس الموجودة بولاية بسكرة والتي تقع جنوب شرق الجزائر، ودفن بها، له مؤلفات عديدة والكثير منها مخطوط لم يطبع بعد.

ولد الشيخ عبد الرحمن الأخضرى رحمه الله سنة (920 هـ / 1512 م) ببلدة بنطويس التي تبعد عن بسكرة بحوالي (30 كم) في عائلة مؤمنة، ملتزمة، عرفت بالعلم والورع والتقوى، والده العالم المدرس محمد الصغير وأخوه الأكبر أحمد الأخضري، كان عالماً ومدرسا أيضاً، أخذ عن كليهما الفقه، وعلوم اللغة العربية، وعلم المواريث، بعد أن حفظ القرآن العظيم، وأتقن رسمه وتلاوته، انتقل إلى منطقة قسنطينة فواصل دراسته هناك، بعدها هاجر إلى تونس فدرس بقفصة ثم جامع الزيتونة بتونس العاصمة.

¹ - بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، Bled edition ، صدر بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص10-49. وينظر: موقع ويكيبيديا. <https://ar.wikipedia.org> ، مادة: (عبد الرحمن الأخضري).

بدأ التعلم بمسقط رأسه بنطيوخ فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن العظيم، وأتقن رسمه وتلاوته، وأخذ عن والده الشيخ محمد الصغير (رضي الله عنه) وعن أخيه الشيخ أحمد الأخضر (رحمه الله) علم الفقه، وعلوم اللغة العربية، وعلم المواريث، انتقل الى منطقة قسنطينة فواصل دراسته هناك، بعدها هاجر الى تونس فدرس بقفصة، ثم جامع الزيتونة بتونس العاصمة، تعلم على أبي يحيى بن عقبة، وعلى أبي عبد الله القلجاني، ثم عن ولده عمر القلجاني وكذلك عن قاسم العقباني... أكمل دارسته في علوم اللغة العربية كما درس علم المنطق ودرس الفقه واصوله والكلام والحديث والتفسير ودرس علم الحساب، تفوق في دراسته وحصل على اجازات في التدريس والفتيا.

رجع الى وطنه الجزائر وشرع في التدريس، فزكاة العلم نشره، آخر محطاته كانت قجال، حيث حظ الرحال بها ومكث بجامعها العتيق، الذي يعرف اليوم بزاوية قجال أو زاوية بن حمادوش، درس هناك الى أن وافته المنية. إن تردد الشيخ عبد الرحمن الأخضر (رحمه الله) على زاوية قجال، لم يكن، لولا هذه العلاقة الروحية والعلمية التي كانت تربطه بالمكان وأهله، مما يؤكد على المكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها هذه القرية الصغيرة، بحجمها الكبير، بقداستها الروحية والعلمية، عند العلماء، وسائر من تعلم فيها، أو زارها، أو عرف أهلها، وفي الأمثال العامية التي كثيرا ما تتردد على ألسنة أهل قجال ما يؤكد ذلك، يقول المثل : "قجال ما يخلو والعلم ما يخطيه" ويعكس بعض جهلة زماننا المثل فيقولون : "قجال ما يعمر والذل ما يخطيه"

نُقل عن شيوخ زاوية قجال وعلمائها، ومنهم الشيخ القرشي مدني (رحمه الله)، كذلك نقل عن الشيخ الزبير بن حمادوش (حفظه الله) وهو من كبار شيوخ الطريقة الرحمانية في منطقة سطيف : أن الشيخ عبد الرحمن الأخضر (رضي الله عنه)، كان عالما عاملا، وتقيا ورعا وعبادا صوفيا، يقضي نهاره في التدريس، فإذا ما أقبل الليل أوى إلى " خلوته " التي تقع بالقرب من مقام سيدي مسعود الإدريسي الحسني القجالي (رضي الله عنه)، يتعبد، ويتحنث، ويصلي أغلب الليل، وقبل الفجر يعود إلى المسجد، ليستأنف نشاطه اليومي في التدريس أو التأليف، وقد تناقل طلبة جامع قجال، خلفهم عن سالفهم أبياتا شعرية قيل أنها وجدت مكتوبة في كفن الشيخ عبد الرحمن الأخضر (قدس الله سره)، وهي كما يلي منقولة عن الأستاذ عبد المجيد حمادوش كان قد سجلها له الشيخ القرشي مدني بخطه في كراسة خاصة.

ألف الشيخ العلامة (الأخضر) في شتى المعارف العقلية منها والنقلية، فقد ترك أثراً في علوم الشريعة، والحقيقة، والرياضيات، والفلك، وعلم المنطق، وعلوم اللغة العربية.... ومن أشهر مؤلفاته: - السلم في المنطق، الذي ترجمه المستشرق الفرنسي لوسيان، سنة 1921 ميلادي وقد عده من أعظم الكتب العالمية. ومن مؤلفاته: مختصر الأخضر في العبادات، على مذهب الإمام مالك، نظم الجواهر المكنون في ثلاثة فنون: في علم البلاغة والبيان و البديع، حلية اللب المصون على الجواهر المكنون، منظومة الدرة البيضاء في الفرائض والحساب، أرجوزة. الدرة البيضاء في أحسن، نظم السلم المرونق في المنطق، شرح السلم المرونق المذكور، نظم السراج في علم الفلك، نظم منشور ابن أجروم الدرر البهية على نظم الاجرومية، نظم أزهر المطالب في هيئة الافلاك و الكواكب في علم الاسطرلاب، قصيدة مدح النبي خالد بن سنان، شعر القدسية واللامية في التصوف، قصيدة نصيحة الشبان.

توفي الشيخ عبد الرحمن الأخضرى بقرية قجال وقد اختُلف في تاريخ وفاته فمن قائل أنه توفي في (954هـ/1545 ميلادي) ومن قائل أنه توفي في (983هـ/1575 ميلادي) فعلى الرأي الأول يكون قد عاش ثلاثاً وثلاثين سنة وهو المرجح عند أغلب المراجع التي ترجمت للشيخ الأخضرى (رحمه الله) وما زال أهل قجال إلى اليوم يتناقلون كرامة من كرامات الشيخ عبد الرحمن الأخضرى ظهرت عند تشييع جثمانه من قبل طلبته الذين حملوا جثمان شيخهم على أكتافهم وتوجهوا به إلى موطنه ومسقط رأسه بالقرب من بسكرة لدفنه هناك تنفيذاً لوصيته ، فعند وصولهم إلى الحامة بوطالب أصابهم إعياء شديد فطلب بعضهم بدفنه حيث وصل بهم المسير والرجوع إلى قجال فرفض الطلبة الذين كانوا يتميزون بتعلقهم الشديد بشيخهم وإصرارهم على تنفيذ وصيته فقرروا مواصلة الرحلة إلى نهايتها، فما الذي حدث بعد ذلك؟ تقول الرواية: أما الفريق الأول من الطلبة فقفّلوا راجعين إلى قجال، وأما الفريق الثاني فحملوا الجثمان الطاهر وساروا به فطوى الله تبارك وتعالى، لهم الأرض طياً، حيث تمكنوا من تنفيذ وصية شيخهم ودفنه في بنطوس والرجوع إلى قجال؛ فكان وصولهم قبل وصول الفريق الأول.

أوصيكم معاشـرَ الشُّبَّانِ	عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ
إِيَّاكُمْ أَنْ تُهْمَلُوا أَوْ قَاتَكُم	فَتَنَدُمُوا يَوْمًا عَلَى مَا فَاتَكُم
إِنَّمَا غَانِمَةٌ الْإِنْسَانِ	شَبَابِهِ وَالْخَسْرُ فِي التَّوَانِ
وَمَا أَحْسَنَ الطَّاعَةَ لِلشُّبَّانِ	فَاسْعَوْ بِذِكْرِ اللَّهِ يَإِخْوَانِ
وَعَمَّـرُوا أَوْ قَاتَكُم بِالطَّاعَةِ	وَالذِّكْرُ كُلُّ لَحْظَةٍ وَسَاعَةٍ
وَمَنْ تَفَتَّه لَحْظَةً فِي عَمْرِهِ	تَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً فِي قَبْرِهِ
مَنْ يَكُنْ فَرَطٌ فِي شَبَابِهِ	حَتَّى مَضَى عَجِبَتْ مِنْ تَبَابِهِ
وَيَا سَعَادَةَ امْرِئٍ قَضَاهُ	فِي عَمَلٍ يَرْضَى بِهِ مَوْلَاهُ
أَحَبُّ رَبِّي طَاعَةَ الشُّبَّانِ	يَا فَوْزَهُمْ بَجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
فَتَبَّ إِلَى مَوْلَاكَ يَا إِنْسَانِ	مَنْ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ الْأَوَانِ
وَمَنْ يَقْلُ إِنِّي صَغِيرٌ أَصْبِرُ	ثُمَّ أَطِيعَ اللَّهَ حِينَ أَكْبَرُ
فَإِنْ ذَاكَ غَرَّهُ إِبْلِيسُ	وَقَلْبُهُ مَغْلُوقٌ مَطْمُوسُ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَتَبَّ صَغِيرًا	وَلَمْ يَكُنْ بَعِيْبُهُ بِصِيرًا
لَمَّا رَأَى خِيفَةَ الصَّدِيقِ قَالَ لَهُ	اللَّهُ مَعْنَا فَلَا تَخْشَى مِنَ الضَّرَرِ

خامساً؛ الأدب الجزائري خلال العهد العثماني خصائصه تطوره وأثره:

✓ تحرر التعليم من سيطرة الدولة وسيطرة الحكام العثمانيين، وكان يُموّل من الأوقاف فقط.

✓ ظهرت مجموعة من الشعراء طرّقوا جِلَّ الأغراض الشعرية.

✓ شكل شعر المديح النبوي غرضاً مستقلاً، وشاع في هذا العصر، ونظم فيه الشعراء بالفصحى وبالملاحون.

✓ قلما نجد مدحا سياسيا موجهاً للحكام، اللهم إلا للباي محمد الكبير، ومحمد بكداش صاحبي الفتح الثاني والأول لوهـران.

✓ اشتهر رثاء المدن مثل وهران والجزائر وتلمسان، وكذلك رثاء شيوخ العلم.

- ✓ وكان شعر الغزل خلال الفترة العثمانية نادرا، ومرد ذلك للبيئة التي سادت في تلك الفترة، والتي ميزها المجتمع المحافظ البعيد عن اللهو والمجون؛ الأمر الذي أدى بالشعراء إلى الامتناع عن نظم شعر الغزل إلا النادر منه.
- ✓ أما الهجاء فتوجه به الشعراء نحو الحاكم سواء أكان عثمانيا، أم جزائري الأصل.
- ✓ ونشط الزهد وتناول التنبيه عن التعلق المفرط بالحياة الدنيا وتنبيه الغافلين بالموت، وضرورة الابتعاد عن النفس الأمارة بالسوء والابتعاد عن طريق الشيطان.
- ✓ وتضمن شعر الوصف المسجد والمدرسة والبيوت والفنادق والطبيعة والنفس البشرية.
- ✓ ولم يخرج الشاعر الجزائري عن النموذج العروضي العربي التقليدي؛ إذ نجد الشعراء الجزائريين ألبسوا شعرهم البحور الطويلة واختاروا من القوافي ما هو شائع في الشعر العربي فغلب على قوافيهم القافية المطلقة، كما نوعوا فيها؛ بالإضافة إلى استعمال أكثر حروف الروي شيوعا في القصيدة العربية.
- ✓ أما النثر فشمّل المقامات والرسائل الديوانية والإخوانية، والوصف، والتقاريف، والتعازي، وعقود الزواج التي تفنن فيها أصحابها، والإجازات المنمقة، والشروح الأدبية، والقصص، والخطب. وقد كان الأدب الجزائري في العهد العثماني غنيا ببعض هذه الفنون كالرسائل والتقارض، ولكنه كان فقيرا في بعضها كالخطب والقصص¹.
- ✓ كان حكم الأتراك في الجزائر حكما مميزا من بداياته إلى نهاياته؛ من حيث دوافعه، ومن حيث ممارساته، - وإن أصابه بعض الخلل في فترات ما- ف"لم يكن الأتراك مستعمرين، لأنهم لم يملكوا أرضا، ولا أبعدوا مزارعا عن مزرعته، ولم يكونوا محتلين، لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم أصلا من احتلال جزء من البلاد (..) وكانت السلطة كلها، تحت إدارة الباشا والبايات، بيد شيوخ البلاد الجزائريين، شرقا وغربا، سهلا وجبلا"².
- ✓ لم يكن العهد العثماني في الجزائر سوى بيئة زمكانية ملتهبة؛ صراعات ضد النصاري الإسبان وحلفائهم، مع ظروف اجتماعية متدهورة، ولذلك ظهر السلاطين العثمانيون المجاهدون والمحاربون للبلدات الجزائرية، ظهورا كأنهم أبطال أسطوريون.
- ✓ انتشر الشعر التعليمي في علم الفقه واللغة والفلك والمنطق والتصوف والأخلاق انتشارا كبيرا، في بلاد المغرب عامة أكثر من المشاركة.
- ✓ ولقي الشعر الصوفي رواجا كبيرا وكان ينظم بالفصح وبالملاحون، وقد انغمس أكثر الناس فيه هروبا من الأوضاع المزريّة، وللقيمة العالية التي وضعتها السلطة العثمانية في الولي والمرابط.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص171.

2 - أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980م، ص8.

المحاضرة - 14 - الرابعة عشرة
الأدب الجزائري في بلاد المشرق والأندلس

عناصر الدرس

- 1- مدخل
- 2- أثر الأدب الجزائري القديم في العراق (بكر بن حماد)
- 3- أثر الأدب الجزائري القديم في بلاد الشام (الشاب الظريف)
- 4- أثر الأدب الجزائري القديم في صقلية (ابن قاضي ميلة)
- 5- أثر الأدب الجزائري القديم في الأندلس (ابن خميس التلمساني)
- 6- النتائج العامة

1- مدخل:

لم تكن الحواضر العلمية الجزائرية القديمة، الممثلة في تيهرت و ورقلة وبجاية والمسيلة وتلمسان والجزائر وتوات والزيان وقسنطينة وبونة وطبنة، وميلة.. مجرد مراكز إشعاع علمي محلية بل امتد إشعاعها عبر بلدان إفريقيا. لقد كان لتلك الحواضر الجزائرية دور في نشر العلوم عبر القارة الإفريقية والأندلس والمغرب وحتى المشرق. وذلك بهجرة العلوم عن طريق الطلبة الوافدين على الحواضر العلمية الجزائرية، وعن طريق هجرة العلماء والفقهاء والأدباء الجزائريين، وعن طريق التجار.

ولا تزال إلى اليوم بصمات ذلك التفاعل الإيجابي بين الجزائر وعديد البلدان ماثلة، تشهد عليها الحوادث التاريخية والآثار الأدبية في التاريخ الثقافي للجزائر. وتأتي هذه المحاضرة لتلقي أضواء على أدبنا وأدبائنا المهجريين الجزائريين القدامى، ذلك لأنهم شكلوا ظاهرة أدبية مميزة، تستحق أن نخصص لها درسا خاصا. فما من دويلة في المغرب أو المشرق أو الأندلس إلا وكان للمتقف الجزائري فضل مشاركة فيها، وإن تفاوتت تأثيراتهم في المجالين السياسي والثقافي.

2- أثر الأدب الجزائري القديم في العراق (بكر بن حماد):

- كانت بلاد المشرق العربي قبلة الجزائريين، وحلمهم المنشود، فمن المشرق العربي حلّ عليهم نور الإسلام، وهناك منبع الإسلام، ومكان الحج. فلا عجب إن تمثل الجزائريون القدامى المشاركة قدوة لهم، واتخذوهم أساتذة في مرحلة التعريب الأولى وتعلم مبادئ الإسلام. وبعد مرحلة التقليد تظهر الشخصية الأدبية الجزائرية مميزة، في العهد العباسي ممثلة في الشاعر والمحدث والصوفي بكر بن حماد التاهرتي.

- ترجمة الشاعر بكر بن حماد: هو بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي أبو عبد الرحمن، وقبيلته زناتة كانت من اعظم القبائل البربرية، وأكثرها رجالا، ولد الشاعر سنة 200 هـ / 815 م بتاهرت عاصمة الدولة الرستمية، وأخباره قليلة في كتب التراجم والطبقات¹.

- أطوار حياته: النشأة في تاهرت أمضى بكر بن حماد وقت طفولته ونشأته الأولى في مسقط رأسه تاهرت، حيث وجهه والده خلالها إلى حفظ القرآن الكريم وطلب العلم،

¹ - ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص59.

وكان لهذا أن ظهرت عليه في مرحلة مبكرة أمارات النباهة، وتفتحت قريحته الشعرية في سن السابعة عشر¹.

- الرحلة إلى المشرق العربي: غادر الشاعر تاهرت متجها نحو الشرق في رحلة طلب العلم، فنزل أولا بالقيروان التي كانت حينها حاضرة من حواضر العلم والمعرفة، ثم أكمل طريقه وحطّ الرحال بالبصرة، التي كانت تعجّ بالعلماء والشعراء والفقهاء والفلاسفة.. وفي البصرة جلس تلميذا لمسدد بن مسرهد يأخذ عنه علم الحديث الشريف، كما أخذ أيضا علوم اللغة عن ابن الأعرابي، ليمضي بعدها متجها إلى بغداد التي فتحت له هي الأخرى مجالسها العلمية ونواديها الأدبية والشعرية فالتقى بأبي تمام وعلي بن الجهم ودعبل الخزاعي، واتصل بالخليفة المعتصم فمدحه وأخذ منه العطاء والجزاء².

- العودة والإقامة بالقيروان: عاد الشاعر مرة أخرى إلى القيروان سنة 239 هـ وجلس يسمع دروس العلم عن عون بن يوسف الخزاعي وسحنون بن سعد، ثم ما لبث أن انتقل إليه كرسي التدريس في الجامع الكبير بالقيروان، فالتلف حوله طلبة العلم من بلاد المغرب، وخلال إقامته بالقيروان اتصل بأمرأء الدولة الأغلبية ومدحهم³.

- وفاته: تافت نفس الشاعر إلى تاهرت فقرر ترك القيروان سنة 295 هـ، وفي طريق عودته تعرض له عدد من اللصوص فجرحوه في يده وقتلوا ابنه عبد الرحمن الذي كان يرافقه، لكن الشاعر نجا وبلغ تاهرت وأقام بها سنة كاملة ثم توفي متأثرا بجراحه سنة 296 هـ/ 911 م، وكان تاريخ وفاته موافقا لسقوط الدولة الرستمية وزوالها⁴.

- شعر بكر بن حماد: لم يجمع شعر بكر بن حماد قديما مما جعل الجزء الأكبر منه يتعرض للضياع، وما بقي من شعره في المصادر والمخطوطات جمعه محمد بن رمضان شاوش في ديوان وسمه "الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد" ومجموع ما عثر عليه جامع الديوان مائة وعشرة أبيات، مجموع القصائد خمسا وعدد المقطوعات أربعة عشر مقطوعة، وأطول قصائده تلك التي هجا بها عمران بن حطان وتقع في 16 ستة عشر بيتا.

الأغراض الشعرية في ديوان بكر بن حماد:

- الزهد والوعظ: يمثل شعر الزهد والوعظ حيزا كبيرا من ديوان الشاعر، ونبوغه في هذا الغرض الشعري يعود بالدرجة الأولى لطبيعة تكوينه الديني القائم على حفظ القرآن الكريم في تاهرت، ورواية الحديث النبوي الشريف ودراسته في القيروان والبصرة. لقد تعددت الموضوعات التي دارت حولها زهديات بكر بن حماد، وأبرزها: التذكير بحقيقة الموت، والدعوة من خلال ذلك للحد من شهوات النفس وملذاتها، وفي هذا يقول⁵:

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت

وقد مرقنت نفسي فطال مروقها

¹ - ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ج4، ص151.

² - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ص157.

³ - ينظر: بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص53-54.

⁴ - ينظر: عبد الله بن محمد أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش مراقبة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج2، ص21.

⁵ - شاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ص78.

فيا أسفي من جنح ليل يقودها
وضوء نهـار لا يزال يسوقها
إلى مشهد لا بد لي من شهوده
ومن جـزع للموت سوف أدوقها

- الهجاء: يعد الهجاء من الأغراض الشعرية التي برع فيها بكر بن حماد، وبراعته وشهرته في هذا الغرض تتجلى من خلال الهجاء السياسي القائم على نوع من الحرب الكلامية، والجدل بين المتصارعين في مجالات الحكم والسياسة. لقد هجا بكر بن حماد الخليفة العباسي المعتصم، كما هجا دعبل الخزاعي، ولعل نونيته في هجاء عمران بن حطان إثر مدحه عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أشهر قصائده على الإطلاق، وهي تدخل في إطار الهجاء السياسي، يقول فيها¹

قل لابن ملجم والأقدار غالبية قتلت أفضل من يمشي على قدم
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما صهر النبي ومولاه وناصره
وكان منه على رغم الحسود له ذكرت قاتله والدمع منحدر
إنني لأحسبه ما كان من بشر أشقى مراد إذا عدت قبائلها
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تحمله لقوله في شقي ظل مجترما
يا ضربة من تقى ما أراد بها بل ضربة من غوى أوردته لظى
كأنه لم يرد قصداً بضربته هدمت ويلك للإسلام أركاننا
وأول الناس إسلاماً وإيماننا سن الرسول لنا شرعاً وتبياننا
أضحت مناقبه نوراً وبرهاننا مكان هارون من موسى بن عمراننا
فقلت: سبحان رب العرش سبحانا يخشى المعاد ولكن كان شيطاننا
وأخسر الناس عند الله ميزاننا على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قبل المنية أزماننا فأزماننا ولا سقى قبر عمران بن حطاننا
ونال ما ناله ظلماً وعدوانا إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
فسوف يلقي بها الرحمن غضباننا إلا ليصلى عذاب الخلد نيراننا

ولم يعدم القول في المدح والوصف وإن كان قليلاً، ولكنه أكثر في الرثاء بأنواعه: رثاء الذات والآخر والمكان.. ومن أجمل ما قيل في رثاء ابنه عبد الرحمن الذي قتل بين يديه، ودفنه وهو جرح في الطريق إلى تاهرت.

بكيْتُ على الأحبة إذا تولوا فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا
كفى حزنا بأنني منك خلوا ولم أك آيساً فيئست لَمَّا
فليت الخلق إذا خلقوا أطاعوا نسراً بأشهر تمضي سراعاً
فلا تفرح بدنيا ليس تبقى ولو أني هلكت بكوا عليّ
وفقدك قد كوى الأكباد كيّاً وأنك ميت وبقيت حيّاً
رميت التراب فوقك من يدَيّ وليت لك لم تكن يا بكر شياً
وتطوى في ليالهنّ طيّاً ولا تأسف عليها يا بنيّاً

¹ - شاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ص63.

فقد قطع البقاء غروب شمس ومطلعها عليا يا أخيا
وليس الهمّ يجلوه نهار تدور له الفراقد والثريا

- آراء النقاد في شعر بكر بن حماد:

✓ وقف النقاد والعلماء على شعر بكر بن حماد وقدروا شاعريته وبراعته رغم أن ما بلغ أيديهم من شعره شيء قليل.

✓ يقول عمر فروخ: "وهو شاعر مجيد متفنن في أبواب الشعر متين السبك، حسن الديباجة، سهل التراكيب فصيح الألفاظ، يجيد في القصائد الطوال والمقطعات"¹.

✓ أما شوقي ضيف فيقول عنه: "وهو استهلال مبكر في القرن الثالث الهجري لما ينتظر الجزائر في الشعر من مستقبل خصب"².

✓ وتحدث عنه أيضا مبارك المليلي فقال: "وكان نابغة في الأدب واشتهر بالشاعر، وله القصائد الطويلة الجيدة في الأغراض المختلفة"³.

✓ إن كثرة استشهاد الأدباء بشعره خاصة في الزهد وقصيدته في هجاء عمران بن حطان يؤكد لنا مدى تأثير المشاركة بشعر هذا الرجل وأدبيته، ولو لم يكن كذلك لما زاحم فطاحل شعراء العصر العباسي ونافسهم وأثر في خلفائهم..

✓ لقد كان من المقربين عند المعتصم⁽⁴⁾، بل من المقدمين عنده، خاصة بعدما ردّ على دعبل الخزاعي⁽⁵⁾ حينما هجا المعتصم بقوله:⁽⁶⁾

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة

كرام إذا عدوا وثامنهم كلب

1 - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج4، ص152.

2 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ج10، ص162.

3 - مبارك المليلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص81.

4 - "المعتصم العباسي (179 - 227 هـ = 795 - 841 م محمد بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور، أبو إسحاق، المعتصم بالله العباسي: خليفة من أعظم خلفاء هذه الدولة. بويغ بالخلافة سنة 218 هـ يوم وفاة أخيه المأمون، وبعده منه، وكان بطرسوس. وعاد إلى بغداد بعد/ سبعة أسابيع (في السنة نفسها. وكان قوي الساعد، يكسر زناد الرجل بين أصبعيه، ولا تعمل في جسمه الاسنان. وكره التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميا. وهو فاتح عمورية Amorium من بلاد الروم الشرقية، في خبر مشهور. وهو باني مدينة سامرا (سنة 222 حين ضاقت بغداد بجنده. وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى، من الخلفاء، فقيل (المعتصم بالله وكان لين العريكة رضي الخلق، اتسع ملكه جدا. وكان له سبعون ألف مملوك. خلافته 8 سنين و 8 أشهر، وخلف 8 بنين و 8 بنات، وعمره 48 سنة. توفي بسامراء. وكان أبيض أصهب حسن الجسم مربوعا طويل اللحية"

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج7، ص127-128.

5 - "دعبل الخزاعي (148 - 246 هـ = 765 - 860 م دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي: شاعر هجاء. أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتري. وصنف كتابا في (طبقات الشعراء. (... كان بذئ اللسان مولعا بالهجو والخط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء - الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق - فمن دونهم، وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفي ببلدة تدعى الطيب (بين واسط وخوزستان وكان طوالا ضخما أطروشا، له (ديوان شعر - ط جمع فيه بعض الأدباء ما بقي متفرقا من شعره".

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج2، ص339.

6 - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص154.

وما أنت عندي في الوفاء ككـلـبـهم
لأنك ذو ذنـب ومـا أذنب الكـلـب
فقد رد عليه بكر بن حماد قائلاً⁽¹⁾:

أيـهـجـو أميـر المـؤمـنـين ورهـطـه
ويمشـي علـى الأرض العريضة دعبـل؟
أما والـذي أرسـى ثيـبـرا مـكانـه!
لقـد كـادـت الـدنـيا لـذاك تزلزل
ولـكـن أميـر المـؤمـنـين بفضـله
يـهـم فيعـفـو، أو يقـول فيعـل
✓ فعاتبه حبيب فيه وقال له: (قتلته، والله! يا بكر) فقال في قصيدته هذه طويلة²
وعـاتـبني فيـه حبيب وقـال لي:
لـسـانك مـحـذور وسـمك يقـتل
وأني، وأن صـرـفت في الشـعر منطقـي
لأنـصـف فيمـا قلـت فيـه وأعـدل

✓ وهناك من زعم أن دعبل لم يهج بشيء المعتصم، وإنما بكر بن حماد هو من لفق له بعدما نظمها. "وكان دعبل الخزاعي هجاء للملوك جسوراً على أعراضهم متحاملاً لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك واشتهر فصنع على لسانه بكر بن حماد الباهري ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه أبياتاً يهجو فيها المعتصم..

3- أثر الأدب الجزائري القديم في بلاد الشام (الشاب الظريف):

الشاب الظريف³: هو شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن شمس الدين علي بن عبد الله بن علي بن يس العابدي التلمساني، ويلقب بالشاب الظريف. وهذا ما ذهب إليه شاكر هادي شكر وصلاح الدين الهواري في تحقيقهما لديوان الشاب الظريف. سبب شهرته بالشاب الظريف: تعرض بعض النقاد والباحثين المحدثين لأسباب هذه الشهرة، مثل الدكتور محمود رزق سليم، الذي أرجع ذلك إلى رقة شعره وعذوبته، أما الدكتور أحمد أحمد بدوي فيرجع السبب لما فيه من لعب وخلاعة وبعض مجون بالإضافة إلى رقة شعره واستطراف خلطائه له، أما الدكتور شوقي ضيف فأشار إلى هذه الشهرة في معرض حديثه عن شعره فقال: "وتدل تمنياته في وضوح على خفة ظله وأنه رقيق رقة مفرطة مع الدمثة والظرف والتدله في الحب واتقاد جذوته في فؤاده ولكل ذلك سماه معاصروه بحق الشاب الظريف". ويذكر الدكتور عمر موسى باشا أن سبب التسمية يعود إلى ما عرف عنه من عبث ولعب وعشرة وانخلاع ومجون..

مولده ونشأته: ولد بالقاهرة في العاشر من جمادي الآخرة سنة إحدى وستين وستمائة، كان أبوه صوفياً بخانقاه سعيد السعداء، فوالده الأديب الصوفي الشيخ عفيف الدين التلمساني الكوفي المتوفى سنة 690 هـ وهو من أكبر شعراء التصوف باللغة العربية، خدم الدولة في

¹ - شاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ص70.

² - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص154.

³ - ينظر: الشاب الظريف محمد بن عفيف، الديوان، تقديم وشرح صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2004م، ص9-26.

عدة جهات تركها، وباشر استيفاء الخزانة بدمشق، له عدة تصنيفات، فقد كان شاعراً وناشراً، ومصنفاً، وكان الشاب الظريف وحيد والديه، وقد مكث في مصر طوال فترة عصر الصبا قبل أن ينتقل مع أبيه إلى دمشق فراراً من غزو التتار، فسكن جبل قاسيون واتخذ موطناً له، حيث عاش فيه الشطر الثاني من حياته، فتعرف على خلطائه من أهل دمشق، الذين قضى معهم أسعد أوقات عمره، حتى توفاه الله فيها في الرابع عشر من رجب سنة 688 هـ وهو في سن الشباب، ولم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره.

عصره: الشاب الظريف من شعراء العصر المملوكي، الذي بدأ سنة 648 هـ في مصر والشام، وانتهى بسيطرة الترك والعثمانيين عليهم سنة 923 هـ، حيث عاش في بداية هذا العصر، وكان المجتمع حينها ينقسم طبقتين، طبقة حاكمة، تميزت بحياة الترف، والرفاهية، والعيش في قصور تتجمع فيها كل أسباب الترف والمتعة، وطبقة محكومة فرضت عليها الضرائب التي أرهقت كاهلهم، وزادت من فقرهم ومعاناتهم .

الحياة الفكرية والأدبية في العصر المملوكي: ازدهرت في عصر المماليك، حيث ساروا على نهج وخطى أسلافهم الفاطميين، فأقاموا المساجد والمعاهد وبرزت عدة مظاهر فكرية وأدبية مثل غزارة التأليف وضخامة عدد المؤلفي. وتنوعت المذاهب الشعرية في العصر المملوكي، فكان هناك الشعر التقليدي، وصنعة البديع، والشعر العامي، والألغاز والأحاجي، والمطارحات الشعرية، والمحاورات والمجاولات، وغيرها من الفنون والأغراض.

دراسته وشيوخه: تتلمذ الشاب الظريف على يد أبيه عفيف الدين التلمساني، وقرأ كتاب المنهاج على مؤلفه الشيخ محيي الدين بن شرف النووي، ومن شيوخه أيضاً المؤرخ ابن الأثير الحلبي، العالم والكاتب والأديب، والقاضي محيي الدين بن النحاس، فكان يحمل ثقافة واسعة، مكنته من أن يكون من أبرز شعراء عصره، على الرغم من قصر عمره، حفظ القرآن الكريم، ودرس الفقه والحديث، لأن أباه كان متصوفاً شديد التصوف، ودرس علوم النحو والعروض والبلاغة والبديع والمنطق والفلسفة وعلم الكلام، ودرس الأدب وتأثر ببعض الشعراء كالمتنبي، وأبي تمام، والمعري وغيرهم.

آثاره الأدبية: للشاب الظريف ديوان شعر مشهور، طبع أكثر من طبعة، في أكثر من عاصمة عربية، وطبع بالحجر في القاهرة سنة 1227 هـ، وقد قام شاكر هادي شكر بتحقيق هذا الديوان وطبعه مرتين، الأولى سنة 1967م، والثانية سنة 1985م، والطبعة الثانية أفضل وأحسن بكثير من الأولى. وله في النثر خطبة تقليد وهي خطبة هزلية للتعيين في وظيفة، وعظ غير مهذب، مقامات العشاق، وله بعض الموشحات التي ذكرت في ديوانه، وهذا ما عرف عن أدب الشاب الظريف

وفاته: توفي الشاب الظريف في يوم الأربعاء، الرابع عشر من رجب، سنة ثمان وثمانين وستمائة ولم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره، ودفن بمقابر الصوفية بدمشق بعد أن صلوا عليه بالجامع الأموي.

مختارات من أشعاره:

قال الشاب الظريف¹:

لَا تُخَفِّ مَا صَنَعْتُ بِكَ الْأَشْوَاقُ وَاشْرَحْ هَوَاكَ فَكُنَّا عُشَّاقُ

¹ - الشاب الظريف محمد بن عفيف، الديوان، ص 225-226.

جَارِي وَلَوْ لَا قَلْبُكَ الْخَقَّاقُ
فِي حَمْلِهِ فَالْعَاشِقُونَ رِفَاقُ
فَتَكُنْتُ بِهِ الْوَجَنَاتُ وَالْأَحْدَاقُ
عَادَ الْوِصَالُ وَلِلْهَوَى أَخْلَاقُ
مُلْقَى وَلِلْأَفْكَارِ بِي إِحْدَاقُ
عَنِّي وَقَدْ أَلْفَ الرِّفَاقِ فِرَاقُ
فِيهِ بِنَارِ صَبَابَتِي إِحْرَاقُ
أَنْ لَا يَصِحَّ لِدَيْهِمْ مِثْلَاقُ
فِيهِ نِفَارُ دَائِمٍ وَنِفَاقُ
خَصْرًا عَلَيْهِ مِنَ الْعُيُونِ نِطَاقُ
فَإِذَا رَنَّا فَلِكُلِّهَا إِطْرَاقُ

قَدْ كَانَ يَخْفِي الْحُبَّ لَوْ لَا دَمْعُكَ ال
فَعَسَى يُعِينُكَ مَنْ شَكَّوتَ لَهُ الْهَوَى
لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتُ أَوَّلَ مُغْرَمٍ
وَاصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الْحَبِيبِ فَرُبَّمَا
كَمْ لَيْلَةٍ أَسْهَرْتُ أَحْدَاقِي بِهَا
يَا رَبِّ قَدْ بَعْدَ الَّذِينَ أَحْبَبُّهُمْ
وَاسْوَدَّ حَظِّي عِنْدَهُمْ لَمَّا سَرَى
عَرَبٌ رَأَيْتُ أَصَحَّ مِثْلَاقٍ لَهُمْ
وَعَلَى النِّيَاقِ وَفِي الْأَكْلَةِ مَعْرِضُ
مَا نَاءَ إِلَّا حَارَبْتُ أَرْدَاقَهُ
تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي إِطْرَاقِهِ
وله أيضا¹:

ولك الجمال بديعه وغريبه
حذرا عليه من العيون تصيبه
أو لم تكن قلبي فأنت حبيبه
قد قلّ منك نصيره ونصيبه
حتى كأن بك النسيب نسيبه
واسْتَبَقَ فُودًا بِالْصُدُودِ تَشْبِيهِ
عَنِّي وَلَا قَلْبَ أَقُولُ تَنْبِيهِ
وَالْدَمْعُ يَجْرَحُ مَقْلَتِي مَسْكُوبِهِ
عِنْدِي وَأَبْعَدُ مِنْ رِضَاكَ مَغْيَبِهِ
وَجَفُونُهُ وَشِمَالُهُ وَجَنُوبُهُ
وَيَسَحُّ وَابِلُ دَمْعِهَا فَيَصُوبُهُ
قَاضِي الْقَضَاةِ قَاضِي عَلَى لَهْيَبِهِ

لي من هواك بعيدة وقريبه
يا من أعيد جماله بجلاله
إن لم تكن عيني فإني نورها
هل رحمة أو حرمة لمتيم
ألف القصائد في هواك تغزلا
هب لي فؤادا بالغرام تشبّه
لم تبق لي سرّا أقول تذيعة
كم ليلة قضيتها متسهدا
والنجم أقرب من لقاك مناله
والجوّ قد رقت عليّ شماله
هي مقلة سهم الفراق يصيبها
وجوى تضرّم جمره لولا ندى
مكانة الشاب الظريف الأدبية وأثره:

- ✓ قال صلاح الدين الصفدي: "شاعر مجيد ابن شاعر مجيد، وكان فيه لعب وعشرة وانخلاع ومجون"².
- ✓ وقال ابن تغري بردي: "كان شابا فاضلا ظريفا، وشعره في غاية الحسن والجودة، وديوان شعره مشهور بأيدي الناس"³.
- ✓ وقال ابن كثير الدمشقي: "الشاعر المطبق"⁴.

¹ - الشاب الظريف محمد بن عفيف، الديوان، ص 55-56.

² - صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، دط، 2000م، ج 3، ص 109.

³ - يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، دط، دتط، ج 7، ص 381.

⁴ - ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، 1988 م، ج 13، ص 371.

✓ ونقل ابن شاکر الکتبی مقولة نسبها إلى ابن فضل الله العمري: "سيم سرى، ونعيم جرى، وطيف لا بل أخف موقعاً منه في الكرى، لم يأت إلا بما خف على القلوب، وبرئ من العيوب، رق شعره فكاد أن يشرب، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص والحمام أن يطرب، ولزم طريقة دخل فيها لا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب الأذان، وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتاحان بشعره وخاصة أهل دمشق فإنه بين غمائم حياضهم ربي، وفي كمائم رياضهم حبي، حتى تدفق نهره، وأينع زهره، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يرون عليه تفضيل شاعر، لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالشاعر، لا ينظرون له بيتاً إلا كالبيت، ولا يقدمون عليه سابقاً حتى لو قلت ولا امرأ القيس لما باليت، ومرت له ولهم بالحمى أوقات لم يبق من زمانها إلا تذكره، ولا من إحسانها إلا تشكره، وأكثر شعره لا بل كله رشيق الألفاظ، سهل على الحفاظ، لا يخلو من الألفاظ العامية، وما تحلو به المذاهب الكلامية، فلهذا علق بكل خاطر، وولع به كل ذاكر، وعاجله أجله فاخترم، وحرّم أحباه لذة الحياة وحرّم"¹.

✓ قال أحمد الإسكندراني: "هو طرفة هذا العصر، وشعره يدل على نبوغ موروث"².
✓ وقال أحمد أمين: "والشباب الظريف شاعر غزل، خفيف الروح، أولع بالبدیع كأهل زمانه، ولكنه استعمله في رقة وعذوبة"³.

✓ وقال محمود سليم رزق: "والشباب الظريف ترك شعرا دلّ على ثقافة أدبية محمودة"⁴.
✓ حكم البعض على الشاب الظريف بالانحلال والمجون، لما ورد في ديوانه من مقطعات شعرية تجاوز فيها الشاعر الحد الذي يقف عنده التقى الورع، ولكن ما رمي به هو سمة عصره، موضته، ولعل ما رثى به والده، وما مدح به الرسول ﷺ ينزهه عن ذلك، كيف لا وهو ابن الرجل الصوفي الأول في زمانه..

4- أثر الأدب الجزائري القديم في صقلية (ابن قاضي ميلة)⁵: "هو أبو محمد عبد الله بن محمد التتوخي المعروف بابن قاضي ميلة (ق4هـ، شاعر لسن مقتدر، يؤثر الاستعارة، ويكثر الزجر والعيافة، ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات. وله في الشعر قدم سابقة، ومجال متسع، وربما بلغ الإغراق والتعمق إلى فوق الواجب، وهو لهج بذلك مطالب له. صحب أباه إلى جزيرة صقلية. وكان مفخماً حاذقاً فعرف ثقة الدولة بسببه، واتصل لاتصاله به، فأوطن البلد، وصنع فيه قصيدته الفائية، وما أعلم لأحد في وزنها ورويتها مثلها، فأجزل صلتها، وقرب منزلته، وألحقه في أحد دواوينه الخاصة".
خير ممثل للأدب الجزائري القديم في صقلية، أبو عبد الله بن قاضي ميلة. فمن يكون هذا الشاعر؟ وما خبره؟ وما أثره؟.. لقد أنجبت ميلة من العظماء، في القديم والحديث، ما يحق لها أن تفخر بهم، ما تعاقب عليها الجديدان، وأطل عليها القمران، ولست ذاكرًا في هذا

¹ - محمد بن شاکر الکتبی، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1974م، ج3، 372-373.

² - أحمد الإسكندراني، المفصل في تاريخ الأدب العربي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، مصر، دط، 1946م، ج2، ص190.

³ - أحمد أمين وآخر، قصة الأدب في العالم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1945، ج2، ص469.

⁴ - محمود سليم رزق، عصر سلاطين المماليك، المطبعة النموذجية، مصر، ط2، دتط، ج8، ص141.

⁵ - ابن رشيق القيرواني حسن، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح محمد العروسي المطوي وآخر، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص209-210.

المقال غير واحد، وإنني لمن سواه من العظماء غير جاحد، ولكن المقام يفترض قصر المقال، فأسطره محدودة، وكلماته معدودة، وإن الشخصية الواحدة من أهل هذه البلدة الطيبة، أكبر من أن تحيط به مكتبة. إنه عبد الله بن قاضي ميلة "وكل ما نعلم عنه أنه كان معاصراً لابن رشيق القيرواني وأنه دخل صقلية ومدح أميرها ثقة الدولة الكلبي¹، في عيد النحر بقصيدة بديعة"² طويلة ذكرها ابن خلكان كاملة، ولم يذكرها سواه كاملة، وتبلغ تلك القصيدة الفائية

وإننا لنجد ابن قاضي ميلة يملأ ذكره بطون كتب الأدب واللغة والتاريخ على السواء؛ فشخصيته حاضرة في كل مقام، فهو عند الملوك محبوب مفضل، وإن احترف الأدب مهنة، فهو أهل لها، ويمكننا أن نعتبره شاعراً مهجرياً قديماً، هجر ميلة، وقصد صقلية للاسترزاق، وقد عاد إلى بلده بعدما حقق أمنيته، فهجرتة إنما هي "هجرة الشاعر العابر المتكسب الذي يتخذ من صقلية منتجاً أو موطناً قدم، حتى إذا وجد طلبته، أو أخفق في العثور عليها، فارق البلد عائداً إلى وطنه"³.

قال ابن رشيق القيرواني في الأنموذج مبيناً مكانة ابن قاضي ميلة في الأدب، وأسلوبه، ومنهجه: "شاعرٌ لسنٌ مقتدرٌ يؤثر الاستعارة ويكثر الزجر والعيافة ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات وله في الشعر قدمٌ سابقةٌ ومجالٌ متسعٌ ورُبماً بلغ الإغراق والتعمق إلى فوق الواجب هو لهجٌ بذلك مطالبٌ له صلب أباه إلى جزيرة صقلية وكان مفخماً حاذقاً فعرف ثقة الدولة بسببه واتصل لاتصاله به فأوطن البلد وصنع فيه قصيدته الفائية وما أعلم لأحد في وزنها ورويها مثلها فأجزل صلته وقرب منزلته وألحقه في أحد دواوين الخاصة"⁴. ولابن قاضي ميلة حضور شعري في كل الأغراض المشهورة في زمانه، فهو عميد الشعر السلطاني بقصيدته الفائية في ثقة الدولة الكلبي والتي مطلعها⁵

يـذيل الـهـوى دمعـي وقـلبي المعـنف
وتجنـي جفـوني الـوجد وهـو المـكلف
وإنـي لـيـدعوني إلـى ما شـنفتـه
وفارقت مغناهاه الأغـن المشـنف
وأحـور سـاجي الطـرف أمـا وشـاحه
فصـفر وأمـا وقـفه فموقـف

1 - "أبو الفتوح الكلبي (000 - بعد 410 هـ = 000 - بعد 1020 م) يوسف بن عبد الله بن محمد، من آل أبي الحسين الكلبي، أبو الفتوح: من أمراء صقلية في عهد الفاطميين "العبيديين" وكانت تابعة لهم. وليها بعد وفاة أبيه (سنة 379 هـ بعهد منه/ وجاءه "سجل" العزيز الفاطمي من مصر بالولاية ولقبه "ثقة الدولة" وسعد أهل صقلية في أيامه، ولم يتحرك في وجهه عدو من داخل البلاد ولا من خارجها. وأصيب بالفالج (سنة 388) فتعطل جانبه الأيسر، فسلم الأمر إلى ابنه "جعفر" فثار على جعفر أخ له اسمه "علي" وظفر جعفر فقتل علياً، وأساء السيرة، فثار الصقليون (سنة 410) وحاصروا قصر الإمارة، فخرج إليهم أبو الفتوح (صاحب الترجمة) محمولا على محفة، فأقبلوا عليه يطلبون عزل جعفر وتولية ابنه الآخر "أحمد الأكل" ففعل وسكنت الثورة. وأبعد جعفر إلى مصر، ثم لم يلبث أن لحق به".

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج8، ص239.

2 - شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص50.

3 - إحسان عباس، العرب في صقلية - دراسة في التاريخ والأدب-، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1975، ص169.

4 - ابن رشيق القيرواني حسن، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص209-210.

5 - ابن خلكان أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1977، ج6، ص159.

وأكثر أهل البلاغة يستشهدون بهذه القصيدة في كتبهم على حسن الافتتاح وحسن الاختتام وحسن التخلّص. وإن سألت عنه في الفلسفة، وجدته يجيب عن سؤال حَيَّرَ شاعرَ الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء أبا العلاء المعري؛ الذي أنشد من قصيدة يرثي بها الفقيه أبا حمزة فقال¹

أبكتْ تلكم الحمامة أم غنّت على فرع غصنها الميَّاد
فأجابه ابن قاضي ميلة بقوله²
لقد عرض الحمام لنا بلحن إذا صغى له ركب تلاهى
زها قلب الخليّ فقال غنى وبرَّح بالشجّيّ فقال نأحا

وللعلم فقد نَسَبَ بعضهم هذه الإجابة لغير ابن قاضي ميلة. وإذا طلبت الحكمة، ألفيت ابن قاضي ميلة، ينافس أبا العتاهية في أقواله³.

لـدنياك نور ولكنـه ظلام يحار به المبصر
فإن عشت فيها على أنها كما قيل فنظرة تعبر
فلا تعمرن بها منزلاً فإن الخراب لما تعمّر
ولا تذخرن خلاف التقى فتفنى ويبقى الذي تذخر

وهو في وصفه دقيق يرى ببصيرته وعينه الشاعرة ما لا يراه غيره؛ فافقرأ قوله وهو يصف مركبا للروم أوقع به المسلمون، ويذكر العلاج⁴. وفي باب الرثاء تجده رقيقاً، فإذا رثى بكى واستبكى. رثى مرة قريب صديقه القاضي بسبته أبي الطيب سعد بن إبراهيم ، وقد مات غرقاً في البحر فقال⁵

فتى حماته همّة نحو رحلة بمهنة من غير عار بها بدا
وقد كنت أستسقي له القطر دائماً وأستودع الريح السلام المرددا
فكان الذي استودعت أول خائن به والذي استسقيت من أعظم العدا
فتى فاض بين الماء والريح روحه وما زاره أهل ولا زار ملحدا

وفي غرض الغزل لم يعدم قولاً كذلك، بل هو فيه أروع وأبدع، حتى وصفه ابن رشيق، بأنه: أشبه ما يكون بأسلوب عمر بن أبي ربيعة. ومن ذلك قوله⁶

قلتُ للحسناء لما أبصرت دمع عيني قد جرى فيما جرى
لا تظني الدمع ما عاينته أنا من يُهدي إليك الخبرا

1 - شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ج1، ص54.

2 - نفسه، ج1، ص54.

3 - رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مجاني الأدب في حقائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، دط، 1913م، ج4، ص23.

4 - ابن الصيرفي علي، المختار من شعر شعراء الأندلس، تحقيق عبد الرزاق حسين، دار البشير، عمان، ط1، 1985م، ص63.

5 - عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982م، ص123.

6 - ابن رشيق القيرواني حسن، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص48.

جالَ في خَدَّيك من ماء الصَّبَى رونقُ يَسْبِي سَنَاهَ البَشْرا
تأخَذُ الأَجْفَانُ منه رِيَّهَا فإذا جازَ التَّناهي قَطْرا

ولربما بالغ في غزله أحيانا حتى قارب مجون أبي نواس؛ ومن ذلك قوله¹
وتعجبني الغصون إذا تثنت ولاسيما وفيهن الثمار
إذا اهتزت نهود في قدود فقل للحلم قد ذهب الوقار

5- أثر الأدب الجزائري القديم في الأندلس (ابن خميس التلمساني): من الأدباء الجزائريين الذين لمع نجمهم في بلاد الأندلس، وفي غرناطة خاصة. إنه ابن خميس (650 - 708 هـ = 1254 - 1309 م) محمد بن عمر بن محمد الحجري الرعيني، أبو عبد الله التلمساني، المعروف بابن خميس: شاعر، عالم بالعربية من أعيان تلمسان. كان يكتب عن ملوكها، ثم فر منهم، ومر بسبته وغيرها، واستقر بغرناطة (سنة 703 هـ وتوفي بها قتيلا. مع صديقه ابن الحكيم، طبقت في الشعر عالية. له ديوان سمي (المنتخب النفيس في شعر ابن خميس ط)².

ظاهرة الإغراب في شعر ابن خميس التلمساني³:

- ✓ الإغراب اختيار أسلوب التزمه ابن خميس ووظيفته توظيفا واعيا يتمشى مع السمات الفنية التي يريد أن يطبع بها خطابه الأدبي.
- ✓ إن ظاهرة الإغراب شكل فني وليس اختيار الألفاظ الغريبة عنده اختيارا عشوائيا وإنما هو نابع من وعي عميق بما تحمله من إحياءات فنية، وما تنبض به من حياة يجعلها تشخص المعاني وتشع بالدلالات، فتغنيه عن استقصاء المعاني والصور.
- ✓ تقف اللفظة الغريبة لتدخل المتلقي في واقع شعري تهتز له مشاعره وتنفعل، فيندمج معه وجدانيا، وتتحول المفردة الغريبة عنده إلى مفردة مأنوسة تمكنه من معايشة الباث حياته الخاصة التي صنعتها بجرسها والتداعيات التي تنثيرها.
- ✓ أدى اهتمامه بالمستوى الصوتي الإيقاعي إلى انتشار ظواهر صوتية وإيقاعية، تتمثل في التجنيس والمشاكله والموازنة والترصيع وهي ظواهر فيما سمّاه محمد مفتاح بالمعادلة، وهذه الظواهر يوظفها ابن خميس لتحقيق الانسجام الصوتي والإيقاعي.
- ✓ ويلجأ من أجل ذلك إلى اختيار الألفاظ الغريبة لتسهم في تشكيل البنية الصوتية الإيقاعية، وتضفي على الخطاب سمات خاصة تنسجم مع الجو النفسي والشعوري الذي يسيطر على النص.
- ✓ إن اختيار التركيب عند ابن خميس خاضع لاعتبارات شعورية ودلالية فهي تشكل، حسب الظروف النفسية التي تتزامن مع لحظة الكتابة، فتبدو للمتلقي غريبة، ولكنه حين يدرسها داخل سياقها النفسي والشعوري تكشف عن جمالها الأسر، وقدرتها على تشخيص الدلالات وتحقيق التناسق الفني بين عناصر خطابها.

¹ - ابن بسام علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط1، 1979، ج4، ص536.

² - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ص314.

³ - سعد حمادة، جمالية الإغراب في الخطاب الشعري عند ابن خميس، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2007-2008، ص85-86.

✓ تحمل الرموز الشعرية التقليدية التي كانت مستعملة في الشعر العربي القديم، كالليل والبرق.. مدلولات جديدة عند ابن خميس، تحديدها الحالة النفسية والشعورية.

✓ وظّف ابن خميس التراث الثقافي العربي والإسلامي، فتفاعل مع خطابه الشعري، في المتلقي في سياقات جديدة تبدو غريبة عن سياقها الأصلي، ولكن ما إن يبدأ عملية القراءة الفاحصة، والهادفة إلى استكشاف بنيته العميقة، تتفجر الدلالات، وتتكشف أمامه مدلولات الرموز.

✓ ونستطيع القول بأن الإغراب، في مختلف مستويات الخطاب الشعري عند ابن خميس، يعد مؤشرا دلاليا يكشف عن غريبته ورغبته في اعتزال الناس والسمو عن أدران المجتمع.

- حائية ابن خميس في حنينه إلى تلمسان:

أطار فؤادي برق الأحاسيس
كأن تألقه في الدجى
أضواء وللعين إغفاءة
كمعنى خفي بدا بعضه
كأن النجوم وقد غربت
لواغب باتت تجد السرى
وقد لبس الليل أسماله
وأيقظ روض الربا زهره
كأن النهار وقد غالها
أتى يستفيض دموعي امتياحا
فلم يلق دجن انتحابي شحيا
ولولا توقد نار الحشا
ومما يشرد عني الكرى
ينوح عليّ وأبكي له
أعين، أريحي أطلت الأسى
دعيني أرد ماء دمعي فلم
أحنّ إليك إذا سفت ريحا
وأفنى التياحا إليك وكم
ولولا سخائم قوم أبوا
أباحوا حمائي وكم مرة
ودافعت عنهم بشعري انتصارا
أباعوا ودادي بخسافسل
وأغروا بنفسي طلابها
وآلوا يميني على أن ما
فشاورت نفسي في ذا فما
فبت أناغي نجوم الدجى
أجوب الدياجير وحدي ولا

وقد ضمّ بعد لوكر جناحا
حسام جبان يهاب الكفاحا
تلذّ إذا ما سنا الفجر لاحا
وزيد بياننا فزاد اتّضاحا
نواهل ماء صدرن قماحا
فأدركها الصبح روي طلاحا
فمحت عليه بلا وانصياحا
فحيّا نسيم صباه الصّباحا
مبيت مال حواه اجتياحا
ويلهب نار ضلوعي اقتداحا
ولم يلف زند اشتياقي شحاحا
لأنفدت ماء جفوني امتياحا
هديل حمام إذا نمت صاحا
فأقطع ليلي بكا أو نياحا
عليك وما زدت إلا انتزاحا
أرد بعد مائك ماء قراحا
وأبكي عليك إذا ذقت راحا
أشحت بوجهي عنك اتّشاحا
إيابي ركبت إليك الرّياحا
حميت حمى عرضهم أن يباحا
فكان الجزاء جلائي المتاحا
أكان سماحهم بي رباحا؟
سرارا فجاءوا لقتلي صراحا
توهّمت لم يك إلا مزاحا
رأت لي بغير الفلاة فلاحا
نجاى فلم ألق إلا نجاجا
مؤانس إلا القطا والسّراحا

مبיתי فتملاً سمعي صباحا
وأعرو الأداحيّ غبرا فساها
وأعلو لواءي تلك صياحا
أجلبوا عواء وأمّوا النّباحا
وإذهاب نفسي فيه مباحا
أعاجم شوس العيون قباحا
أسارهم أسرى أم سراحا؟
فلم ألف إلا الغنا والسّماحا
وغيدا خدالا وعودا أقاحا
كرام الجدود فصاحا صباحا
يرين فساد المحبّ صلاحا
يمرّضن منّ القلوب الصّاحا
لو أنّ القيان رفعن الوجاحا
أطق عن حماه بقلبي براحا
وقدّا قويمًا وردفا رداحا
يدع لي عقلا بها حين راحا
فحلّ وبلّ له ما استباحا
متى ما رأيت الوجوه الملاحا
هواه فقد زدت فيه افتضاحا
وأودعته جفن عيني فباحا
خطوب أجلن عليّ القداحا
فألقيت طوعا إليه السّلاحا
سمعت وصيّر نسكي طلاحا
ولم ير ذا عليه جناحا
لشجو حزين إليك استراحا
كداما وأدهى شواتي نطاحا
ظننت فراقني لها أن يتاحا
يدعني أودّع تلك البطاحا
فكان له النّأي موتا صراحا
إذا هاج خاضوا إليه الرّماحا
إليه امتهاناً له واطراحا
ألاقي مساء به وصباحا
وذلل منّي حياء لقاحا
لو اسطعت طرت إليه ارتياحا
لأتبع ذاك الشّدّ حيث فاحا
ونوح الحمام إذا هو ناحا
وخفق الوميض إذا ما ألاحا

وإلا الثعالب تحسّس في
أجوز الأفاحيص فيحافقارا
فأعبي شوارد هذي عدا
وجوّاب بدو إذا استنبجوا
يرون قتالي في الحجر حلاً
قصدت هناهم فلم أخطهم
فسل كيف كان خلاصي من
ولا مثل بيت تيمّمته
عيابا ملاء ونبيبا سمانا
وإلا أعاريب شمّ الأنوف
وإلا يعافير سود العيون
يردّدن فينا لحاظا مراضا
وتحت الوجاح طلا ربرب
أرانني محاسن منه فلم
محيّا وسيمًا وفرعا أثيثا
وأبدى لعيني بدائع لم
إذا لم يرد غير سفك دمي
وما زلت سمحا بنفسي كذا
وبابن رشيد تعوّذت من
وقد ضاق صدري عن كتّمه
وبابن رشيد تعوّذت من
ألحّ الزّمان بأحداثه
أعاد شبّابي مشييا كما
وفرق بيني وبين الأهيل
أخي وسميّي، أصخ مسعدا
فقد جبّ ظهري على ضعفه
وطوّح بي عن تلمسان ما
وأعجل سيري عنه ولم
نأى بصديقك عن ربعه
وكان عزيزا على قومه
فها هو إن قال لم يلتفت
عجبت لدهري هذا وما
لقد هدّ منّي ركننا شديدا
وقيت الرّدى من أخ مخلص
وإنني على فيح ما بيننا
أحسنّ إليه حنين الفحول
وأسأل عنه هبوب النّسيم

يعانيه جسمي ضنى أو صحاحا
وصدر يفاح إليك انشراحا
نديا وصادف أرضا براحا
فلم تخش بعد عليه امتصاحا
سموا إليها السماك لطاحا
فكانت لعطف علاك وشاحا
عمرت الغدو به والرواحا
فلم تدر إلا التقى والصلاحا
كسحت المعارف فيها اكتساحا
وفت رجال الكمال اقتراحا
أو أن الخطيب إذا لحت لاحا
لحج الملائك عنك صراحا
فما زادني الطبع إلا جماحا
وأشرب ماء دموعي اصطباحا
توبخ فيه مشي الوقاحا
أنتك فاخفض لهن الجناحا

وإن شئت عرفان حالي وما
فقلب يذوب إليك اشتياقا
وغرس وداد أصاب فضاء
كراسخ مجدد تأثاته
وعلياء بؤنتها لوبغى
مكارم جمعت أفذاذا
ودرس علوم تهيم بها
نشأت عن الخير واعتدته
وقمت لها أيمار حلة
بهرت رجال الحديث اقتداء
فما إن جليس إذا قلت قال
ولو لم تحج بها مكة
وأما أنا بعد نهى النهى
أدير كؤوس هواي اغتباقا
فبرد جوي برد جواب
وهن بنيات فكري وقد

6- النتائج العامة:

✓ اشتهر من الأدباء الجزائريين في العهد الرستمي بكر بن حماد. واشتهر في العهد الحمادي الحسن بن الفكون، وابن رشيق القيرواني. وفي العهد الموحي لمع نجم كاتبين؛ هما: أبو القاسم القالمي وأبو الفضل بن طاهر بن محشرة. وفي العهد الزياني ابن خميس، والثغري، والتلاسي، والتنسي. وفي العهد العثماني نجد ابن ميمون، والراشدي، وأبا القاسم البوني.

✓ ومن الأدباء الجزائريين المشهورين الذين عاشوا خارج بلادهم: ابن محرز الوهراني الذي كان مبعلا في الدولة الأيوبية، وتقدم ابن أبي حجلة التلمساني في دولة المماليك واقترب اسمه باسمها. وترك المقرئ التلمساني آثاره في الدولة السعدية. وحفر ابن حمادوش اسمه في تاريخ الدولة العلوية حين مدح سلطانها عبد الله بن إسماعيل العلوي.

✓ من الأدباء الجزائريين من كان محترفا الأدب والسياسة معا ومصاحبا للسلطان، وفاعلا ومشاركا في القرارات السلطانية، مثل ابن مرزوق الخطيب، الذي عمل في بلاطات ثمانية ملوك، في فاس وتلمسان وغرناطة وتونس والقاهرة.

✓ ومنهم من كان متجولا متكسبا، يستغل المناسبات العامة، التي تفتح فيها أبواب السلاطين، ليلقي قصيدته، ويحاول إثبات جدارته، لينال مكافأته، كذلك الجزائري المجهول الذي ألقى قصيدته على قبر ابن تومرت، أمام السلطان الموحي وكبار مشايخهم.

✓ لا زالت قائمة الأدباء الجزائريين المهجريين مفتوحة، وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الحصر.

✓ من أكثر الأغراض التي تناولها الأدباء الجزائريون في المهجر، المدح قصد التكسب؛ والهجاء. قال المقرئ التلمساني في هجاء المصريين¹:

تَرَكْتُ رُسُومَ عِزِّي فِي بِلَادِي وَأَصْبَحْتُ بِمُصَرِّ مَنْسِيِّ الرُّسُومِ
وَنَفْسِي عِفْتُهَا بِالذَّلِّ فِيهَا وَقُلْتُ لَهَا عَنِ الْعُلَيَاءِ صُومِي
وَلِي عَزْمٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَاضٍ وَلَكِنَّ اللَّيَالِي مِنْ خُصُومِي

✓ أبدع ابن محرز الوهراني² لونا نثرية عرف بالمنامات، وأشهره المنام الكبير. وله كتابات نثرية بديعة، تميل إلى اللهو، والنقد الاجتماعي، والمذهب الواقعي. كتب الوهراني بأسلوب نثري مرسل، حاكي فيه كتاب القرن الرابع الهجري وسجع المقامات، ونأى به عن صنعة الهمداني والقاضي الفاضل، فجاءت كتاباته عفوية؛ تتدفق بالحيوية. ولما كان ظريفا خفيف الروح، بارعا في الهزل والسخرية، مجيدا للتهكم والسخرية، فقد صبَّ سخريته على كبار علماء دمشق وفقهائها وأطبائها وكتابها كالتاج الكندي، والمهذب ابن النقاش، والقاضي الفاضل، والقاضي ضياء الدين الشهرزوري، والقاضي ابن أبي عصرون، وغيرهم.

ومن أجمل ما كتب الوهراني على لسان بغلته إلى الأمير عز الدين موسك فقال³:
" المملوكة ريحانة بغله الوهراني تقبل الأرض بين يدي المولى عز الدين ظهير أمين المؤمنين نجاه الله من حر السعير، وعطر ذكره قوافل العير، ورزقه من القرط والتبن والشعير، ما وسق مئة ألف بعير، واستجاب فيه أدعية الجم الغفير، من الخيل والبغال والحمير، وتنهي ما تقاسيه مواصلة الصيام وسوء القيام، والتعب بالليل والدواب نيام، وقد أشرفت المملوكة على التلف وصاحبها لا يحتمل الكلف، ولا يوقن بالخلف، ولا يقول بالعلف، لأنه في بيته مثل المسك والعبير، والطريف الكبير، أقل من الأمانة في الأقباط، ومن العقل في رأس قاضي سنباط، فشعيره أبعد من الشعري العبور، لا وصول إليه ولا عبور، وقرطه أعز من قرط مارية، لا تخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية، والتبن أحب إليه من الابن، والجلبان عنده أعز من دهن البان، والقصيم أعز من الدر النظيم، والفصة أجمل من سنايك الفضة، وأما الفول فمن دونه ألف باب مقفول، وما يهون عليه أن يعلف الدواب، إلا بعيوب الآداب وفقه اللباب والسؤال والجواب، وما عند الله من الثواب، ومعلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم، ولا تعيش بسماع العلوم، ولا تطرب بشعر أبي تمام، ولا تعرف الحارث بن همام، ولا سيما البغال، تشتغل في جميع الأشغال، سلة من القصيل، أحب إليها من كتاب البيان والتحصيل، وقفة من الدريس، أحب إليها من فقه محمد بن

¹ - أحمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص1.

² - الوهراني (000 - 575 هـ = 1179 - 000 م) محمد بن محرز بن محمد، أبو عبد الله الوهراني: منشئ، من أكابر الظرفاء. أصله من وهران (بقرب تلمسان) قدم الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين، فاجتمع فيها بالقاضي الفاضل والعماد الأصبهاني وغيرهما من أئمة الإنشاء. ولم يكن من طبقتهم، فعدل عن طريق الجد، وسلك مناهج الهزل، فأقبل الناس على أقواله ورسائله. ثم تنقل في بلاد الشام، وأقام في دمشق زمنا، وتولى الخطابة بداريا (من قراها) وتوفي فيها. له (الرسائل - خ) في تسعة كراريس، تعرف بمنشآت الوهراني، و (رقعة عن مساجد دمشق - ط) رسالة، و (المنامات - ط) قال ابن خلكان: لو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، وزاد ابن قاضي شهبة: فإنه ما سبق إلى مثله.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص19.

³ - الوهراني ابن محرز محمد، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 1998، ص90-94.

إدريس، لو أكل البغل كتاب المقامات مات، ولو لم يجد إلا كتاب الرضاع ضاع، ولو قيل له أنت هالك، إن لم تأكل موطأ مالك، ما قبل ذلك، وكذلك الجمل، لا يتغذى بشرح أبيات الجمل، وحزمة من الكلا، أحب إليه من شعر أبي العلاء. وليس عنده بطيب، شعر أبي الطيب، وأما الخيل فلا تطرب إلا لسماع الكيل. ولو أكلت كتاب الذيل. ماتت بالنهار قبل الليل، والويل لها ثم الويل، ولا تسغني الأكاديش عن أكل الحشيش، بما في الحماسة من شعر أبي الجريش، وإذا أطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار، وأصبح منفوخاً كالطبل على باب الإصطبل، وبعد هذا كله فقد راح صاحبها إلى العلاف، وعرض عليه مسائل الخلاف، وطلب من تبنيه خمس قفاف، فقام إليه بالخلاف، فخاطبه بالتقعر، وفسر عليه آية البعير، وطلب منه وية شعير، فحمل على عياله ألف بعير، وأكثر له من الشخير والنخير، فانصرف الشيخ مكسور القلب، مغتاضاً من السلب، وهو أنحس من ابن بنت الكلب، فالتفت إلى المسكينة، وقد سلبه الله ثوب السكينة، وقال لها: إن شئت أن تكدي فكدي، لا ذقت شعيراً ما دمت عندي، فبقيت المملوكة حائرة، لا قائمة ولا سائرة، فقال لها العلاف لا تجرعي من خباله، ولا تلتفتي إلى أسباله. ولا تنظري إلى نفقته، ولا يكون عندك أحسن من عنفقه، هذا الأمير عز الدين سيف المجاهدين أندى يداً من الغمام، وأبهى من البدر ليلة التمام، يرثي للمحروب ويفرج عن المكروب، ولا يرد قائلاً، ولا يخيب سائلاً، فلما سمعت المملوكة هذا الكلام، جذبت الزمام، ورفست الغلام، وقطعت الحزام، وفتحت اللجام، حتى طرحت خدها على الأقدام، ورأيك أعلى، والسلام.

✓ وكان ابن مرزوق الخطيب التلمساني أديبا جزائريا مهجريا ذاع صيته في السياسة والأدب والدهاء، وعمل كتابه المشهور في التراجم الغيرية "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن"، إن كتاب المسند في ظاهره كتاب أدب مناقب، أما في باطنه فهو كتاب في الآداب السلطانية التي ينبغي أن يكون عليها الملك الناجح وفق رؤية ذلك العصر، وخبرات المؤلف وثقافته الواسعة. ألفه في مناقب السلطان المرني أبي الحسن. ومما نقتطفه منه¹: "كان ﷺ لين الجانب، قليل العتاب، أسرع الناس قبولاً للمعاذير، وإقامة الحجة، وقد قدمنا ما كان عليه من الحياء ﷺ، والحياء هو الذي يبعث على قبول المعذرة، وكثرة الحشمة يمنع من الاستقصاء في البحث عن العثرة". ولا يقف ابن مرزوق في تزكية سلطانه عند حد الوصف، بل يحلل ذلك تحليلاً علمياً منطقياً مقنعاً، فالعلاقة بين خصال موصوفه سببية متعددة. فالحياء يستلزم قبول المعاذير؛ وكثرة الحشمة تستلزم عدم البحث عن العثرة.

✓ ويأتي أحمد المقرئ التلمساني صاحب موسوعة نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وموسوعة أزهار الرياض في أخبار عياض، من بين خيرة الأدباء الموسوعيين المهجريين الجزائريين، وهو شاعر ومؤرخ أدبي، وحافظ..

¹ - ابن مرزوق الخطيب التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص319.

فهرس المصادر والمراجع

- ✓ إ. لافي برفانصال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية – المطبعة الاقتصادية ، الرباط، المغرب، دط، 1941.
- ✓ إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- ✓ ابن أبي زرع محمد بن عبد الحليم، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب الأقصى، دط، 1972.
- ✓ ابن الأبار محمد بن عبد الله، الحلة السيرة، تح حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط2، 1985.
- ✓ ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دتط.
- ✓ ابن الصيرفي علي، المختار من شعر شعراء الأندلس، تحقيق عبد الرزاق حسين، دار البشير، عمان، ط1، 1985م.
- ✓ ابن بسام علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1، 1979.
- ✓ ابن تاويت الطانجي، دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات، مدريد.
- ✓ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط2، 1972م.
- ✓ ابن حماد محمد بن علي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وآخر، دار الصحوة، القاهرة، مصر.
- ✓ ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2006.
- ✓ ابن خلكان أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1977.
- ✓ ابن رشيق القيرواني حسن، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح محمد العروسي المطوي وآخر، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.
- ✓ ابن سعيد المغربي علي بن موسى، الغصون الياينة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح إبراهيم الإبياري، دار المعارف، مصر، دط، دتط.
- ✓ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج. س. كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
- ✓ ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، 1988 م.
- ✓ ابن مرزوق التلمساني محمد، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981.
- ✓ ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دط، دتط.

- ✓ ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- ✓ ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (20/16م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (20/16م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- ✓ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- ✓ أبو حمو موسى الزباني الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، د ط، 1862.
- ✓ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني، سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1979م.
- ✓ أبو يعقوب الورجلاني: الدليل لأهل العقول.
- ✓ إحسان عباس، العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1975.
- ✓ أحمد الإسكندراني، المفصل في تاريخ الأدب العربي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، مصر، دط، 1946م.
- ✓ أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، لبنان، ط5، 1976.
- ✓ أحمد أمين وآخر، قصة الأدب في العالم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1945.
- ✓ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 2003م.
- ✓ أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.
- ✓ أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م.
- ✓ أحمد بن محمد المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، المغرب، دط، 1978.
- ✓ أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980م.
- ✓ أحمد عزاوي، رسائل موحدية مجموعة جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل (المغرب)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1995.

- ✓ أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، دط، 1971.
- ✓ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1989م.
- ✓ أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1985.
- ✓ الاصطخري إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، دط، دتط.
- ✓ الأصفهاني العماد، خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب - 1، تح محمد المرزوقي وآخرين، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1966.
- ✓ الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر ق 19، تحقيق يحيى بوعزيز، دهر الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- ✓ الباروني سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تح أحمد كروم وآخرين، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2002.
- ✓ التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان - مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان تحقيق محمود بوعباد، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1985.
- ✓ الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية (مرازمة وبوداود وشركاهما) الجزائر - و دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1965.
- ✓ الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981.
- ✓ الحميري محمد بن عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، لبنان، ط2، 1980م.
- ✓ الحميري محمد بن عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، لبنان، ط2، 1980.
- ✓ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج8، دط، دتط.
- ✓ الدرجيني أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، طبع إبراهيم محمد طلاي، الجزائر، ط2، دتط.
- ✓ الدرجيني أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، طبع إبراهيم محمد طلاي، الجزائر، ط2، دتط.
- ✓ الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د ط، د ت ط.
- ✓ الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002.
- ✓ الشاب الظريف محمد بن عفيف، الديوان، تقديم وشرح صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2004م.

- ✓ الشاب الظريف محمد بن عفيف، الديوان، تقديم وشرح صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2004م.
- ✓ الشاب الظريف محمد بن عفيف، الديوان، تقديم وشرح صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط.
- ✓ العربي دحو، الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية (30 230هـ)، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2007.
- ✓ الغبريني أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية، تح عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979.
- ✓ الفاخوري حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم، دار الجيل، لبنان، ط1، 1986.
- الفود: جانب الرأس مما يلي الأذن.
- ✓ المراكشي ابن عذاري محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج. س. كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
- ✓ المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- ✓ المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1968.
- ✓ المنداسي سعيد بن عبد الله، الديوان، تحقيق وتقديم رباح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1976.
- ✓ المهدي محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، دط، دتط.
- ✓ الناصري أحمد بن خالد بن محمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وآخر، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، دتط.
- ✓ الوهراني ابن محرز محمد، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 1998.
- ✓ بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1، 1985.
- ✓ بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981. وينظر: أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1985.
- ✓ بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضرى العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، Bled edition، صدر بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.
- ✓ حامد حفني داوود، الآداب الإقليمية في العصر العباسي الثاني - دراسة تحليلية تحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1981.
- ✓ حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي في المغرب، المكتبة البوليسية، لبنان، ط1، 1982.
- ✓ رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، دط، 1913م.

- ✓ سامي يوسف أبو زيد، الأدب العثماني، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
- ✓ سعد حمادة، جمالية الإغراب في الخطاب الشعري عند ابن خميس، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2007 2008.
- ✓ شاوش محمد بن رمضان وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، طبع وإشهار داود بريكسي، تلمسان، الجزائر، ط2، 2005.
- ✓ شاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر.
- ✓ شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- ✓ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط24، 2003م.
- ✓ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات 10، دار المعارف، مصر، ط1، 1995.
- ✓ صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، دط، 2000م.
- ✓ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1980.
- ✓ عبد الرحمن باغي، حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط1، 2009م.
- ✓ عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط خليل شحادة، مراجعة خليل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1988م.
- ✓ عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1983.
- ✓ عبد العزيز قلقيلة، النقد الأدبي في المغرب العربي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، دط، 2007.
- ✓ عبد العزيز نبوي، محاضرات في الشعر المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983.
- ✓ عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب - وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، تحقيق آدريان وان ليون وأندرو فري، دار الغرب الإسلامي، تونس، دط، 1992.
- ✓ عبد الله بن محمد أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش مراقبة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- ✓ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط3، 1961.
- ✓ عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

- ✓ عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، دط، 2005.
- ✓ عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.
- ✓ عثمان الكعاك، بلاغة العرب في الجزائر، نشر مكتبة العرب بتونس، تونس، دط، دتط.
- ✓ علي بن عبد الله السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ.
- ✓ عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب – 1، تح محمد المرزوقي وآخرين، الدار التونسية للنشر، تونس، ط3، 1986.
- ✓ عمر بن حسن بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري وآخرين، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، دط، 1955.
- ✓ عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
- ✓ عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط5، 1981.
- ✓ عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، عمان، الأردن، 1978م.
- ✓ عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة ودار الوفاء، مصر، ط2، 1991.
- ✓ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982م.
- ✓ فاتن كوكة، التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين 484 670، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2012م.
- ✓ قرص الموسوعة العربية العالمية Global arabic Encyclopeda – ، أحمد الشويخات [رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير]، الإصدار الأول، الموقع الإلكتروني www.intaaj.net. مادة: الجزائر تاريخ.
- ✓ لسان الدين ابن الخطيب، رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية، تونس، دط، 1316هـ.
- ✓ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، تح أحمد مختار العبادي وآخر، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1964.
- ✓ مبارك بن محمد المليي الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد المليي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، دط، 1986م.
- ✓ محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تقديم ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2003م.
- ✓ محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1995.
- ✓ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010م.
- ✓ محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

- ✓ محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، مقدمة ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، المغرب، دط، دتط.
- ✓ محمد بن شاكركتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1974م.
- ✓ محمد بن عبد الله ابن الأبار، الحلة السيرة، تح حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط2، 1985، ج1، ص171 172 .
- ✓ محمد بن علي بن حماد القلعي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وآخر، دار الصحوة، القاهرة، مصر، دط، دتط.
- ✓ محمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج. س. كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
- ✓ محمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.
- ✓ محمد بن هاني الأندلسي، الديوان، إشراف المعلم شاهين عطية، المطبعة اللبنانية، بيروت، لبنان، دط، 1886م.
- ✓ محمد عبد الرحمن الرقب، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، دط، 1984م.
- ✓ محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت، ليبيا، ط1، 2010.
- ✓ محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2008م.
- ✓ محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، مصر، ط1، 1988م.
- ✓ محمود سليم رزق، عصر سلاطين المماليك، المطبعة النموذجية، مصر، ط2، دتط.
- ✓ موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/> . مادة: (عبد الرحمن الأخضر).
- ✓ ياقوت الحموي بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1977.
- ✓ يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، دط، دتط.

فهرس الموضوعات

الصفحة	عناوين المحاضرات	رقم المحاضرة	المحاور
02 03	- البرنامج المفصل للمادة المصوّر من عرض التكوين: - مقدمة المحاضرات:	//	مقدمات
04 04 05 11 11 12 21 21	مفاهيم أساسية في الأدب الجزائري القديم: 1- تاريخ الجزائر في القديم 2- إقليمية الأدب الجزائري القديم 3- أهداف تدريس الأدب الجزائري القديم 4- المعارف المسبقة 5- محتويات المادة 6- مصادر ومراجع الأدب الجزائري القديم 7- طريقة التقييم	01	
17 17 18 18 18 19 21 21 22 29	الأدب الجزائري في عهد الدولة الرستمية: 1- تاريخ الدولة الرستمية 2- خصائص المغرب الأوسط الطبيعية والاجتماعية وجماله البارع 3- مدينة تيهرت في أدب الرحالة والجغرافيين القدامى 4- الحياة الفكرية في الدولة الرستمية 5- عوامل تطور الحياة الفكرية 6- بواكير الأدب الجزائري بعد الفتح الإسلامي 7- حياة اللغة والأدب في ظل الدولة الرستمية 8- أعلام أدبية جزائرية من الدولة الرستمية؛ ومختارات من أدبهم 9- الأدب الجزائري خلال العهد الرستمي خصائصه، تطوره، وأثره	02	بواكير الأدب الجزائري بعد الفتح
30 30 31 31 31 33	الأدب الجزائري في عهد الدولة الأغلبية: 1- تاريخ الدولة الأغلبية 2- الجزائر الأغلبية 3- الحياة الثقافية في الجزائر الأغلبية 4- الأدب الجزائري القديم في ظل الدولة الأغلبية 5- الأدب الجزائري خلال العهد الأغليبي خصائصه، تطوره، وأثره	03	
34 34 34 35	الأدب الجزائري في عهد الدولة الإدريسية: 1- تاريخ الدولة الإدريسية 2- العلويون في المغرب الأوسط 3- الأدب الجزائري القديم في ظل الدولة الإدريسية	04	
38 38 39 39 40 40 43	الأدب الجزائري في عهد الدولة الفاطمية: 1- تاريخ الدولة الفاطمية 2- الفاطميون في الجزائر 3- النشاط الثقافي الفاطمي في بلاد المغرب العربي 4- صورة الحياة الأدبية الجزائرية في ظل الدولة الفاطمية 5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الفاطمية، ومختارات من أدبهم 6- الخصائص الفنية والشكلية للأدب الجزائري الفاطمي	05	عصر الصراع والحروب
45 45 45 46 46 47	الأدب الجزائري في عهد الدولة الصنهاجية: 1- تاريخ الدولة الصنهاجية 2- الصنهاجيون في الجزائر 3- المراكز الثقافية في العهد الصنهاجي 4- الحياة الأدبية في الدولة الصنهاجية 5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الصنهاجية، ومختارات من أدبهم	06	

53	6- الأدب الجزائري خلال العهد الصنهاجي (خصائصه، تطوره، وأثره) ..				
55	الأدب الجزائري في عهد الدولة الحمادية:	07	عصر العلوم والتوسع		
55	1- تاريخ الدولة الحمادية				
55	2- الحماديون في الجزائر				
55	3- النشاط الثقافي في العهد الحمادي				
56	4- الحياة الأدبية في العهد الحمادي				
57	5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الحمادية، ومختارات من أدبهم				
62	6- الأدب الجزائري خلال العهد الحمادي خصائصه، تطوره، وأثره				
64	الأدب الجزائري في عهد الدولة المرابطية:	08		عصر العلوم والتوسع	
64	1- تاريخ الدولة المرابطية				
64	2- المرابطون في الجزائر				
65	3- الأدب والأدباء في العهد المرابطي				
65	4- التصنيف اللغوي والأدبي في العهد المرابطي				
66	5- إشكال: لماذا لم يوجد أدب جزائري في ظل دولة المرابطين؟				
66	6- الإجابة عن الإشكال				
66	7- نص مختار لجزائري عاصر الدولة المرابطية				
69	الأدب الجزائري في عهد الدولة الموحدية:	09			عصر العلوم والتوسع
69	1- تاريخ الدولة الموحدية				
69	2- الجزائر في ظل الموحدين				
69	3- مظاهر الثقافة والأدب في دولة الموحدين				
70	4- الأدب الجزائري القديم في العهد الموحي				
71	5- أعلام أدبية جزائرية في الدولة الموحدية، ومختارات من أدبهم				
79	6- الأدب الجزائري خلال العهد الموحي خصائصه، تطوره، وأثره				
80	الأدب الجزائري في عهد الدولة الحفصية:	10	العصر الذهبي للأدب الجزائري القديم		
80	1- تاريخ الدولة الحفصية				
81	2- الحفصيون في الجزائر				
81	3- المراكز الثقافية في الدولة الحفصية				
81	4- الحياة الأدبية في الدولة الحفصية				
82	5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الحفصية، ومختارات من أدبهم				
88	6- الأدب الجزائري خلال العهد الحفصي خصائصه، تطوره، وأثره				
89	الأدب الجزائري في عهد الدولة الزيانية:	11		العصر الذهبي للأدب الجزائري القديم	
89	1- تاريخ الدولة الزيانية				
89	2- النشاط العلمي في الدولة الزيانية				
89	3- الأدب والأدباء في العهد الزياني				
90	4- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الزيانية، ومختارات من أدبهم				
97	5- الأدب الجزائري خلال العهد الزياني (خصائصه، تطوره، وأثره) ...				
99	الأدب الجزائري في عهد الدولة المرينية:				
99	1- تاريخ الدولة المرينية				
100	2- المرينيون في الجزائر				
100	3- علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيانية				
100	4- الحركة الثقافية في الدولة المرينية				
100	5- الحياة الأدبية في الدولة المرينية				
101	6- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة المرينية ، ومختارات من أدبهم .				
106	7- الأدب الجزائري خلال العهد المريني (خصائصه، تطوره، وأثره)				

107	الأدب الجزائري في عهد الدولة العثمانية:	13	عصر الضعف والانحطاط
107	أولاً؛ تاريخ الدولة العثمانية في الجزائر		
107	ثانياً؛ المراكز الثقافية في العهد العثماني بالجزائر		
108	ثالثاً؛ ظواهر بارزة في الأدب الجزائري خلال العهد العثماني		
113	رابعاً؛ أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة العثمانية، ومختارات من أدبهم		
122	خامساً؛ الأدب الجزائري خلال العهد العثماني خصائصه تطوره وأثره		
124	الأدب الجزائري في المشرق والأندلس:	14	الأدب القديم المهاجر
124	1- مدخل		
124	2- أثر الأدب الجزائري القديم في العراق (بكر بن حماد)		
128	3- أثر الأدب الجزائري القديم في بلاد الشام (الشاب الظريف)		
131	4- أثر الأدب الجزائري القديم في صقلية (ابن قاضي ميله)		
134	5- أثر الأدب الجزائري القديم في الأندلس (ابن خميس التلمساني)		
137	6- النتائج العامة		
140	- فهرس المصادر والمراجع	--	-
147	- فهرس الموضوعات		